

٣٧٤

جانفي 1993

عدد ٩

رجب 1413

مجلة دراسات أندلسية

مجلة علمية مختصة في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلامية

مؤسسها ومديرها

جامعة شيخة

هيئة التحرير : محمد البعلاري، ميكال دي بلزا (إسبانيا)، فرجات الدشراوي، برنار فنسان (فرنسا)، عبد السلام المسمى، محمد رزوق (المغرب)، نجا مهداوي، تامر الدين سعیدونی (الجزائر)، جعفر ماجد، جامعة شيخة، محمد الهادي الطرايسى، حسين العقوبي، محمد النقى، محمد نجيب بن جمیع، سهام المساوى، آلفة يوسف، عمر بن حمادى، محمود طرشونة، علي حمرىت.

تصدر المجلة مرتين كل سنة في جانفي وجنوان

نسم الاشتراك السنوي : 10 دينارات تونسية

نسم النسخة : 5 دينارات تونسية

تسدد قيمة الاشتراك عن طريق حواللة بريدية في الحساب الجاري 94 . 543 تونس أو بواسطة حواللة بنكية (وفي هذه الحالة يكون مقابل التحويل البنكي على حساب المشترك).

توجه المراسلات باسم مدير المجلة إلى العنوان التالي: د. جمعة شيخة.

ص.ب. رقم 51 . 1008 تونس - باب منارة . الجمهورية التونسية . تلפון : 227.616

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء، ولا ترد النصوص المخطوطة إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.

كتابخانة ومركز اطلاع عرسان
جامعة ودارية للمعارف الإسلامية

مجلة دراسات أندلسية

العدد التاسع

1993 / 1413



طبع في تونس
نوعي مطبوع
نسخة 1500

شماره ثبت ٧٧٩٤٣

تاریخ ٢٣/١٠/١٩٩٣

تونس

الفهرس

- * جمعة شبغة : تصدير (بالعربية على اليمين وبالإسبانية على اليسار) 3
- * جلالة ملك إسبانيا خوان كارلوس : خطابه في المدخل التأسيسي «الأندلس». مدينة الزهراء في 4/11/1992 (بالعربية على اليمين وبالإسبانية على اليسار) 5
- * مهتماً الجمل موراتينوس كوبوبي : المدير العام لمعهد التعاون مع العالم العربي) : الأندلس في المستقبل : آفاق جديدة للعلاقات العربية الإسبانية (بالفرنسية على اليسار) 8
- * الشاذلي العباري : من أجل مشروع جديد للتعاون شمال . جنوب (الجزء الأول . بالفرنسية على اليسار) 19
- * إبراهيم القادري بوتبيش : ظاهرة الزواج في الأندلس أيام الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة (بالعربية على اليمين) .. 9
- * محمد الحبيب الميلة : مناجع كعب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن 5/11 إلى نهاية القرن 15/9 (بالعربية على اليمين) 23
- * مصطفى الغديري : أين مرّ الكحل : حياته وشعره (القسم الأول . بالعربية على اليمين) 32
- * منصف الوهابي : متاربة المتع المقيد في نظرية التمر عند حازم القرطاجي (القسم الثاني . بالعربية على اليمين) 40
- * لحاظ المريني : التعريف بمنحصرات نفع الطبيب للمقرئ (بالعربية على اليمين) 52
- * عبد العلي الودغيري : البحث العلمي نزاهة أولاً يكون : كتاب «النشاط المعرفي بالأندلس. تأليف جديد أم نقل وتشويه» (بالعربية على اليمين) 70
- * احمد بن عبود : تقديم أطروحة الأستاذ بوتبيش : «المجاهدة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين» (بالعربية على اليمين) 82
- * هيئة التحرير: تقديم أطروحة الأستاذ على لغزوي «مناجع النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين 7 و 8 هـ» (بالعربية على اليمين) 87
- * جمعة شبغة : الأندلس في شهادة الكنامة (القسم السابع - بالعربية) 95

تصديق

في الأيام الأخيرة من سنة 1992، ومنتخع سنة 1993 وقع تنظيم أربع ندوات علمية تحت شعار «من مملكة غرناطة إلى مستهل حوض البحر الأبيض المتوسط». واحتضنت غرناطة الندوة الأولى، وكانت الثانية من نصب تولوز. أما الثالثة فورقت في مدينة مونبلييه، ونظمت الرابعة بتونس.

ولم يكن اختيار الزَّمان اهتماماً، ولا الشَّعار تجهازاً ولا المكان مجاملة. وإنما هي رمز كلها لاستمرارية تاريخية حتبة :

فمن حيث الزَّمان، جرت مداولات هذه النِّدوات في نهاية سنة انقضت وبداية سنة انطلقت. فهناك رمز لطيف صفة من الماضي بكل ما فيها، وفتح لصفحة جديدة تریدها أكثر تصاعداً وبهاداً من سابقتها.

ومن حيث المكان، بدأت هذه النِّدوات في شبه جزيرة إيبيريا لتنقل إلى أعماق أوروبا، ثم محطة رحالها في نهاية المطاف بالعدوة الإفريقية. وهذا رمز كثير : فمن بلاد الأندلس (غرناطة وغيرها من المدن) انتقلت حضارة عريقة، أشعت على كامل ريع أوروبا (تلوز وغيرها من المدن الأوروبيَّة وخاصة مونبلييه)، فتحت عليها وبها ~~نِيَّتها~~ الحديثة التي ينعم سكان المسرة اليوم بإبداعاتها وإنجازاتها.

وفي العدة الإفريقية (تونس وفاس وتلمسان)، استمرت حضارة الأندلس حبة وفاجة. بل إنَّ هذه العدة امْعَنَت بكل عنان وعطاف المنصر الأندلسي فامتزج بها وفيها : دما وروحاً، تكراراً ومشاعر.

أما هذا البحر الذي يُنْعَت بالبيض وبالتوسُّط، فهو رمز بساطة إلى السُّلم والخير، ويترسَّط إلى التسامح والمحبة، ويعانى إلى استمرارية الائتمال والترب بين شعوب ضفتيه شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، عبر العصور.

وكانت مدينة غرناطة في هذه النِّدوات كلها رمز الرُّمز : رمز للزَّمان بتاريخها، ورمز للسكان بآثارها، ورمز في الشَّعار بحضارتها. ألم يقع تنظيم هذه النِّدوات الأربع بمناسبة مرور 500 سنة على سقوطها (1492 - 1992) ؟

وقد يظن بعضهم، من أول وهلة، أنها كانت ندوات الذكريات : ذكريات المجد والانتصار لأهل الصليب، وذكريات الألم والانكسار لأهل الهلال. إنَّ هذا الظنُّ هو أبعد ما يكون عن نية منظمي هذه النِّدوات. فلا التغنى بالماضي ولا التنديد به، حسب هذا الطرف أو ذاك، كان من أهداف هذه النِّدوات. بل يمكن

أن نقول عكس ذلك تماماً، فهناك إجماع في الخطاب الرئيسي التي أقيمت، والبحوث العلمية التي قدمت على أن غرناطة هي رمز لحضارة أندلسية كانت مفتوحة متقدمة، ومتسمة بقدرة، أفرزت وما زالت تؤثر علينا إلى اليوم، والبحر الأبيض يجب أن يكون بحيرة تعاون وسلام، لا هرة تطبيعة واصطدام.

صحيح للد اسما الماضي الأندلسي يكثیر من العداء الدين، والتعصب القديم، والأناقة المفرطة، ولكن الباحثين التخصصين بعمليتهم في التاريخ الأندلسي وحضارتها وأدبهما أبرزوا مع هذه العناصر السلمية، العناصر الإيجابية في معالجة منهم لتدريم قيم الحب والخير والجمال في مجال العلاقات الإنسانية في عصرنا.

صحيح كانت إسبانيا الثصانوية قوية ومنتصرة، وتنكّلت من الاستلاء على آخر معلم للعرب في شبه الجزيرة الإيبيرية وهو غرناطة، ثم أرادت بعد ذلك أن تفرض على غيرها بالقوّة ما رأته هي حنّا مقدساً، فكانت المأساة بحق الأقليات العرقية، فعررت نفسها من رضى ثقافي وحضارى على غاية كبيرة من الأمية، كان من المكن أن يهونها مرتبة عالية هي جديرة بها منذ ذلك التاريخ إلى اليوم، يعني كل ذلك وصمة في التاريخ، لم يتورّأ الإسبان أنفسهم عن شعبه والتشديد به، وفي نهاية هذا القرن العشرين، وبعد خمسة قرون من مأساة غرناطة، تقوم بعض الأمم بإعادة نفس المأساة، وباتباع نفس الأساليب على مرأى وسمع من الجميع شرعاً وغرباً.

صحيح أن العلاقات بين الدول كانت وما زالت تقوم على المصالح، ومن الصعب أن نغير ذلك لكن لا يمكن الاعتزاز بما مضى، ف يجعل هذه المصالح في إطار من الشرعية القائمة على جانب ولو نسيئ من الحق والعدل، والابتعاد عنها ولو قليلاً عن أن تكون قاعدة أساساً على الشجاع والقهر والاستغلال.

صحيح أن حجّة الأقوى هي التي يستمع إليها في المعامل الدوليّة، وحجّة الضعف لا يُعبأ بها، وهذا كذلك من العسير تهذيله، لكن لا يمكن أن يجعل هذا القوى (أو الأقوى) تصرّفه أقرب ما يمكن إلى الإنصاف، ويتجنّب التعامل مع شعوب العصورة - ويشكل مفهوم - بكماليـن متناقضـين ثم يدعـى بعد ذلك أنه يطبقـ الشرعـية والقانونـ الدوليـينـ، لا يوشـكـ هذاـ أن يـشيرـ حـفيـظـةـ الـضـعـفـ ؟ـ إنـ أـكـبرـ الـأـخـطـارـ الـتيـ تـهدـدـ الـجـمـوعـةـ الـبـشـرـيـةـ لـمـ تـعدـ الـبـيـومـ الـقـنـبـلـةـ الـذـرـةـ أـوـ السـلـاـحـ الـكـيـمـيـاـنـيـ،ـ وإنـاـ الـخـطـرـ كـلـ الـخـطـرـ هوـ الـتـائـيـ منـ غـضـبـ الـضـعـفـ الـبـيـانـيـ وـالـمـهـورـ الـشـعـوبـ،ـ وـمـنـ غـطـرـةـ وـتـعـنتـ الـعـظـرـ وـالـدـلـلـ الـأـمـمـ ؟ـ

د. جمدة شيخة

مدير المجلة

خطاب جلالة ملك إسبانيا في الحفل التأسيسي «الأندلس»

(مدينة الزهراء في 4/11/1992)

شارككم - أنا والملكة وتأثر عزيز - هذه اللحظات من الاحتفال بالأندلس 92 في مثل هذا الإطار العابر لا وهو رحاب مدينة الزهراء.

وكم يسرنا بهذه المناسبة حضور الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد عصمت عبد المجيد، وكذلك أصحاب السعادة سفرا، العالم العربي المعتمدين بإسبانيا، وشخصيات بارزة في الميدانين الأكاديمي والثقافي. وإننا شرجه بالشكر أيضاً رئيس بلدية دمشق حضوره معنا؛ دمشق تلك المدينة التي عرفت ازدهار الحلة الأموية، وغادرها أحد أفرادها إلى أقصى الغرب ليؤسس في مدينة قرطبة الساحرة ما اعتبر « بلا ريب » أهم مركز سياسي وثقافي في مصر والوسط المتقدم بأروبا.

إن الحديث عن الأندلس في هذا المكان الذي نحن فيه يصبح سهلا، لأن كلّ ما يحيط هنا يدور مضموناً بعمر الحضارة الإسبانية العربية، وقد صرحت لها موعداً بهذا المنحدر من الأرض : إنّه الوادي الذي يأوي مدينة الزهراء، وهي المدينة التي كانت أفضل مكان لاحتضان الروح الأندلسية التي هي - في جوهرها - استعداد حيوي للقاء، والتعايش.

إن السعادة تفسّرنا للجمهود التي بذلت في تنفيذ العمل «الأندلس 92» - المثل للجنة الوطنية بمناسبة المائوية الخامسة - لإعادة اكتشاف إسبانيا العربية راسهاماتها في التراث الثقافي والمعرفي الإنساني.

إن ما انعقد من ندوات علمية، وما أقيمت من معارض خلال هذه المدة يبرهن للعالم أجمع على مدى تفرق علماء، الأندلس في الميدان النئي ومدى مساهمتهم في المخلقيين العلمي والثقافي، كما أبرزت النشريات المتعلقة بهذه الحقبة التاريخية الجوانب المتيرة من فترة تعابش بين ثقافتينا، تركت أثراً لا يُمحى بإسبانيا.

لقد كانت الأندلس كما بين المختصين في التاريخ العربي والإسباني - رحاب لقاء، بين شعوب عاشت في هذا الفضاء، الحيوي، وتعودت على الاختلاف والاختلاف دون أن تفقد احترام التعددية في نسق العيش والمعتقد والبرامج السياسية مع انسجام وتناسق في الثقافات والعادات واللغات.

وكانت الأندلس - وكما لا يمكن أن يكون تاريخياً بطريقة أخرى - سرحاً للمراجعة
المقانقة دون مساس بالتعايش السلمي في الحياة اليومية، إذا استثنينا - بطبيعة الحال -
بعض الحالات الشاذة والمعنوية.

إن هذا التلاحم المشرّف لثقافات وحضارات متنوعة أنتج مرحلة تاريخية ثرية قام بها
وصل فيها إلى القمة النضج العلمي، وإنما فيها الفكر العقلاني المحرر. فكانت المأثر الكبرى في
مجال الاكتشافات التي تدين - بما وصلت إليه - لعلم الفلك وفن الملاحة الأندلسيين.

ولا يمكن أن ننسى أن هنا التقدّم العلمي والنحو النكاري مهداً أيضاً لقيام النهضة
الأوروبية، وذلك بمحاضتها على النصوص القدّيمة لكتّاب الفلكين وعظماء العلّاما من
الإغريق واللاتينيين.

وتعتبر الأندلس - في نهاية المطاف وبالنسبة إلينا نحن المجتمعون اليوم في رحاب مدينة
الزهراء الجيدة - مجموعة من الدلالات شبه الأسطورية من ماضٍ له حضارة، لا تتجسد في
أي مكان بمثل ما تتجسد به في هذه الآثار الموجلة في القدم التي تحضرنا الآن، وهي آثار
ترتبط بأسماء، لامعة كبن رشد وأبي القاسم الزهراوي وأبن حزم وأبن زيدون : إنها أسماء
لامعة يفتخر بها العرب والإسبان على حد سواء.

وإذا كان كلّ مجد لا محالة زائل، فلائي أودّ أن أبوز ما يبقى عالقاً بقلوبنا، ما يبقى يمثل
زادنا المشترك والإيجابي عن بقية قرون من ثورة التفاهم وطبعنا عدم التسامح : إلا وهو صلة
القربي والتقارب المشتركة طوال فترات من العلاقات المشرفة والتأثيرات التبادلية.

ولا شك أن الإبراز - وفي الأكثعور - يعيشون على اتصال مستمرّ بما هو عربي عن
طريق استعمال لغة تحت منظومة الأنظمة، أو عن طريق ممارسة لعادات شعبية وفنون
تقليدية أمكن المحافظة عليها بطريقة متازة.

وكذلك حافظت جاليات عربية من أحفاد المورسكيين المعروفيين بالكلد والعسل - وهم
يعيشون اليوم في مدن ذات طابع أندلسي كفاس وستور - بكلّ وفا، جديرين بالإكبار، على
مفاتيح منازلهم بفرخة وطلبيطة. وقد أجبر أسلامهم على مغادرتها عندما طفى منطق
الدولة على المنطق المغض.

ولكنّ مشاعر الوف، هذه لماضيهم الأندلسي والتي تجعلنا نشعر بأنّا أقرب ما نكون
منهم، لا يمكن - في بعض الحالات - أن ننسينا أن الحنين للماضي يستطيع أن يحجب
الواقع، لأنّه - وكما نجزئ ذلك ابن خلدون منذ ستة قرون - لا بدّ أن يوصلنا التاريخ إلى
الحقيقة عبر التثبت في الأحداث والبحث عن الأسباب التي صنعتها. إنّ هذه الحقيقة هي
التي نريد عرضها بكلّ ما أوتينا من روح إيجابية. إنّها حقيقة الشارع المشتركة والمرجوة
التي نودّ دفعها حاضراً ونسمّي نطويرها مستقبلاً.

وعلى سبيل المثال إنَّ الأندلس البرم هي الفضاء، المتوسطي المشترك الذي يوفر فرصاً للقاءات جديدة عبر تعاون ثقافي وفني وعلمي، وهو تعاون كفيل بفتح دروب جديدة من أجل العمل والأمل بين الشعوب التي تقاسم ضفتَي المتوسط شماليه وجنوبيه.

ولقد احتضنت إسبانيا - انطلاقاً من هذه القناعة - منذ سنة بالضبط وهي مدريد، مؤتمر «السلام حول الشرق الأوسط». وقد جمع هذا المؤتمر حول نفس الطاولة أطرافاً متنازعة منذ أربعين سنة. وفي الاتجاه كان مؤتمر مدريد علامة تحول نوعي في التاريخ السياسي للشرق الأوسط. والبرم يتواصل المؤتمر في شكل اجتماعات ثنائية ومتعددة الأطراف. ويرواصِل بلدنا جهوده لدفع وجهات نظر الأطراف المشاركة وتقريبها من أجل سلام عادل وشامل في هذا المنطقة المصطربة.

والأندلس البرم أيضاً مجسَّمة في مراطئنا المسلمين الذين هم طرف في مشروع حياة حرَّة مقام على احترام لحقوقهم مثل باقي المواطنين في بلد ديمقراطي. ونحن نحبُّني باعجاب انكابِهم - بتضامنِ تام - على الجهد والعمل المشترك. إنَّا منشغلون بما سأة من تدفعهم الحاجة للهجرة مجازفين بحياتهم آملين في عيش أفضل لهم ولأبنائهم، ولهم غالباً ما يعيشون - مع ذلك - على هامش المجتمع الذي رغبوا في الهجرة إليه.

لذا نشكر كلَّ المهرِّد المبذولة من أجل تطبيقِ الشكل. ونرافق في نفس الرقت بذلك ما نوي وسعنا من أجل التفاتة أوربية نحو ميراثنا في الحرب، وبالبعض أجدد البرم التزاماً بالعمل من أجل عالم أفضل للجميع.

تعتبر الأندلس البرم - وأسحرُوا لي باستعمال هذه المفارقة التاريخية - قرداً لواقع تعصره فيه حقوق الإنسان والمعتقدات الشخصية ~~لهم عيادة كلَّ قسيس ديني~~ أو عنصري.

إنَّها روح نود أن نراها تشغل البرم لمواجهة التعرُّض والانتصار، لبعض الإيديولوجيات التي هي ثرة قلق اجتماعي واقتصادي وسياسي بريء أخيراً بحدة غريبة.

من أجل هنا لا بدَّ أن تكون الأندلس أيضاً مشرقاً مستقبلاً يرتکز على الاعتراف بالأدراص التي ربطتنا في الماضي، وخصوصاً تلك التي تزيد أن غدَّها عقب إنجازات أوروبية وعربية مشتركة باعتبارنا شعراً ترثى إلى الغد بعقلية إيجابية وشقة في قدرة أهلها على تخفي عديد الصعوبات في عصرنا هذا.

نريد أن تبقى الأندلس في هذا الأيام مجسَّمة في مشاريع كالجامعة الأوروبية - العربية التي نحن ملتزمون بإنجازها. إنَّها جامعة يمكن أن ينهل منها شباب العالم العربي المعرفة ويسْعُ فيها زاده، الثقافي باتصال وثيق مع رفقاء له من عديد البلدان الأوروبية.

ولابدَّ أن تكون الأندلس قرداً لبناء إطار جديد للعلاقات في منطقة البحر الأبيض

التوسيط. إنَّ الْأَمْنَ وَالْتَّعَاوِنَ وَالْبَعْدُ الْإِنْسَانِيُّ هُوَ الْعَنَاصِرُ الرَّئِيْسِيَّةُ لِهَذَا التَّعَاشِ الْجَدِيدِ بَيْنَ جَمِيعِ بَلَادِنَ الْمَنْطَقَةِ.

وَلَا يَمْكُنُ أَنْ نَبْنِي نَصَارَى، جَدِيدًا مِنَ الْأَمْنِ وَالْاسْتِقْرَارِ إِلَّا بِاستِحْصَالِ آنَاتِ دُمَّعِ الْاسْتِقْرَارِ وَدُمَّعِ التَّعَاوِنِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَالْمَالِيِّ، وَتَشْجِيعِ الْمُحَارَرِ الشَّفَافِيِّ وَالشَّامِعِ فِي الْعَنَفَدَاتِ وَالسُّلُوكِ.

إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى الْانْصَامِ إِلَى هَذَا الْهَدْفِ الْجَدِيدِ لَأَنَّدْلُسِ جَدِيدَةَ تَرِيدُ أَنْ تَجْزِرَهَا مَعَا.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ



ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الخقنة المراطنة من خلال نصوص ورويات جديدة

د. إبراهيم القادري بروش
كلية الأداب . مكتاب
المغرب

لم تحظ ظاهرة الزواج في الأندلس باهتمام المورخين القدامى الذين اعتبروها مسألة «عائلية» صرفة، دون النظر إلى عمتها الاجتماعي، وإلى موقعها المتسلّز في خارطة الذهنية الأندلسية، لذلك لاذوا بالصمت والتكتم تجاهها. مما يجعل مهمّة التاريخ لها من الصعوبة عكاظ.

وتزداد الإشكالية تعاظماً بالنسبة إلى العصر المرابطي الذي يعد، بشهادة كل الدارسين، من أتعس العصور الوسيطة حظاً من الناحية المصدرية والوثائقية. فجعل المزلفات التارخية الراجعة إلى هذا العصر قد طواها الزمن، فضاعت بذلك حتى الإشارات الباهة التي يمكن أن تبدي ما يكتنف المرضوع من غموض.

بيد أن حل الإشكالية المصدرية يكمن . حسب نظرنا . في تجاوز المحرليات التاريخية ، لقراءة ظاهرة الزواج من خلال مؤلفات أخرى تتسمى إلى حد قول معرفية متربعة : من نوازل فقهية ودراين شعرية وزجلية ، فضلا عن أدب الأمثال العامية والتصوف وغيرها . ولعل قيمة هذه المصادر تكمن في معاصرتها للحقيقة التي تدوينها و «براءة» المعلومات التي تمد بها الباحث ، فضلا عن ثرائها وتنوع نصوصها ورواياتها .

انطلاقاً من هذه المرجعية، تهدف هذه الورقة إلى ملامسة ظاهرة الزواج في الأندلس، ومحاولة الإجابة عن تساؤلات طالما اهنت للباحثين في تاريخ الذهنات.

¹¹) «صورة» الزواج في عقلية المجتمع الأندلسي.

يقدر ما نظر المجتمع الأندلسي إلى الزواج على أنه قضية مصرية وتحمية لا غنى عنها لترسيخ الرابط الأسري وتثبيت كيان المجتمع⁽¹⁾ يقدر ما اتخذته موقف المحيطة والمندر لأسباب مادية ونفسية واجتماعية. وفيهم من الأمثال العامية الأندلسية مواقف وخطابات متفرعة تجاه، فقد نظروا إليه أحياناً «كشبع»، بسب تكاليفه الباهضة التي تزدي أحياناً إلى الفقر والأملان⁽²⁾ لاسراف النساء، في مطالبهن⁽³⁾، ومن ثم اتخاذ بعضهم موقفاً سلبياً منه، عبر عن

(١) قالت أمثال العامة : « الزواج والمرت هم لا يندر ». انظر : زمامه : الأمثال المغربية . مجلة البتة . ٦ سنة ١٩٦٢ ص ١١٣ - ١١٤ .

(2) قالت أمثال العامة: «زوجوه حرجوه». انظر: الزجالى: روى الأدوات ومرى على المرأة في نكت المخواص والعامر، نشره وحققه وعلق عليه د. محمد بن شريفة تحت عنوان: «أمثال العامر في الأندلس». صبعة ثناس بوليفوند 1975 ج 2 ص 242. انتا 1035 رقم.

(3) عن كثرة مطالب النساء، يقول منهم «خليبي ولا خلبيني». (ممثل رقم 816) وقائلاً كذلك على لسان المرأة: «ويم كياسك وعمل كذلك» (ممثل رقم 589). اظر نفس المصدر الصفحة

ذلك ابن قزمان (4) في أزجاله، فتشخص ما لقيه من صعوبات وتكليف جعلته يعاود نفسه بعدم الزواج مرة أخرى. ولعل هذه ما يفسر ظاهرة العزوف عن الزواج داخل المجتمع الأندلس. فترجم المخطبة المرا比طية تكشف عن أسماء عدد من الرجال الذين أحجموا عن الزواج تحت ضغوط مادية.

ومن موضوعية البحث التأكيد عن أن السبب لم يرتبط دائماً بفشل نفقات الزواج (5)، نشمة من عزفوا عنه رغم برهم وثروتهم (6). كما أن هناك الكثير من فضلاً حياة العزوة تصد التفرغ لطلب العلم والتحصيل (7)، أو تخوفاً مما يفرضه الزواج من واجبات ومسؤوليات جسيمة. ويقدم ابن قزمان (8) نموذجاً حياً للحالة الأخيرة. ولا غرو فقد ذكر في إحدى قصائده الزوجية أنه تزوج للمرة الأولى، غير أنه ضاقت ذرعاً بأمراته وما تفرضه عليه من مسؤوليات زوجية.

ومع ذلك عذَّ الزوج أمراً لا مفر منه، ووسيلة لإنجاب الأبناء، وتعزيز الروابط بين أفراد الأسرة. ونظر المجتمع إلى كل من تخلى عنه نظرة الارتياح والشك في سلوكه الاجتماعي (9)، لذلك نجد في كتب النوازل نماذجً من تزوجوا بأربعة نسوة (10). بل إن داعبة المرا比طين عبد الله بن ياسين «كان نكاحاً للنساء»، يتزوج في الشهر عدداً منهم ثم بطلقهن» (11). وانعكست هذه الظاهرة في كتب الفقه حيث خصص أحد فتاواه، المرا比طين بباباً كاملاً لذكر

(4) ديوان ابن قزمان، تحقيق كيرينطي، طبعة مدين 1980 - المعهد الإسباني العربي لتنمية ص 18 نصيحة 18.

(5) انظر: عياض: ترتيب المارك . تج معه أمراء طبعة قضالة - الحديدة 1981 ج 8 ص 195 وكذلك: ابن

الأبار: التكميلة لكتاب الصنة. نشر «الفردبل»، وأبن أبي شنب. طبعة الجزائر 1911 ج 1 ص 143، 157 ثم ج 2

ص 520، 527، 687، 936. وانظر كذلك: ابن عبد الله: الذيل والتكميلة. سفر 5 في تحقيق إسان عياس ص 649 -

ابن الزيات: كتاب الشول. نشر: أحمد التوفيق. طبعة البيضا، 1984 ص 109، 136، 161، 233، 255، 301، 342،

انظر أيضاً ابن قزمان : م ص 21

(6) ابن الأبار: م. س ج 2 ص 936. ترجمة عبد الله بن عبيش.

(7) مؤلف مجهر: سفاخر البير. نشره ليفي برونسال. طبعة اليماط 1934 ص 70.

(8) انظر دررane ص 21 نفس 21 التي يقول فيها :

صرت عازب وكان لعربي صواب

لس تزوج حتى يشيب الغراب

أنا ناسيب بالس نقول بزراح

ولا حل ولا عمر بنساج.

(9) عبرت العامة عن ذلك في مثل الآتي: «عازب ومتفرق، ثلثي قطيم ينفي نبه».

انظر الرجالي : م. س ج 1 ص 243.

(10) ابن رشد : نوازل ابن رشد مخطوط الخزانة العامة بالرياط رقم 731 . ص 75.

(11) ابن عذاري : البيان المغرب. تج ليفي برونسال وس. كولار. طبعة بيروت 1980. (ط2) ج 4 ص 16.

انظر كذلك: ابن أبي زرع : الأنبياء المطرب طبعة اليماط 1973 ص 132 وكذلك: البكري : المغرب في ذكر بلاد

إفريقية والمغرب نشره دي سيلان طبعة الجزائر 1911.

أحكام تعدد الزوجات(12).

غير أن ذلك لم يحل دون استفحال أزمة الزواج داخل المجتمع، والراجح أن النساء كن يفتنن الرجال عدداً يسبب المخوب المستمرة التي خاضتها الدولة المغربية، مخلفة العديد من الأرامل(13). كما أن تجارة الجنوبي أفسنت عن اكتظاظ الأسواق بهن، فمعزّ الزواج وكثرة العوانس(14). والجدير بالذكر أن بعض الأندلسين لم يتزوجوا من نساء أندلسات، بل رأوا لظروف الغربة والأسفار. فضلوا الزواج من نساء مصريات(15) أو إسبانيات(16).

2) معايير اختيار الزوجة

نظراً إلى قلة شعر الغزل في المسر المغربي، لا نعرف ما إذا كان الزواج يتمّ عن طريق الحب. وحتى إذا افترضنا ذلك، فقد ظلّ في معظم الحالات مكتوماً بسبب القبرد الاجتماعية. لذلك ظلّ الزواج يترمّ أساساً على معايير ومواصفات ينطلبها الرجل في المرأة. فالمرأة المغربية نفسها من قبل الرجل المقرب على الزواج حسبما نستشفه من نصوص الفترة موضوع الدراسة اختلفت حسب المستوى الشعري والاجتماعي لفنانات المجتمع. فالمحضرمي. أحد قضاة المغاربة. لخص مقاييس اختيار الزوجة في ضرورة توفرها على ثلاث خصال : طيب الأصل، وحسن الخلق، وكمال الدين. لذلك قلل بعض الرجال اختيار نسائهم من البركات الشرفية الأصل(17)، بينما تنافس بعضهم في الزواج معهن ضرين في العلم بسيئهم وأفقر(18). أما العرّام فقد قضلوا المرأة الجميلة البدنية الشفرا،(19)، ونقوذاً من المرأة القصيرة القامة كما ترضع ذلك أمثالهم(20).

(12) انظر : ابن زكريا : اعتقاد الحكماء في مسائل الأحكام مخطوط الحرثانة العامة بالرباط قسم المغطرطات والوثائق ص 57.

(13) ما يزيد ذلك قول ابن قزمان وهو يصف متلا بطل على ربع :

والريض لا شرخ ولا حجاج وأرمان ملاح بلا أزواج

انظر : م.ص 562 نص 87.

(14) السيرطي : ترجمة الجلسات من أشعار النساء. ترجمة عبد الدين عبد الحميد. طبعة القاهرة 1964 ص 87 ترجمة رقم 30، وكذلك ص 104 ترجمة ولادة بنت المتكلّم.

(15) مثل أبي بكر الفخراني (ت 520/1126). انظر النسبي : أعلام الاسكندرية. طبعة مصر 1965 دار المعارف ص 71.

(16) انظر : القرني : نفح الطيب. طبعة مصر (دون تاريخ) مطبوعات دار المأمون ج 2 ص 632.

(17) ابن عبد الملك : م.ص ج 8 ق 1 ص 395.

(18) ابن الزبير : صلة الصلة. نشر، بروتسل. طبعة الرباط 1938. المطبعة الاقتصادية ص 131.

(19) الزجالي : م.ص ج 2 ص 34. وقد أورد مثلاً عامياً يدل على رغبة الرجال في الزواج بالمرأة البدنية إذ يقول هذا المثل : «الشعم زين ومن فقدت حزين» (مثلك رقم 121). وعن رغبة العرّام في المرأة الشفرا، يقول مثلكم : «أي هر النمش ثم انش». انظر نفس المصدر ص 107.

(20) قال العادمة . «أي هي ركبتها، ثم هي ثقبتها». كناية عن القصر البالغ. (مثلك رقم 122). انظر نفس المصدر ص 34.

ورغم أن ابن قزمان (21) حذر من الانخداع بعمال الفتنة والاتّهاب وراء المظاهر الخداعة، فقد ظلّ العمل بسبل تعاب الرجال وتجذبهم، وربما كان ذلك وراء انخداع بعضهم وانسياقهم وراء الزواج بنساء مسوّت. وفي هذا المنحى ذكر ابن سعيد (22) في ترجمة أبي القاسم أحمد أنه تزوج عاهرة ترفض في الأعراس.

بيد أن أهم ما كان يشترطه الرجل في المرأة التي يعتزم تكاحها يتمثل في سلامية البكاراة، كما تبين ذلك معظم تصوّص الفترة موضوع الدراسة. نجد مصداقاً لذلك كثرة النوازل التي وردت بشأنها لدى فقهاء الحلة المراقبية (23).

في هنا السبق، تشير بعض كتب الوثائق والعقود إلى عادة قيام امرأتين تسميان القابلتين باختبار حوال الفتنة، فإن وجدتاها بكرًا سلمتا لها شهادة ثبت سلامتها بكارتها (24). لذلك سمعت بعض العائلات إلى كتابة عقد لبيانهن اللائي فقدنها بسبب خارج عن إرادتهن كاللوبيّة أو الخبض أو السقوط من درج أو سلم دفعاً للشكّة والعار حتى «يشبع ذلك ويفشو عند الجباران، ويدفع بذلك عار الناس الذي نزل بها» (25).

لكن بعض الرجال لم يجعلوا أدنى هرج في الزواج بالمرأة الشّيّب ضعفاً في أموالها أو مكانتها الاجتماعية. من ذلك أن أحد المراقبين في إشبيلية تزوج بالمرة حوا، بنت تاشفين بعد وفاة زوجها الأول (26).

والمثل في إن التراباء العائلية شكلت أحياناً مقياساً لاختبار الزوجة. فنكاح بنت

(21) انظر ديوانه ص 15 فقر 18 ويقول فيها :

أش ذا العسى يا من ملأ عيني

إبك ثغري الغلط والرين

(22) المغرب في حل المغوب تج. د. شرقى ضيف. طبعة دار المعارف بمصر (دون تاريخ) ج 1 ص 384.

(23) انظر : ابن الحاج : نوازل ابن الحاج. مخطوط المخازنة العامة بالرباط قسم الوثائق والمخطوطات ص 72 وكذلك ابن رشد : م. ص 6 - 68.

(24) مولف مجهر : تشبيه الأنبياء. مخطوط المخازنة العامة بالرباط. قسم المخطوطات والوثائق. برقة 97 الرّوج الأعلى.

(25) الجزيري : المقص المسود. مخطوط المخازنة الحسنية ص 20 - 21.

(26) ابن رشد : م. ص 52 - الوثريسي : المعيار المغربي. طبعة الرباط 1981 - نشر وزارة الأوقاف بالمغرب ج 2 ص 65.

العم كان ظاهرة مألوفة عزها «قيشار» (27) P.GUICHARD إلى التأثير العربي في الأندلس، لكن لا يجب في اعتقادنا تعميم هذا الحكم. فإذا استثنينا الإطار القبلي، وجدنا أن الظاهرة انتصرت على طبقة الخاصة، وهدفت، فيما ترجم، إلى الحفاظ على الميراث العائلي، فالإمير عبد الله بن بلkin يخبرنا في مذكراته أنه عقد العزم، قبل نفيه إلى المغرب، على تزويج بنته من بني عمّها (28)، كما أن أخت علي بن يوسف تزوجت ابن عمّها (29).

ولم يشكل المعيار العقائدي استثناءً بالنسبة إلى مختلف المعايير الأخرى لاختيار الزوجة، ذلك أنَّ كثيرةً من الرجال وفي طبعتهم الأمهات المرابطون لم يجدوا غضاضة في الزواج بنساء مسيحيات من شمال الأندلس أو جوار صقلبيات. في يوسف بن تاشفين تزوج رومية تسمى رياض الحسن (30). كما أن ابنه على عقد على نكاح جارية مسيحية تدعى قمر (31). ولا يخامرنا الشك في أن ظاهرة الزواج بالكتابيات انتشرت كذلك في أوساط العامة، فالشبان الأندلسيون ضربوا بترجيحات الفنها، عرض الحافظ نرلعرا بالفتيات النصرانيات إلى درجة أنهم أصبحوا يتزوجون على الكنائس لرؤية ع شبقاتهم المسيحيات (32). ولعل ذيوع عادة زواج المسلمين بالسيجيات هو الذي جعل الجزيري (33) يضم كتابه «المقصد المحمد»، نزدجاً من صيغة عقد نكاح الكتابية.

أما بخصوص المواصفات والمقاييس التي تحبذها المرأة في الرجل، فيسبقها سزال هام : هل

structures "orientales" et "occidentales" dans l'Espagne Musulmane. Paris 1977. (27)
p. 74.

- (28) كتاب النبيان، نشر، ليفي برونسال، طبعة القاهرة 1955. دار المعارف ص 139 - 140.
- (29) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ترجمة عبد الله عنان، طبعة القاهرة 1974 ج 1 ص 413.
- (30) مؤلف مجهرل، الحلال المروشية، ترجمة زمامنة، زكار طبعة الدار البيضاء، 1978 ص 84.
- (31) ابن عذاري، ك، م، ص 97، ابن أبي زرع، م، م، ص 165.
- (32) ابن سما، الذخيرة في معasan أهل الجزيرة، ترجمة د. إحسان عباس طبعة ليبا، تونس 1981 ن 1 مع 2 ص 707، 705.
- (33) المقصد المحمد ص 10.

كان للمرأة الأندلسية حق اختبار زوجها؟

تفصح أغلب النصوص أن الأب أو الوالى كان صاحب القرار الأول والأخير في تزويج ابنته دون استشارتها في معظم الأحيان. وما يذكره هذا التخريج أنه بعيد مفروط إثبالية في قبضة المرابطين، سبب إحدى بنات المعتمد بن عباد، فاشترأها أحد التجار ث ومهما لابنه، فلما أراد هذا الأخير الدخول بها خاطبته بقولها : «لا أحل لك إلا بعد زواج شرعى إن رضي أبي بذلك»؛ ولم يتم زواجها به إلا بعد موافقة المعتمد بن عباد وهو في منفاه بأغمات (١٣).

وتشير بعض التوازيل إلى رجل غاب عن زوجته فزوجها والدها بـرجل آخر دون علمها على الرغم من أن الزوج الأول عاد إليها (35). كما أن امرأة أخرى زوجها في السجن لمجرد أنها تزوجت بغير إذن ولديها (36). فالزواج بالنسبة إلى المرأة الأندلسية اعتبار ثانٍ عائلياً أكثر منه ثالثاً فردياً أو حالة تهمها شخصياً. فوالدها على شخصه هو الذي كان يتكلف بهمزة زواجهما في ضوء مصالحة خاصة.

ولا تُعدم من النصوص ما يدل على مظاهر فضيحة بالنسبة إلى تحكم الآباء في مصير زواج بناتهم، إذ أن بعضهم عقدوا لهن عقود العقدة قبل بلوغهن !!

وفي هذا الصدد يورد عن ابن الحاج (37) ملائمة حوله «رجل كاتب، له ابنة من ثانية أعمام، فخطبت إليه فابنته عن زواجهها لصغرها، ثم إنه حشم فيها، وهو ن عليه الأمر فزوجها على أن يدخل بها الزوج إلى انقضاء أربعة أعوام». والحالة نفسها وقعت في مبنية بلنسية (38).

غير أن هذا الزواج المبكر أثار بعض المشاكل بسبب إرغام الفتاة أحياناً على الاقتران برجل يكبرها سنًا، ولا تكن له أية عاطفة، وهو ما أدى في بعض الحالات إلى هروبهما، (39)، أو اغتصابها لنسبا (40).

(34) أدهم : المعتمد بن عباد ص 309 - 310

62) این رشد: میتوصل

ابن الحارث : ج ٢ ص ٦٢

76(37) نوازل این اخراج ص

فہرست 61 (38)

56 [39] ابن رشد : م س ص

73 - م. س. ص ابن الحاج (٤٠)

لكتنا لا نعدم من الشواهد ما يثبت أن المرأة في بعض الأوساط الوجهية كان لها رأي وقرار في اختيار شريك حياتها، فلبللي معتقدة الوزير أبي بكر بن خطاب (ت 528/1133) « تعرض خطبتها جماعة لم تجدهم»، (41) كما أن زين الفزائية لم تستجب لكثير من الأشياخ والأمراء، بل اشترطت أن يكون زوجها «من يقدر على حكم المغرب برمته»، (42).

لكن من الأكيد على العموم أن المرأة الأندلسية نادراً ما رفضت من تقدم خطبتها إلا إذا لم يستهورها الرجل لسبب من الأسباب وفي هذا المجال ذكر ابن الأبار (43) أن الشاعرة نزهون بنت القليعي رفضت رجلاً قبيح الوجه جاء بطلب بدها.

كل ما كانت تشرطه المرأة في الرجل، ضرورة حذفه لصنعة يضمن بها عيش العائلة، وحسبنا دليلاً على ذلك أنه عندما بعث فخر الدولة بن المعتمد بن عباد أحد الوزراء، ليخطب له امرأة من إشبيلية، أقسم له أبوها بالأيمان المفلترة أنه لن يزوجها «إلا من له صناعة يستر حاله وحالها بها»، (44).

وعلى كل حال، إذا ما توفرت هذه التاييس أو بعض منها، تبدأ أمور الزواج بالخطوبة، وتنزل إلى إحدى المخاطبات هذه، المهمة مبنية صفات و«حسنات» كل من الرجل والمرأة، وأحياناً يتغير بهذا الدور أحد الأصدقاء، (45)، وقد اعتذر الأندلسيون يوم الجمعة البارم المفضل لهذه المناسبة، (46).

وإذا لم يكن للبنت ولد، يتوجه إليها شاهدان يعرضان عليها أمر الزوج الذي تقدم خطبتها، فإن سكتت عن ذلك رضى وتبرلا من جانبها، فتنتهي الخطوبة، ويتفق على مقدار المهر، (47).

(41) ابن الزير : م. س. ص 566

(42) ابن عذاري : م. س. ص 18

(43) المقتبس من كتاب تحفة القادر، تج. إبراهيم الأبياري طبعة 1403 هـ 1983. نشره دار الكتاب اللبناني ص 216

(44) التبرري : نهاية الأربع، تج. د. حسين نصار، ص 68

(45) ابن بسام : م. س. ف. 1 ص 345

(46) مولف مجهول : كتاب في النقد مخطوطه المزähنة العامة باليد تسم الوئائق والمخضرطات

(47) ابن الحاج : م. س. ص 62.

(3) طبيعة المهر

من الراجح أن المهر في الأندلس كان أعلى بكثير من نظيره في المغرب الأقصى، فإذا كان عبده الله بن ياسين - رثيَّل النعوذ المغربي - «لا يسمع بإمرأة جميلة إلا خطبها، ولا يجاوز في مهرها أربعة مثاقيل» (48)، فإن ابن رشد (49) أقرَّ حول نازلة ورثت عليه بالأندلس مفادها أن مهر إحدى النساء، بلغ ستين مثاقلاً مرابطيًا، فضلاً عن الشباب والجواهر، وهو مقدار يفوق 15 سرة ما دفعه عبد الله بن ياسين. ويتم أداؤه أحياناً عيناً. أما إذا دفع نقداً فلا يكتب في عقد الصداق بحساب الدینار المراطي، بل حسب صرف كل مدينة (50). واعتبر الحد الأدنى في المهر ربع دينار ذهباً أو ثلاثة دراهم فضة (51). ومن عجز عن أدائه دفعه واحدة أدى قسطاً وأجل القسط الآخر (52). وبهذا الخصوص جاء، في الرويات أن أحد متصرفات الأندلس لم يؤدِّ مهره الموجل كاملاً لزوجته إلا عند شعوره بقرب ساعة موته (53).

ومن الأكيد أن قيمة المهر اختلفت حسب موقع العائلات في الهرم الاجتماعي. فكتب النازل التي تحدثت بأسباب عما كان يسوقه الرجل لزوجته في عقد الصداق ثبت أن السباق شملت أحياناً قرية بكمالها (54)، وأحياناً أخرى نصف ما يملكه الرجل (55)، وقد ساق رجل في مهر زوجته مالاً وداراً (56)، بينما شمل مهر رجل آخر نصف قطعة أرض محدودة لامرأته، واتفق معها في عقد الصداق على بنائها بنيان يكون مناصلاً بينهما (57).

(48) البكري : م. ص 169 . ابن عذاري : م. ص 16 . ابن أبي زرع : م. ص 132.

(49) نازل ابن رشد ص 313 . محمد بن عياض : مذاهب الحكم في نازل الأحكام ، مخطوط المزانة المسندة ورقه 29 الرجه 2.

(50) مؤلف مجھول : كتاب في الفتن ، مخطوط المزانة العنة بالرباط قسم المخفرات والوثائق رقم 2198 ص 63 وقد نقل نازلة ورثت عند ابن الحاج المعاصر للمرابطين يترى فيها : «مسألة ابن الحاج : إذا كتب في الصداق أو في عقد الأشارة كذا ركنا ديناراً مرابطيّة طيبة فالعقد فاسد حتى يتزول من صرف مبنية كذا...».

(51) ابن سهل : م. ص 75.

(52) ابن رشد : م. ص 62 . محمد بن عياض : م. ص 168 الرجه 1.

(53) السلفي: معجم السلفي . تحقيق إحسان عباس طبعة بيروت 1963 - دار الفتنة ص 19 - 20.

(54) ابن الحاج : م. ص 4.

(55) نفسه ص 6 . ابن رشد : م. ص 219.

(56) ابن رشد : م. ص 159.

(57) نفسه ص 59.

وانتصت العادة والأعراف في بعض المدن الأندلسية كمدينة شلباً أن يشرّر الأب ابنته شواراً برازي أو يفرق ما ساقه إليها زوجها في المهر (58). وكان مثل هذا الشرار يخصص لتأنيث البيت، إلا أنه تسبّ أحياناً في إثارة التزاع بين الزوج وصهره بسبب ادعاء الأخير أن شواره لابنته لم يكن إلا على سبيل الإعارة، وهو ما ثبّته بعض النرازال (59).

وجرت العادة كذلك أن يجهز الأب أو الأم ابنتهما. فقد جاء، في إحدى التراثيم أن أحد أصدقائه، الطبيب أبي بكر بن زهراء، همّ وحزن بسبب احتياجه إلى ثلاثة دينار لتجهيز ابنته (60). راضطرت بعض الأمهات إلى بيع جميع ما في حوزتهن لتجهيز بناتهن (61)، بينما اختار بعض الآباء، تجهيزهن بالمهر الذي حصلوا عليه من الزواج (62). وتكشف بعض المصادر عن أنواع من الشباب التي كانت تجهيزها المرأة المتقدمة على الزواج، وتتمثل في العفاراة والمحرفة والشباب الرازي (63)، بينما لم تجد العتلات الفقيرة ما تجهيز به بناتها، لذلك كان بعض المحسنين يتطوعون «تجهيز الضعيفات إلى أرواجهن» (64).

عقود الزواج :

بعد الاتفاق على المهر والترتيبات الأخرى، تتم كتابة عقد الزواج. وقد أحدث لهذا الغرض خطة تسمى بخطة الماكح لتزويع المرأة التي عاتب عنها ولبيها (65)، أو من لا ولبي لها (66). واشترط بن عبدون (67) أن لا تكنف هذه الخطبة إلا للرجل فتبيهه يورع. وقد تولاها في قرطبة

(58) ابن رشد : م. س. دراسة الحنفية من نظر الباحث التبعكاني. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية أصول الدين بتضييق 5 ص 897.

(59) ابن رشد : م. س (المخطوط ص 63). بن سهل : م. س ص 108 - 109.

(60) ابن أبي أصيحة : عبير الآباء، في حنة الآباء. طبعة بيروت 195 ج 3 مع 1 ص 111.

(61) ابن الحاج : م. س ص 47.

(62) نفسه ص 68.

(63) نفس المصدر والمفتحة.

(64) أمير عبد الملك : م. س ج 8 ق 1 (الحنفية محمد بن شريفة) ص 266.

(65) مزلف مجبر : كتاب في الفقه ص 7 - 48.

(66) ابن الحاج : م. س ص 60.

(67) رسالة في الحنة ص 13.

زيدون ابن محمد المخزومي (68)، وأحياناً كان يكتب عقد النكاح في النزل، ويستدعي حضوره الجيران للشهادة على صحة الزواج، وتفاهم بالمناسبة ولهمة يتناول فيها الحاضرون أنواعاً من الحلوي (69).

ومن خلال فراغ بعض عقود النكاح، تستثني بعض الشروط التي ضممتها المرأة إياه ومن بينها عدم زواج بعلها أو تسرّيه بالسرايا (70) خاصة في الوسط الاستقرارطي. بل إنَّ بعض النساء، ضيقن الخناق على أزواجهن حتى أنَّ إدعاهن نرضت على زوجها الالتزام في «كتاب صناقها معه أن الدخلة عليها بنكاح طالق» (71). كَـ اشترطت امرأة أخرى على زوجها في عقد النكاح ألا يضرّها، وألا تندبه إلى مالها إلا بإذنها ورضاهما (72).

وكان ينصُّ في بعض عقود الزواج على النحلة التي ينحلها أهل الزوجة والزوج (73). فقد بلغت نحلة إحدى الزوجات خمسة مثاقيل مرابطة (74) وتمثلت النحلة أحياناً في دار يهبيها الأب لابنته (75)، أو قطعة أرض ينبعها لصهره لبنا، منزله فيها (76)، بل كانت النحلة تشمل أحياناً أملاكاً واسعة (77).

وتوجد في كتب الوثائق والعقود الأندلسية نماذج من صيغ عقود الزواج التي كان يذكر فيها اسم الزوج والزوجة ومقدار الصداق والنحلة، وفيها يتعهد الطرفان بالإحسان والصحبة وجميل العشرة، ويلتزم الزوج في العقد بعدم الزواج ثانية أو التسرّي أو الفحمة الغريبة التي تتجاوز ستة شهور باستثناء فترات الحج، كما ينصُّ فيه على عدم حرمان الزوجة من زيارة أهلها، وذوي

(68) ابن الأبار : م. سج 1 ص 335.

(69) ابن عبد الملك : م. س. سر 6 (المحقّق إحسان عباس) ص 57 ترجمة محمد بن أحمد.

(70) ابن الحاج : م. س ص 84 - 85.

(71) ابن رشد : م. س ص 75 - 77.

(72) محمد بن عياض : م. س درقة 67 الوجه 1.

(73) ابن الحاج : م. س ص 4 - المزيربي : م. س ص 6 - 7.

(74) نفسه ص 48.

(75) ابن رشد : م. س ص 6 - 7 - 310.

(76) محمد بن عياض : م. س درقة 55 الوجه 1.

(77) الزياتي : المراجر المختارة فيما وفقت عليه من نوازل غسارة، مخطوط المخازنة العامة بالرباط، قسم الوثائق والخطورات رقم 1698 ص 137.

محارمها من الرجال، وعدم الانتقال بها من مكان إلى آخر دون مراقتها ورضاها (78).

وعلى الرغم مما تضمنته عقود النكاح من شروط والتزامات، فإن ذلك لم يكن كافيا لتفادي بعض المشاكل. فقد وردت على ابن سهل (79) نازلة حول امرأة «ادعى نكاحها رجلان، كل واحد منهم يزعم أنها زوجته». كما أن العديد من الأزواج كانوا يغيبون عن زواجهم، مما تمغض عنه نسخ عقد الزواج (80).

أما بالنسبة إلى عقد زواج المسلم الأندلسي بالمرأة الكتابية، فلا يختلف عن عقد نكاح المسلمة، فإن كان لهذه الأخيرة ولبي ذكر في نص العقد، وإن لم يكن لها ولبي «عقد نكاحها أساقة أهل دينها» (81)، إلا أن التشريعات التقربية حرصت على ألا يعقد نكاح المسيحية أو البهودية أمير أو ولبي مسلم «فأولئك زوجها حق بالعقد إلا أن يأبهوا فبعده نكاحها الأمير» (82).

ولا تنورتنا الإشارة في الختام إلى مبادرة ما يعرف بزواج التسعة الذي وجد فيه بعض طيبة العلم وسبلة لتجنب الزنا، وكان الزوجان معا يحددا مدة حبس رغبتهم. ويعقد عقد الزواج في هذه الحالة دون ولبي المرأة، ولم يست Jian المهر في هذا النوع نصف درهم حسبما تبيّنه بعض النصوص، لكن الفقيه ابن رشد أفتى بضم جوانز شرعاً ووجوب إقامة الحد عليه (83). غير أن

الواقع العياني تجاوز المعاذير الفقهية

تلك إذن الخضرط العريضة حول ظاهرة الزواج في الأندلس حسبما وفرته المادة التاريخية المساحة. ومن خلالها أمكن الوقوف على هذه الظاهرة الهامة في حياة المجتمع الأندلسي ومن المعلوم أن الزواج لم يخل من مشاكل وصعوبات مادية ونفسية سنكتفي بعرض وثيقة تعكس إحدى مظاهرها، عٌنى أن شخص لها دراسة وافية في بحث لاحق بعنوان الله.

(78) الجزيري : م. س ص 312.

(79) نوازل ابن سهل ص 80.

(80) انظر العقد الوارد في الملحق رقم 2 ص 13.

(81) الجزيري : م. س ص 10.

(82) ابن سلين : العقد النظم للحاكم، فيما يجري بين أيديهم من العقد والأحكام. مخطوط المزانة العامة بالرباط قسم المخطرات والوثائق. ورق 28 الوجه 1.

(83) نوازل ابن رشد ص 56 - 57.

الملحق رقم 1

عقد يتضمن شهادة خرب زوج لزوجته إلى حد الجرعة

«أشهد ناطة بنت القاسم على نفسها، وهي مضطجعة النراش في صحة من عقلها، وثبات من ذهنها تشك ألم جراحات في جسدها، إحداها بمؤخرة رأسها، وإثنان منها بجنبها الأيسر تحت مرجع كتفها من الجهة المذكورة، والرابعة يظهرها مائلة إلى الجانب الأيسر، الخامسة برأس منكبها الأيمن، والسادسة تحت إبطها من الجهة اليسرى تجد منها ألم الموت. وذكرت لهم أن جانبيها علىها والمصيبة لها بجميعها زوجها عبد السلام على وجه الاعتداء منه والعدم والظلم الموجب للقتل (1). فتى حدث بها الموت قبل ظهور برنها وفاقتها من جراحاتها هذه، فإن المصوب بدمها زوجها المذكور إذ كان هو الجاني لذلك كلّه عليها على وجه العمد كما ذكر. شهد على إشهاد ناطة بجميع ما فيه عنها من أشهدته به وهي بالحالة الموصوفة وعابين جراحاتها وإن ذلك مما لا يفعل المرء بنفسه. في هذا...»



ابن الحاج : نوازل ابن الحاج
مخضرط المزانة العامة بالرباط رقم
الرثائق والمخضرطات رقم 55.

مركز توثيق كامبتوبر علوم إسلامي

الملحق رقم 2

عقد إشهاد على صفيح الزوج عن زوجته

«يشهد من يسمى في هذا الكتاب من الشهدا، أنهم يعرفون فلان بن فلان بعيشه واسمه معروفة صحيحة ويعلمونه قد غاب عن زوجته فلانة بنت فلان بعد بنائه بها أزيد من ستة أشهر شهدت تاريخ هذا الكتاب بحيث لا يعلمون في غير سبيل المحج ولا طريقه، ولا يعلموه رجع إليها منذ غاب عنها ولا طرقها سراً ولا جهراً إلى حين إيقاعهم لشهادتهم في هذا الكتاب وكان إيقاعهم لها فيه حسب نصه المختلف فيه في شهر كذا من سنة كذا...».

المغربي : القصد المعروه في تلخيص
الرثائق والعقود من 34 مخضرط المزانة الحسينية بالرباط رقم 5221.

(1) كلمة غير راضحة في المخطوط استحسننا قراءتها كما أوردناها في المتن.

الملحق رقم 3

نموذج عقد زواج وما يتضمنه من شروط المرأة

«الحمد لله الذي خلق من الماء بثرا، فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قدبرا. أحمده حق ما قرب إلبه من معبود النكاح وأشكره على ما نهى عنه من مذموم النكاح، وصلى الله على محمد نبيه الهدى إلى طرق الفلاح والنجاح، وعلى آله وصحبه ما غار كركب في الأفق ولاح.

أما بعد فقد أصدق فلان بن فلان الغلاطي زوجه فلانة بنت فلان الغلاطي أصدقها على بركة الله وينه كذا وكذا دينارا أو سكة كذا نقدا، وكالبا النفاذ كذا، قبضه للمنكحة المذكورة والدها فلان ليجهزها به إلى زوجها المذكور وأبرأه منه ثغرى والكالي كذا، يزخر عن الناكح المذكور إلى القضا، كذا من تاريخ هذا الكتاب تزوجها بكلمة الله تعالى وعلى سنة محمد صلى الله عليه وسلم، ولتكن عنده بأمساك بمعرفه أو تسرع بإحسان، وعليه أن يتقي الله تعالى في صحبتها ويحمل بالمعروف عشرتها جهده كما أمره الله تعالى وجل وله عليها مثل ذلك من حسن الصحبة وجميل العشرة ودرجة وطاع الناتج المذكور لزوجه المذكورة بعد أن ملك عصمتها استجلاباً لمورتها ونفان⁽¹⁾ لسرتها بأن لا يتزوج عليها ولا يتسرى معها، ولا يتخذ أم ولد عليها، فإن فعل شيئاً من ذلك فالداخلة عليها بنكاح أو مراجعة طالق والسرقة وأم الولد حرثان لوجه الله تعالى، وأن لا يضارها في نفسها ولا فيأخذ شيء من مالها، فإن فعل شيئاً من ذلك فامرها بيدها وأن لا يغيب عنها غيبة بعيدة أو قريبة طائعاً مكتوها عيشه ما توجه من أسفاره من ستة أشهر إلا في أدا، حجة الفريضة عن نفسه فإن له في ذلك مغيب ثلاثة أعوام، فإن زاد على هذين الأجلين أو أحدهما فامرها بيدها والقول قرلها المتضي من أجلها مع يمينها فيه في بيتها بما يجب ثم يكون أمرها بيدها، وأن لا يرحلها من موضع كذا إلا بإذنها ورضاهما، فإن رحلها مكرهة فامرها بيدها وإن هي طاعت له بالرحيل فرحلها ثم سأله الرجمة فلم يرجعها من يوم تسله ذلك إلى انقضائه، ثلاثة أيام فامرها بيدها، وعليه مئنة انتقالها ذاهبه وأبيه وأن لا يمنعها زيارة أهلها من النساء، وذوي محارمها من الرجال فيما يحسن ويحمل التلوم في جميع ما اشترطه لها تلزمها شرطها، أنكحه إليها والدها وهي بكر عذرا، في حجره، وولاية نظره خلو من الزوج ومن عدة الوفاة بما ملكه الله تعالى من بعضها يجعل بيده من العقد عليها.

(1) في أصل المخطوط، وتنا

شهد على إشهاد الناكع فلان المنكح فلان المذكورين على أنفسهما بما ذكر في هذا الكتاب
عنها من عرفها وسعه منها وهذا بحال صحة وجواز أمر من عاين بعض المنكح للنقد المذكور
وذلك في العذر كذا من شهر كذا من سنة كذا».

الجزري : المتضد المعسر ص 2 - 3

الملحق رقم 4 عقد إشهاد حول سقوط عذارة فتاة

«أشهد فلان أنه كان من قضاء الله تعالى وقدره على ابنته البكر فلانة الصغيرة في حجره
أن سقطت من درج أو سلم أو دكان فسقطت عذرتها فأشاع أبوها المذكور ذلك ليشيع ذلك ويفسر
عند الجيران، ويدفع بذلك عار الناس الذي نزل بها ولثلا يظن بها عند بلوغها غير ما حدث بها مما
ذكر في أيام الظان معها، وتلحقها من ذلك غضاضة».

الجزري المتضد المعسر ص 20 - 21

مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية

من منتصف القرن 11/5 إلى نهاية القرن 15/9

بقلم الاستاذ : محمد العبيب العيلة

إذا كانت الرؤى الأساسية لفقها، المسلمين أن يضعوا أحكاماً لكل ما يحدث للناس من قضية في مجتمعاتهم ضمن إطار العصر الذي يعيشونه، فإنهم يقررون في نفس الوقت برو ظائف أخرى أهمها :

أ . تقديم اجتهادات وأحكام يمكن أن تستفيد منها الأجيال اللاحقة في ما يعرض لهم من قضايا زمانهم.

ب . التصريح الصادق والمحققى للكثير من الواقع المعيش، يقدم للباحثين في التاريخ والحضارة عناصر تاريخية لا يرقى إليها شك تمكنهم من دراسة علمية جادة ونزيهة.

وهكذا يظل الفقه الإسلامي من أكثر العلوم مساعدة للتتطور البشري واستجابة لمتطلبات التحول الطبيعي في الأمم، إذ هو يقدم للأجيال اللاحقة زيادة التجارب التشريعية التي وضعها الأجيال السابقة.

ولعل كتب الفتاوي من أكثر الكتب الفقهية استجابة وتصريحاً لمعطيات التطور البشري، ذلك لأنها تقدم لنا صوراً اجتماعية واقعية، إذ هي بمثابة سجلات المحاكم الجامعة لأهم النوازل والقضايا الشائكة في العصر.

وإذا كانت كتب الفقه تقدم أحكاماً تصورها الفقهاء أو مجردة من الفقه، وعلوها بحسب تجاربهم الخاصة مما يعتبر أمراً محدوداً . فإن كتب الفتاوي تقدم لنا تصريحاً لواقع حياة كل طبقات المجتمع على اختلاف مشاربهم، وتبيّن لنا أنواع التعامل الحقيقي بين هؤلاء، الأفراد والجماعات وتسجل لنا واقع ردود الفعل الاجتماعية لكل ما يعترضها من مشاكل سياسية وغيرها، وتكشف لنا عن معطيات ونتائج التطور البشري.

إن كل فتوى من هذه الآلاف المئلحة من الفتاوي تمثل حادثة واقعية عرضها صاحبها بكل واقعية ودون تحريف. ثم يأتي المفتى ليقدم الحكم الشرعي نتيجة لاجتهاده، وهو حكم سيد - غالباً - من الفقهاء، وأهل العلم غربلة وتقديراً. لذلك اعتبر أهل الرأي من الباحثين المعاصرين كتب الفتاوي من أهم المصادر بالنسبة إلى مجالين هامين :

أولهما المجال التشريعي القضائي.

وثانيهما مجال الدراسات التاريخية والحضارة.

لقد اهتم فقهاء المسلمين من أهل المشرق والمغرب بالفتاوي وجمعوها وسجلوها في دواوين ومؤلفات، إلا أن الغالب على أهل المشرق أن يطلقوا عليها تسمية «الفتاوى» في حين أن المغاربة والأندلسيين لا يكتفون بتسميتها «بكتب الفتوى»، بل أطلقوا عليها أيضاً «كتب النوازل»، لأنها بيت أحد، حوارث نزلت، «وكتب أجوبة» لأنها أجيب بها عن أسئلة وردت، «وكتب أسلمة» لأنها حاثت بعد أسلمة، «وكتب أحكام» لأنها بيت أحكاماً خاصة بحوادث معينة. مما جعل التأكيد من المغاربة يسمون المفتى بالنوازل (1)، لأنه مختص في الإجابة عما يحدث من النوازل.

وقد أردت أن أخصص دراستي هذه للحديث عن النوازل الأندلسية والمغاربية من منتصف القرن 11/5 إلى منتصف 15/9، لأنها كتبت في مرحلة تاريخية هامة وغنية بالأحداث :

ففيها اشتدت بالأندلس مشاكل ملوك الفرناند، وظهرت بالمغرب نتائج زحفة بنى هلال.

وفيها بدأ الهجوم النصراني على بلاد الأندلس، فسقطت طليطلة ثم تلتها تبرطبة وأشبيلية وأخيراً غرناطة، وتعددت حلبات الترمان على السواحل الشرقية للمغرب.
وفيها ظهرت دول إسلامية كبيرة كأنصاعيين والمرحدين والمربيين، وتخلل ذلك تفككها إلى دوليات صغيرة.

وفيها حدثت التحرّكات البشرية في هجرات مداخلة متعاكسة. كهجرة الأندلسيين من شمال بلادهم إلى وسطها ثم إلى جنوبها، وبعدها إلى المغاربة الأقصى والأدنى، وكهجرات المغاربة الداخلية التي كانت بسبب تقارب الدول واعتمادها على العصبية القبلية.

وهو بذلك عصر كثُر فيه المذاهب والجزر بين حدود البلاد الإسلامية والنصرانية، مع تعدد المواجهات بين الطرفين وتتنوع التعامل بينها من عسكري حربي إلى تقافي حضاري، وهو ما دعا الفقهاء، المفتين إلى الاستجابة لظروف حياة المسلمين في مختلف هذه التأثيرات والتحولات، فوضعوا من الفتاوى والأجوبة ما يمكن أن يفيد في مجال المعاملات وخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، يصلح بعضه أن يكون موابق فتوى وأحكام يسترشد بها الفقهاء في مختلف العصور وخاصة عصرنا هذا.

(1) من ذلك ما وصف به أبو المعاسن التصري (ت 1013هـ / 1605م)، محمد سعد : شجرة التور الزكية . 1 : 295

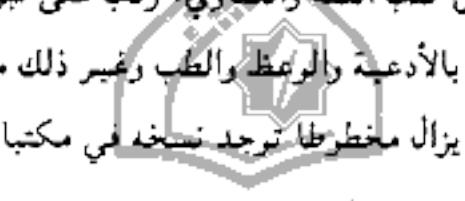
وعلى الرغم من أننا نعتبر كتب النوازل المغربية والأندلسية من نوع واحد، فإن داعمي تأليفها وظروف جمعها وتصنيفها تختلف أحياناً، فبالتالي عن ذلك تنوع في مناهجها وتغاير في أشكالها وأساليبها التأليفية، بناء على تغير الdrانع والسباب.

وقد أمكنني - بعد تبع وتحفص - أن أميز أربعة أصناف رئيسية من المذاهب التأليفية لكتب النوازل أقيمها إلينكم مع إبراد أمثلة مقتضبة:

أولاً : الصنف الأول من كتب النوازل هي التي ينزلها أحد الفقهاء المفتين، فيجمع فيها أجورته وأجرية غيره من معاصره أو من السابقين له من مختلف البلاد، ويرتبتها على ترتيب أبواب الفقه فيأتي ديوانه كبيراً جامعاً للمعديد من النوازل، يتضح لنا فيه ثراء الأجرية واتساع دائرة اجتهد الفقهاء، مع وفرة المعلومات التاريخية والحضارية.

ومن أشهر المزلفات في هذا الصنف معلمستان بارزتان إحداهما لتونسي هو البرزلي، والثانية لمغربي هو الوانشريسي.

أ - «جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالفقهين والحكام»، ويسمى فتاوى أو نوازل أو ديوان البرزلي. مؤلفه هو أبى القاسم بن أحمد البلوي القبرواني الشهير بالبرزلي (1438هـ / 2014م). وهو كتاب كبير الحجم تعدد موارده واتسعت مادته وظل من المصادر المعتمدة للكثير من كتب النقد والفتاري، رتب على تبويب كتب الفقه، إلا أنه أضاف في النهاية أبواباً تتعلق بالأدعيه والوعظ والطب وغير ذلك من المسائل المتفرقة التي لا تتصل بالفقه. وهو كتاب ما يزال مخطوطاً ترجمة نسخه في مكتبات تونس والمغرب ومصر وغيرها (3).


وقد وضعت لنوازل البرزلي مختصرات ثلاث : الأولى لتلמידه أبي عبد الله البرسعدي البجاني كتبه سنة 826 هـ / 1423 م (4).

الثانية : لتلמידه أحمد بن عبد الرحمن البجزي المولود القردوبي (كان حيا

(2) ترجم له ترجمة واسعة، وعرف بالكتاب محمد المحب الهيلة في بحث عنوانه الإمام البرزلي في الشراة العلمية للكلية الزيتورية بتونس السنة الأولى 1391/1971 ص 169 - 233، درس الكتاب سعد غراب في حلقات الجامعة التونسية العدد 16 سنة 1978 ص 65.

(3) من أعمالها نسخة تونس 4851 ونسخة الأزمنة 2992 - 2993 ونسخة كتبت في القرن العاشر محفوظة بمكتبة شترستي برقم 4407 (الجزء الرابع).

(4) ترجم له محمد مخلوف في شجرة النور الزكية 1 : 245 ومن اختصاره، نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 34

(5) السخاري : الفهر، اللامع 2 : 260 - 261؛ أحمد باشا : نيل الابتهاج 83 - 84. من اختصاره، نسخة

⁽⁵⁾ سنة 895هـ/1490م، الثالثة للفقيه أحمد بن يحيى الوانشريسي التلمذاني (6).

بـ. أما المعلمة الثانية في هذا الصنف من النوازل فهي كتاب «المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب»⁽⁷⁾ مزلفه أحمد بن يحيى الوانشريسي التلمساني (ت 912 هـ / 1508 م)⁽⁸⁾ من خصائص هذا الكتاب المتعددة جمعه للكثير من نصوص كتب فتاوى الأندلسين والغاربة فاحتفظ ببعض ما ضاع منها. ربته صاحبه على أبواب الفقه ونقل فيه بعض الرسائل التي ألفت إجابة عن أسئلة متفرعة الموضع. وأتم تأليفه سنة 901 هـ / 1495 م.

ثانياً : الصنف الثاني من كتب النوازل هي تلك التي جمعت أجورية فقها ، ينتسبون إلى منطقة واحدة أو إلى مدينة واحدة . فمن تلك التي جمعت فتاوى شيخ منطقة واحدة يمكن أن تذكر مثالين بارزين هما :

أ. كتاب «أحكام ابن سهل» وهو المعروف بكتاب «الإعلام بنوازل الأحكام» ألفه عيسى بن سهل الأستاذ الغراططي (ت 486 هـ 1093 م) (٩). وهو يعتبر من أقدم ما بين أيدينا من مجاميع النوازل الأندلسية في هذا المجال، حيث جعله صاحبه خاصاً بفتاوي الأندلسين، ولم يورد فيه إلا القليل التادر من فتاوى فقهاء القبوران. وقد اشتمل على مادة ثرية من المعلومات التاريخية والحضارية الخاصة بيلاد الأندلس في القرن الخامس الهجري، وبين أنماطاً نادرة من العلاقات بين مختلف المتساكنين بالأندلس من مسلمين ونصارى وبهود.

وقد رثى صاحبه على أبواب الفناء.

واستفاد منه بعض الباحثين المعاصرين في دراساتهم الأنثربولوجية كالأستاذ عبد الرحمن

بيانات الكتب المطبوعة في مصر 1870-1914

(٦) من اختصار سخنان في الخزانة العامة بالريلات رقم ١٤٤٧ د ورقم ٢١٩٨ د؛ ونسخان بالملحمة العامة بالريلات رقم ٧٦ ق رقم ١٢٠٦ ق.

(7) طبع في 12 جزءاً طبعة عجربة بفاس سنة 1315 درطعة ثانية بإشراف المحقق محمد حجي دار الغرب الإسلامي، لبنان ١٤٠١ـ١٢٠١ في 12 جزءاً مع فهارس.

(8) ابن مريم : البستان 54؛ أحمد بابا : نيل الإشياح 87 - 88؛ محمد مخلف : شجرة النار 1 : 275.

٩٦- ابن بشكرا : الصلة، الترجمة رقم ٩٤٢؛ الباهي : تاريخ فضاعة الأندلس.

(١٠) عبد الرحمن الناصي : خطة الحسبة في النظر والتطبيق، ط. دار الثقافة الدار البيضاء، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

الفاسي (10) والدكتور عبد الرهاب خلاط (11). وأقامت تحقيقه الباحثة السعودية نورة التويجري (12).

وما يجدر التنبئ إليه هو أن لهذا الكتاب نسخا متعددة أحدها ثلاث نسخ قديمة وذات أهمية إحداها نسخة أندلسية كتبت سنة 501 (13)، وثانيتها نسخة أندلسية الأصل تونسية المقر كتبت سنة 691 (14)، وثالثتها نسخة مغربية الأصل سعودية المقر (15)، كتبت بخط الشيخ أحمد الوانشريسي صاحب «المعيار» المذكور سابقا.

بـ . كتاب «الدرر المكتونة في نوازل مازونة»، تأليف الفقيه بحبي بن موسى المازوني المغلي (16) (ت 883 هـ / 1478 م). وهو كتاب جمع فيه - كما جاء في المقدمة - نوازل علما، تونس وجاية والجزائر وتلمسان. درس المستشرق J.Berque جوانب محدودة منه اعتمادا على الجزء الثاني (17) فقط، وقد أمكنني المشرور على النسخة الكاملة (18) والاستفادة منها، وهي مرتبة على أبواب الفقه أيضا.

أما كتب النوازل التي جمعت أجوره فنها، ينتسبون إلى مدينة واحدة فبإمكانني أن أسوق مثالين إثنين لها أيضا :

أـ . كتاب «المديقة المستقلة النصيرة»، في الفتاوي الصادرة عن الحضرة» (غرناطة) لمولى مجاهول (19)، قال مولى الله أنه جمع نجد النوازل الصادرة عن علما، حضرة غرناطة. وبعد تتبع النص دلنا الاستنتاج إلى أنه ألف بعد سنة 838 سنة وفاة ابن سراج آخر المفتين الذين

(11) نشر دراسات كثيرة ممتددة على هذا المخطوط منها كتابه فريضة الإسلام في القرن 11/5 ط. الدار التونسية للنشر 1984، ووثائق في معاشرة الأمرا، والبدع في الأندلس ط. القاهر 1981.

(12) في أطروحتها التي تدميها لبيل الدكتور، بجامعة الإمام بالرياض سنة 1991.

(13) هي نسخة الزيارة الناصرية في تكررت بالغرب ومصروفتها في المزانة العامة بالرباط، وصنفها الدكتور محمد عبد الرهاب خلاط في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 62 الجزء الثاني سنة 1982.

(14) نسخة من حسني عبد الرهاب المعفرة بدار الكتب الرطبة ببرنس برقم 18394 بخط أندلس حسن ديبة الضبط.

(15) نسخة جامعة الملك سعود رقم 5223 وقد انتسبها أخيرا من بعض المكتبات الخاصة بالغرب.

(16) أحمد بابا : بيل الاتجاج 359: محمد مخلوف : شجرة التور الزكية 1 : 265؛ الحفاري: تعرف الحال 1 : 186 - 187.

(17) مخطوطه الجزائر رقم 133، 6/5.

J. Berque : STUDIA ISCAMICA NO. 32/1970 P. 31 - 39.

(18) الجزء الأول بدار الكتب الوطنية ببرنس رقم 05 187 و الثاني برقم 3502.

(19) القسم الأول من المجمع 1096 بالأسكندرية. من ورقة 1 إلى ورقة 49 ب.

(20) منها نتوى عبد الله العيدوسى في حكم عدول وقضاء المجنين بالأندلس ورقة 31 ب.

(21) في حين أن أبي سعيد بن لب يعتبر من أشهر وأكبر المفتين في ذلك العصر

يترحم عليهم المولى، وقبل سنة 865 سنة وفاة القتب محمد الترقضي الذي يذكره كثيراً فيقول حفظه الله، وهي نسخة قدية عليها خط القتب المتنى أحمد بن زكري التلمساني الشرفي سنة 900 هـ / 1494 مـ. وقد عرضت المائذن فيها دون ترتيب ولا تبويب وجمعها فتاوى تامة من الأندلسين وعدداً محدوداً جداً من فتاوى فقيهين مغاربيين (20). واللاحظ أنه لم يذكر من فتاوى ابن لب شينا (21).

بـ . مجموع فتاوى علماء غرناطة (22) تأليف أبي القاسم محمد بن طركاظ العكسي الأندلسي . تولى قضاة المرية سنة 854 هـ / 1451 مـ . - يعرف تاريخ وفاته .
جمع فيه بعض نوازل فقها ، غرناطة من بينهم ابن لب (23) .

ثالثاً : الصنف الثالث من كتب النوازل هي تلك التي جمعت أحكامه لفقيقه واحد، جمعها أو جمعت له من أحكامه خلال مدة قضائه وتونبه الشتوي، أو أجاب بها عن مجموعة أسئلة وجهت إليه من جهة معينة.

فمن أمثلة النوازل التي جمعت لفقيقه فتاوى أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد (تـ 520 هـ / 1126 مـ) (24)، جمعها تلميذه محمد بن أبي الحسن بن الوزان (تـ 543 هـ / 1148 مـ) وعرضها دون ترتيب . وفتاوى الناضري عباس البصبي البستي (تـ 544 هـ / 1149 مـ) (26) التي عترتها «مذاهب الحكم في نوازل الأحكام» (27) وأكلها ابن أبو عبد الله محمد بن عباس (تـ 575 هـ / 1179 مـ) (28) . ونوازل منتقى الأندلس أبي سعيد فرج بن قاسم بن لب (تـ 782 هـ / 1481 مـ) (29) التي جمعت . كما يغلب على ظني . مرتين

(22) منه نسخة بالغرانة العامة بالرباط برقم 1447 د.

(23) درس الكتاب وحلله صديقنا الباحث حسن الرواكي في مداخلته التي قدمها لشورة المؤرخين الإسبان المعنونة بالرباط سنة 1404 / 1983، ونشرها ضمن كتابه أبحاث أندلسية ص 9 - 39 (طب طبعة 1990 مـ) . ولعل المقارنة بين نوازل ابن طركاظ وكتاب الحديثة المستقلة تتمكّن لنا توسيعات عن مزارات كتاب الحديثة.

(24) انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكتحالة 8 : 228 . أما فتاواه فقد حنتها ونشرها المختار الشبلبي طـ دار الغرب الإسلامي في 3 أجزاء، سنة 1407 هـ / 1987 مـ . وكان قد حققها محمد بن الحبيب التشكاني كرسالة نقدت للدار الحديثة بالرباط . واستند من مخطوطاتها إلى حنز عبد العزيز الأمرازي راشد عباس و سعيد جبجي في دراسات نشرت في مجلات عربية .

(25) ترجم له الصبر في بقية الملخص 101.

(26) هو عالم الأندلس والغرب، انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لعمرو رضا كتحالة 8 : 16 - 17 .

(27) ضيع بتحقيق الباحث محمد بن شريفة . دار الغرب الإسلامي لبنان سنة 140 / 198 .

(28) ترجمة ابن سودة في دليل متذوق المغرب 218 - 219.

(29) ترجمه كثيرة انظر مثلاً الإعاظة لابن الخطيب 4 : 253؛ ودرة الرجال لإبن الناضري 2 : 453 رقيقة المصادر المذكورة في معجم المؤلفين لكتحالة 8 : 58 .

(30) وهو المجموع الذي ذكر سابقاً وأكثرى على كتاب الحديثة المستقلة التضرة وردته بالأسكنري بالـ 1096 .

(31) معذرة له بكتبة الحرم المدني برقم 217/2/121 . والكتابان يختلفان في الترتيب على الرغم من أن

من مزلفين مجهولين أحدهما جعل عنوان كتابه «تقرير الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد»، ومحظوظته بالأسكورفال (30). والثاني جعل عنوان كتابه «نوازل ابن لب» وعرض المسائل في ترتيب يخالف ترتيب سابقه منه نسخة تونسية الأصل مدنية القرار (31).

أما النوع الثاني من هذا الصنف والذي يمثل أجوبة الفقيه الواحد عن أسئلة معددة، فمن أوضح أمثلته كتاب بأبي عبد الله محمد الرصاع التونسي (ت 894 هـ / 1489 م) (32) الذي جعل عنوانه «الأجوبة التونسية على الأسئلة الفرناطية»، فقد كان الرصاع أكبر شيخ عصره في تونس فهو مفتفيها وعالها، ورد عليه خمسة وعشرون سؤالاً من شيخ غرناطة ومفتفيها أبي عبد الله محمد المواق (ت 897 هـ / 1492 م) (34). وهي فتاوى في أغلبها تتعلق بسائل خلاقيه في الفقه وسبع مسائل تتعلق بأحكام الطاعون ومسائلان في أحكام المساجد، والنسخة الفريدة المعروفة منه ترجمت على مزلفها الرصاع في حياته وكتب عليها بخطه، وهي هامة جداً رغم رداء حالها وصعوبة قراءتها*.

رابعاً : الصنف الرابع من كتب النوازل هي تلك التي ينزلها صاحبها للإجابة عن قضية واحدة. وقد تعدد التأليف في هذه النوازل المفيدة، فكان منها ما يتناول قضيّاً العيادات والمعاملات، وكان بعضها يتناول المسألة الشرعية. ومن هذا النوع الأخير أنتقي نظرين هامين: أولهما بتعلّق بسياسة المسلمين مع أهل الذمة ومع غير المسلمين عامة، وثانيهما

كليهما لا يعتمد ترتيب أرباب الفقه ويكاد كلاهما يضع المسائل كمئاتي له أو كسا عشر عليها، ومن أمثلة هنا النوع أجوبة أبي الحسن الصغير (ت 719 هـ / 1319 م) التي جمعها تلبية إبراهيم التسلوي (1347 / 748) ورتبها إبراهيم السجلوني (1483/903) وطبعت بناس 1319 هـ بعنوان «الدر الت婢 على أجوبة ابن الحسن الصغير» سركيس : معجم المطبريات 278. وكتاب أجوبة إبراهيم بن هلال الصنهاجي السجلوني (1491/903) مرتب الكتاب السابق - طبع بناس مرتين سنة 1310 هـ / 1831 م انظر سركيس : معجم المطبريات 277.

(32) هو صاحب فهرست الرصاع المطبوع بتونس سنة 1867. انظر ترجمته في مقدمة الفهرست والمخاوي : الضر، اللامع 8 : 286 - 288، الوزير السراج الحللي السندي في الأخبار التونسية 1 : 673، ط بيروت 1985.

(33) المجمع رقم 19646 بدار الكتب الرضية يترسّ به 107 ورقة.

(34) ترجمة المخاوي في الضر، الامع 10 : 98 وأحمد باشا في نيل الابتهاج 324 - 325 .

* قدّم لها ودرسها الاستاذ سعد غراب لي مقابل له بعنوان «مسائل اندلسية إفريقية من القرنين 8 و 9 و 14 / 15 م» (مجلة دراسات اندلسية عدد 1 / 1988 ص 7).

(35) ابن مريم : البستان 253؛ أحمد باشا : نيل الابتهاج 330؛ محمد مختلف : شجرة التور الركبة 1 : 274.

يحدد موقف بعض الفقهاء من بناء المسلمين تحت سلطة النصارى في الأندلس.

أ . ألف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909 هـ / 1503 م) (35) رسالة أولى سبت «الرسالة المنصورية» وعنوانها «مصابح الأرواح في أصول الفلاح» (36). وهي جواب عن سؤال يطلب منه توضيح ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة... وخاصة بهرود ناحية توات من جنوب البلاد الجزائرية. فقد ذكرت المصادر أن مشكلة خطيرة اندلعت في المنطقة بسبب تصرف البهود بها وردود فعل العلماء. ووقف الشيخ المغيلي موقفاً شديداً متصلباً أثراً الكبير من ردود العلماء، المعاصرين له، منهم القاضي العصمني والتنسي وابن زكري والرصاعي وبحبي الفساري وابن سبع (37)، وغيرهم من وضعوا أجوبة للنازلة، وما كان له الصدى البعيد في بعض المزنونات التاريخية المعاصرة له (38).

ب . وللشيخ المغيلي أيضاً سبع أجوبة عن سبع أسئلة وجهها إليه أحد ملوك السودان الغربي : هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بأسكنا . وأغلب هذه الأجوبة (39) تتعلق بالسياسة الشرعية وطرق الدعوة ونشر الإسلام بين عبادة الأوثان من القبائل المجاورة. فكانت أجوبته واضعة الخطرط الرئيسية لسياسة دولة إسلامية حديثة العهد بالتكوين.

أما النموذج الثاني فتحتلته رسالة من تأليف أحمد بن يحيى الوانشريسي التلمساني (ت

(36) منها نسخ خطبة كثيرة وطبعت طبعتين مجردين في أول القرن الهجري السابق ثم طبعت أخيراً بالجزائر بتحقيق رابع بونار سنة 1968. وتحدث عنها G.VAJDA في الكتاب المنسدي إلى LEVI-PROVENCAL الجزء 2 - 805 - 813.

(37) محمد مخلوف : شجرة التور الزكية 1 : 274.

(38) من أهم هذه المصادر كتاب دوحة الناشر محمد بن مصباح المuroni يابن عسكر ص 223 - 225 من فئة Les Archives Marocaines الجزء 19 سنة 1913م والحسن الونان (اليعن الإفريقي) في وصف إنريقيا (ط. الرياض) ص 507 - 508 . ومحمد الطيب ابن الحاج عبد الرحيم الشواهي التنظيطي الفرنسي في كتابه البسيط في أخبار تنظيط (نسخة خاصة) . ذكرها بوصفها وحللها المهدى اليوعدي في بحث عنوانه أصوات على مدينة تنظيط ودور الإمام المغيلي بها في قتبة بهرود توات. أنظر مجلة الثقافة (الجزائرية) العدد 94 السنة 1406 هـ / 1986 م.

(39) منها نسختان بمركز IFAN في دكار بالسنغال برقمي 22 و 23. درس الخطرط وترجمه إلى الفرنسية الحاجي ريان ميامي في مجلة المركز المجلد 34 العدد 2 ص 237 - 267.

(40) طبعت الرسالة ضمن كتاب المعيار للوانشريسي 2 : 133 - 134 (ط. لبنان) ودرسها حسين موسى في صحيفه معهد الدراسات الإسلامية بمدريد. المجلد الخامس ص 129 - 191 سنة 1957 اعتقاداً على مخطوطته

914 هـ / 1508 م) صاحب كتاب «المعبار». وعنوان الرسالة «أنس المتأجر، في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواج»⁽⁴⁰⁾ وفيها من الشدة ما جعله يمنع كل موالاة للنصارى، ويحرم كل تعايش معهم وفي جوارهم. وكان حكمه قاسياً على المرسكيين بما كانت له عوائق وخيمة، فقطع الطريق بينهم وبين صلاتهم بالبلاد الإسلامية، خاصة وأن هذه الفتوى صدرت في ظروف عصيبة حيث كانت بعد سقوط مدينة غرناطة في أيدي النصارى.

وموقفه الشديد هذا يذكرنا بفتوى علم الفقه المالكى في عصر الإمام المازري المهدوى (ت 536 هـ / 1141 م) وهي فتوى تحذّب على نفس الموضوع وفي ظروف تاريخية مشابهة، حيث صدرت بعد سقوط صقلية في أيدي النorman سنة 484 هـ / 1091 م، إلا أن المازري أظهر من حسن النظر وبعد الفهم ما جعله واقعاً ومتسامحاً في جوابه، فترك الارتباط بين المدجّن بصقلية وقبة بلاد الإسلام بأفريقية قائماً، فظل الأنور الخضاري العربي الإسلامي باقياً في صقلية خلال مدة طويلة من الزمن.⁽⁴¹⁾

ولعل هذا العرض السريع يمكننا من بيان أهمية كتب الترازيل والفتاوی حتى تتفاوت جهود المؤسسات العلمية الجادة وفهم الباحثين المختصين لفهميتها ودراستها والاستفادة منها.



الأسكندرى رقم ١٣٥٨ (مجمع).

(41) حقن الرسالة درسها عبد المعبد التركى في بحث عنوانه فتوى الإمام المازري في المسلمين المقيمين بصقلية في حياة النorman. ضمن كتابه : قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي ص 63 - 80. ط دار الغرب الإسلامي بيروت 1309 / 1988.

ابن مرج الكحل: حياته وشعره
(1236/634 - 1159 / 554)
(الجزء الأول)*

يكلم الأستاذ : مصطفى الغديري
كلية الآداب وجدة - المغرب

1 - ترجمة الشاعر

لا يكاد يذكر شيء من أمر تاريخ الأدب العربي في الأندلس - خلال ثانية قرون من الحكم الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا - حتى نجد قائمة طيبة من أسماء المبدعين، شعراء كانوا أم مترجمين، كانت وما تزال مجهمولة لدى كثير من الدارسين المختصين، فضلاً عن العامة، رغم أن هذه الأسماء كانت متألقة في عصرها.

ومن هؤلاء، المبدعين الذين يمكن أن نجدهم في هذه التنمية الشاعر «ابن مرج الكحل» الذي نريد تقديمه للقراء، المهتمين بتراث الفردوس المفقود.

أجمع المصادر التي أطلعت عليها أن اسمه هو «محمد بن علي بن إبراهيم بن القاسم»⁽¹⁾، ويكتفى أبا عبد الله ويعرف بمرج الكحل⁽²⁾ أو ابن مرج الكحل⁽³⁾. ويبدو لي أن الأصح هو ابن مرج الكحل، ذلك أن معاصره أبي الحسن التوعيني نص على «ابن مرج الكحل»⁽⁴⁾ وهو الذي روى عنه مباشرة، وأجاز له رواية شعره ونشيه. كما أن كثيراً من المصادر التي ترجمت لنا نقلت عن الرعيني سعياً أو أخذها عن برنامجه.

بالإضافة إلى ذلك وجدنا أبو الحسن على القنطي⁽⁵⁾ يكتب مخدداً بن إدريس الكحلي، ثم ينسبه إلى «مرج الكحل»⁽⁶⁾، مما يدل على أن هذه النسبة عرف بها أبوه أو أحد أجداده. أما سبب هذه التسمية التي اشتهر بها هو أو أبوه فلعلها نسبة إلى مكان يحمل هذا الاسم

* أذنْمُ هذِهِ المُنَادَةَ المُتَراصِّعةَ تجْهِيَّةً لِأَسْتَادِيِّ الْجَلِيلِ الْدَّكْتُورِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُهَاجِرِ الَّذِي عَلَيْنِي أُوكِدُ حَرْفَهُ عَنِ الْفَرْدُوسِ الْمُفْقُودِ تَارِيْخاً وَحَضَارَةً وَأَدِيْبَاً.

(1) - سَادَةُ الْقَنْطَنِيِّ «مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسِ الْكَحْلِيِّ» (الْمُعْدِنُ : 204) يَعْلَمُ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ الدَّمَنِ (المَغْرِبُ : 373/2) وَقَدْ انْفَرَدَ كُلُّ مِنْهُمَا بِهَذِهِ التَّسْمِيَّةِ لِلشَّاعِرِ.

(2) - زَادَ السَّانُورُ 69. 124. 125. 126. سَرَرَ التَّنْفِرُ 50 التَّكْتَةُ 344/2 المَغْرِبُ 370/2 رَايَاتُ الْمِيزَنِ 123. الْرَّانِيُّ بِالْوَنِيَّاتِ : 181/2 رقم 535. وَرَيَاتُ الْأَعْيَانِ 2. 396.

(3) - بِرَنَامِجِ الرَّعِينِيِّ 100. 208 فَتَهَا، مَالَقَةٌ 2. 72. 73. 99. 103 الْذَّبِيلُ وَالنَّكْلَةُ 6/110 مل. الْعَيْبَةُ 194/2 195 - رَنَجُ الْحَجَبِ الْمَسْرَرَةُ 1/25. 120. 120. 195 تَحْمِةُ الْمَادِمُ 82 الْمَنْتَعْبُ. 114 الإِحْاضَةُ 343/2. الْتَّفَعُ 50/5. أَزْهَارُ الْيَاضِ 2/316.

(4) - بِرَنَامِجِ الرَّعِينِيِّ : 100. 208.

(5) - الْمَعْسُونُ 204 رقم 114

بالأندلس⁽⁶⁾). كما اشتهر بالجزيري أو الجزرري⁽⁷⁾ نسبة إلى بلاده جزيرة شقر. ويصدق هذا على نسبة إلى مدينة «مرج الكحول» فسمي بالكحولي، حسب رواية القسطي السابقة.

وعلى الرغم من تسميته بابن مرج الكحول في أكثر مصادر ترجمته، إلا أنها نجد أحد مساجلبه، وهو أبو بكر محمد بن جهير الأزدي⁽⁸⁾ يسميه «مرج كحل». وقصته في ذلك أنه قد مر بجزيرة شقر، بأرض حمرا، لأن مرج الكحول غير صالحة للعمارة، فقال يداعبه :⁽⁹⁾

يا مرج كحل ومن هندي المروج له ** ما كان أحوج هذا المرج للكحول
ما حرة الأرض من طيب ومن كرم ** فلا تكن طبعا في رزقها العجل
فبان من شأنها إخلاف آملها ** فما تفارقها كثيبة الخجول
فأجابه شاعرنا بقوله :⁽¹⁰⁾

يا قائلًا إذ رأى مرجي وحرسته ** ما كان أحوج هذا المرج للكحول
هو أمحار دماء الروم سبلها ** باليبيض من مر من أبياتي الأولى
أحببته أن عكى من قد فنت به ** في حرة المد أو إخلافه أملبي

أما تاريخ ولادته فقد ذكر ابن خلkan في وصياته سنة أربع وخمسين وخمس مائة للهجرة⁽¹¹⁾ بجزيرة شقر، وقبل مدينة بنسبة⁽¹²⁾. علماً أن جزيرة «شقر» كانت من أعمال بنسبة⁽¹³⁾ وقد حدد الحميري المسافة بينها بثمانية عشر ميلا⁽¹⁴⁾ ، ومهما كان الأمر فإن شاعرنا عاش في هذه الجزيرة التي عرفت أزدهارا اقتصاديا وأدبيا في القرنين 13-14⁽¹⁵⁾. كما جاء في كتاب التاريخ⁽¹⁶⁾ وقد تعمق في شفو وحن الشهرا كثير من شعرا، الأندلس الذين ارتحلوا عنها بسبب من الأسباب. وفيها يقول ابنها البار الشاعر ابن خفاجة⁽¹⁷⁾

(6) - مرج الكحول : مدينة عضيمة في الأندلس، كانت تصبها ومرارة للكها بينها وبين البحر خمسة أيام «معجم البلدان» ط. السعادة 1323 هـ/ 1906، ولم ترد هذه الرواية في ط. دار صادر.

(7) - المقتنص : 114. الذيل والتكميل : 6/110. زاد المسائر : 69

(8) - ترجمة هذا الشاعر في تحفة القادر : 197. والمقتنص : 189. والروا في بالربات : 1/216

(9) - تحفة القادر : 197. المقتنص : 189. الذيل 6/115. الإحاطة : 348/2. النفع 55/5

(10) - نفسها ورثتها في المعجم الشعري : 26

(11) - وفيات الأعيان : 397/2. وتبصر في ذلك لأعلام للزركي 6/251. ومعجم المزلقان 9/34

(12) - محقق مل. العيبة 2/195 هـ رقم : 288

(13) - المغرب : 363/2 المقتنص : 182.

(14) - صفة الجزيرة : 102.

(15) - انظر نهاية الأندلس : 454 ط. رابعة والإحالات في البرامش.

(16) - ديوانه 365 وصفة الجزيرة 103 - 104.

آه من غربة ترقّة بـ * * آه من رحلةٍ تطول سراها

آه من فرقة لغير تلاقِ * * آه من دار لا يجب صداحاً

وبالرغم من أن حبّة ابن مرج الكحل لا تكاد تشضع في المصادر التي ترجمت له، إلا أنها تستطع أن تتبع بعض خطواته في الأندلس وخارجها انتلاغاً من إشارات في هذه المصادر.

ولقد كان الرجل يتسم إلى أسرة فقيرة، وعمل منذ صغره لكتب قوته اليسرى في العمل الفلاحي، كما ورد في المساجلة التي دارت بـه وبين أبيه بكر محمد بن جهور (17).

ذكر ابن سعيد أنه «كان ينادي في الأسواق حتى أنه تعيش ببيع السكّة (18) وهذا يؤكد ما جاء في الذيل والتكميل من أنه «كان مبتذل اللباس على هيئة أهل الباية، ويقال أنه كان أميا» (19).

ولم أقل في المصادر التي ترجمت له على إشارة تدل على أنه تعلم في صغره أوأخذ عن شيخ لهم شهرة علمية، ولكن نبوغه - فيما يبدو - ساعده على تخطي كثير من المواجهات التي تحول بينه وبين عالم الشعراء، إذ «ترقت به همة إلى الأدب قليلاً قليلاً، إلى أن قال الشعر، ثم ارتفعت فيه طبقته» (20).

ومن المع hasil أن يكون شاعرنا قد تعلم القراءة بعد مدة، ولكن يستبعد أن يكون أمياً، كما جاء في الذيل والتكميل بصيغة إسناد اختر إلى مجهول : «ويقال أنه كان أمياً» ذلك، أننا نجد له يند الجهل في إحدى مقطوعاته الشعرية (21)، كما نجده في قطعة أخرى يبحث على التعلم (22) بالإضافة إلى كل هذا فإن معاصره أبا الحسن الرعيني يشهد أن ابن مرج الكحل أجاز له رواية جميع نظمه ونشره (23) مما يؤكد أنه لم يكن أمياً.

أما تحركاته في ملاحقة داعل الأندلس وخارجها . فلم أقل إلا على إشارات مقتضبة، فالرعيني يصرح بأنه لقبه مرة بقرطبة وروى عنه (24)، كما لقبه ببرسية حيث قرأ عليه ديوانه

(17) - الإحالة رقم 10.9

(18) - المغرب : 373/2

(19) - الذيل والتكميل 111/6

(20) - المغرب /2

(21) - انظر القطعة رقم 1

(22) - انظر القطعة رقم 24

(23) - برنامج شيرخ الرعيني 208 / وانظر تقديم ابن الأبار لبيت من شعره قصيدة رقم 6 في صدر كتابه الذي جمع فيه شعره وطرزه باسم الكاتب أبي عبد الله المذكور، بعد أن قال : «ولما جئت ثغر الانتطاع من الرئيس الأوحد أبي عبد الله بن عباس جمعت شتاته فرسنته باسمه ووسنه برسنه .. ، فنهاه مالقة و 65 ، وانظر أيضاً إشارة ابن سعيد في تديبه للتصبيحة التي مسح بها التغبلي (المغرب 450/2) قصيدة رقم 3 في المجمع الشعري.

(24) - برنامج الرعيني 208.

الذي ينظم شعره آنذاك، 251). ويحدثنا ابن الأثير عن خروج الشاعر إلى منتزة هات مرسية صحبة أبي الحسن الرفا، المرسي وأبي بحر صفوان بن إدريسي، وقالوا أثناء ذلك شعراً وكتبوا على حائط مسجد (26)، وابن الخطيب عده من زوار مدينة غرناطة عدة مرات، وأثناء إحدى زياراته لها خلد نهر الفنداق بقصيدة الرابية التي أولها :

عِزْ يَنْمُرُ الْكَبِيرُ الْأَعْظَمُ * بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَيْنَ شَطِ الْكُوَثَرِ (27)

وأخبرنا الشاعر أنه كان في إشبيلية مع مجموعة من أصدقائه (28)، إلا أنها لا نعلم شيئاً عن وجوده بإشبيلية، هل استقر فيها أو كان عابر سبيل. وفي كتاب نفع الطيب للمقربي إشارة تفيد أن شاعرنا عبر البحر إلى إشبيليا، ووند على مدينة مراكش منها السلطان الموحدي أنها عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد الرحمن الملقب بالناصر لدين الله ضمن حشد من الكتاب والشاعر، لما رجع منتصراً من فتح المهدية سنة 604 / 1207، وقال في ذلك :

وَلَا تَوَالِي النَّفْعَ مِنْ كُلِّ وِجْهٍ * وَلَمْ تَبْلُغِ الْأَرْهَامَ فِي الرَّصْفِ حَدَّهُ
تَرَكَنَا أَمِيرُ الْمُزَمِّنِ لِشَكَرِهِ * بِمَا أَوْدَعَ السُّرُّ الْإِلَهِيِّ عَنْهُ
فَلَا نَعْصَهُ إِلَّا تَزْدِي حَقْرَنَا * عَلَامَتَهُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَحْدَهُ (29)

وليس ببعيد أن يكون ابن مرج الكحل قد عاش فترة زمنية - لا يأس بها - بعاصمة المورخين (مراكش)، وربما سمعت له الظروف أن يتوجه في مختلف مدن المغرب الكبير - آنذاك - إلا أنها لا نعلم شيئاً عن حياته بعد هذه الزيارة لمراكش، علماً أنه عاش بعدها ثلاثين سنة. وقد اجمعوا المصادر التي ترجمت له أنه توفي بيته «شقر» يوم الإثنين ثاني شهر ربيع الأول، ودفن يوم الثلاثاء، بعده سنة أربع وثلاثين وستمائة للهجرة (634 هـ / 1236 م) (30).

2 - شاعرية ابن مرج الكحل

إن الذين ترجموا لابن مرج الكحل أجسروا في شهاداتهم على شدة اهتمامهم بشعره والإعجاب به، كما أكد بعضهم كثرة أشعاره حتى كونت ديواناً نفقت بضاعته.

قال الرعيني في حقه : «شاعر مجبد ... أجاز لي الرواية عنه بكل ما يحمله، وجمبوع

(25) - نسخة 209.

(26) - تحفة القادر 224 - 225.

(27) - القطعة رقم 18.

(28) - النفع 595/3.

(29) - النفع 4/172، والاستئصال للناصر 2/217.

(30) - نتها، مالقة 75، المكتبة : 344/1، تحفة القادر : 249، الذيل والنكلة 117/6.

(31) - برنامج شرح الرعيني 208 - 209.

نظمه ونشره ... وقوأت عليه معظم ديوان شعره الذي استقر رأيه عليه في ذلك الوقت «(31)». وابن خبيس، مؤلف فتها، مالقة، قدمه بقوله : «هذا من فحول شعرا، الأندلس المفلقين، كان رحمة الله شاعراً مجيداً وكاتباً مطبوعاً، سلس الطبع، رائق المعاني، سهل الأنفاس، ذاكراً للآداب، متصرفاً بأنواع البلاغات » (32).

إن هذه العبارات هي في عمقها حكم تقدير لإبداع ابن مرج الكحل في شعره ونشره، في معانبه وألفاظه، وهي بالتالي شهادة من ناقد عاصره وعرفه عن قرب، وروى مجموعة من أشعاره.

وابن سعيد عدد من شعرا، المائة السابعة المبرزين، واستشهد على ذلك، بأبيات من رائبه في وصف النهر (33). كما عده في المغرب مثل الرواية، الدمشقي في الشرق (34) ولم يختلف رأي ابن الأبار عما سبق من الآراء، إذ جعله شاعراً مفلقاً بدبيع التزبد (35) رغم أننا نجد له رأياً آخر، في كتابه التكملة، قد يتناقض مع ما قاله في السابق «وقد حمل عنه ديوان شعره، وسمعت بلطفه كثيراً منه، ولم يكن عنده غير معاجلة النظم دون استقلال بالأداب» (36).

وفي هذا السياق نقل ابن الخطيب رأي الأستاذ أبي جعفر بن عثمان الوراد في حق شاعرنا، إذ قال : «كان شاعراً مطبوعاً، حسن الكناية، ذاكراً للأداب، متصرفاً فيه» (37). بالإضافة إلى هذه الأحكام العامة التي تشد بشاعرية ابن مرج الكحل، نجد أحكاماً ضمنية وتعاليف تنبية تطبيقية على بعض أشعاره، كقول أبي الحسن الرعيبي في رائبه التي وصف فيها النهر : «هذا من الشعر الرائق الفائق الذي لانظير له» (38). وعلق ابن الأبار على القطعة نفسها، في معرض الموازنة بين بيتها الأخير وبين بيت «ابن جرج» من قصيدة التوبة، قائلاً: «فجاء به آخر قطعة من حر كلامه» (39). ويرى الشيخ المغربي أن ابن خبيس التلمساني، وهو الشاعر المجيد، قد تأثر بهذه القصيدة وعارضها راقصها من الفاظها ومعاناتها (40). أما الناقد البصیر أبو القاسم محمد ابن أحد الغرناطي فقد استشهد باشمار شاعرنا ثلاثة مرات في كتابه «رفع الحجب المستورة في محسن المقصورة» (41) مشيداً به كقوله: «وقد أحسن الأديب أبو عبد الله محمد بن إدرس بن

(32) - فتها، مالقة و : 72 . وانظر أيضاً ورقة 65 فيها ما يشبه قوله السابق.

(33) - رایات المبرزين 132.

(34) - المغرب في حل المغرب 373/2.

(35) - تحفة القادر 249.

(36) - التكملة 1/344 رقم 1005.

(37) - الإحاطة 2/343.

(38) - برنامج الرعيبي : 210 . الذيل والتكميلة 111/6 . والمنصور من رائبه تضمن رقم : 18.

(39) - تحفة القادر 82 . المتضب 114.

(40) - أزهار الرياض : 1/314 - 315.

(41) - رفع الحجب المستورة : 1/25 ، 120 ، 195.

(42) - نفسه 1/120.

يستخلص مما سبق أن ابن مرج الكحل - في نظر النقاد القدامى - شاعر مجيد ومكثر، وأشعاره جمعت في ديوان أطلع عليه غير واحد من معاصريه. إلا أن هذا الديوان مازال معجوباً عنا، وربما سيوجد به الزمان شأن كثير من دواوين شعراً، الأندلس التي ظهرت في الآونة الأخيرة من أمثال ديوان ابن الجزار السرقسطي (43)، وديوان ابن فركون (44) وديوان عبد الكريم القبيسي ... (45). ومن الذين رروا شعره أبو الحسن الرعيني وأبو جعفر الوراد، وأبو الريح سالم وأبو عبد الله بن أبي البقاء، وابن الأبار القضايعي وابن عسكر صاحب نتها، مالقة وأبر محمد ابن برهطة وصفوان بن إدرس ... وغيرهم (46) مما يدل على كثرة المهتمين بشعره من النقاد والدارسين من جهة، وجودة شعره من جهة ثانية. ولانا في قوله أبي الحسن الرعيني خير دليل على ذلك حين وصف مساجلاته مع معاصره قائلاً: «وبينه وبين أبي البحرين صقران وأبي الحسن ابن حريق، وأبي عمرو بن غبات وغيرهم، مخاطبات شعرية ومراجعات ظهرت فيها براعته، ونفت بها صناعته وليس هنا موضع الاستيقا، لها، ولكنني أوردت ما علق بالذكر من هذه التحف ...» (47)، هذا بالنسبة إلى آراء القدامى. أما إذا عدنا إلى الدارسين المعاصرین فإنني لم آف إلا على بعض الإشارات التي لا تدل على الاهتمام بشعر الشاعر.

وأولى هذه الإشارات تلوك التي نجدها في كتاب نهاية الأندلس لفقد البحث في الأندلسية، المرحوم محمد عبد الله عنان، في معرض حديثه عن الحركة الفكرية في مراحلها الأولى لإمارة غرناطة. وهي لا تعدد أن تكون حديثاً عاملاً عن الشاعر في أربعة أسطر (48).

أما الثانية فهي في كتاب الأدب الأندلسي في عصر المرحدين للدكتور حكمة علي الأ Rossi، حيث استشهد الدارس بشعر ابن مرجو الكحال ثلاث مرات : أولها أشار فيها إلى قصيدة الرائية، في مرضوع الروضيات، شارحا أبياتها وجعلها على أنها في الخبر (49) وثانيةها جاءت بعد الأولى مباشرة في المرضوع نفسه، حيث وقف الدارس عند قطعته العينية في وصف روضة. (50) وثالثها جاءت في معرض حديثه عن المائدة الاجتماعية وأثرها في الأدب.

(43) - حقه رقدم له د. منجد مصطفی پهجهت، وطبع بیگداد 1989.

(44) - حفته د. محمد بن شریعته یقینیه : طبع الاول 1987 راکسی 1991.

(45) - حقه د. جعمة شيخة ود، محمد الهادي الغزالى، تونس 1988.

(46) - انظر النكبة ١/٣٣، فتها، مالقة ٧٢-٧٥ الاحاطة ٢/٣٤٣، زاد المساند ٦٩ - ١٢٤ - ١٢٦.

(47) - برنامج الربيعي 211 ويزكـدـ هذا ما جـاءـ من أـشـعـارـ وأـخـبـارـ فـيـ : لـحـفـةـ الـتـادـمـ 219 رـسـاجـلـانـهـ معـ صـفـرانـ ابنـ اـدـرـسـ . نـقـهاـ ، مـالـقـةـ 103ـ وـكـذـلـكـ الاـشـارـاتـ الـوارـدـةـ فـيـ زـادـ السـافـرـ 124ـ - 126ـ - 134ـ .

نهاية الأندلس ٤٣٥ (48)

(49) - الأدب الأندلسي في عصر المرجدين : 66 قصيدة رقم : 18.

.38) - نفسه : 68 نصفة رقم :

.7 - نفسه تطعنة رقم (51)

مستهدماً على ذلك بتفصيـة التي تحدث فيها عن الآمال التي تراود الطبقة الوسطى في الفنـي (51).

والإشارة الثالثة هي مقالة الأستاذ مرشد حمد في مجلة الطبيعة الأدبية الصادرة ببغداد، بعنوان «مرج الكحل» (52). ويمكن اعتبار هذه المقالة - على قصرها - أوفى ما كتب عن الشاعر، رغم أنها عبارة عن دعوة الدارسين إلى الاهتمام بهذا الشاعر المجهول الذي يستحق شعره كل عنـية، كما يتضح من قوله: «وابن مرج الكحل واحد من هؤلاء، أي المفسورين». وهو شاعر أنساني عـرفـني زمانـهـ إلاـأنـهـ لمـيـأـنـهـ، تلكـالـكـانـةـالـتـيـكانـلـهـأنـيـأـخـذـهـ، ولعلـذلكـنـابـعـمـنـكونـهـإـسـانـاـمـنـطـبـقـةـدـنـبـاـ، اـجـتـمـعـتـعـلـيـهـظـرـوـفـلـمـتـسـعـبـأـنـتـصلـأشـعـارـهـإـلـيـنـاـبـالـطـرـيـقـةـالـتـيـتـوـضـحـهـاـوـتـبـيـنـقـبـيـتـهـالـتـيـيـشـبـهـيـأـنـتـكـونـ...ـ» (53) ثم يقول بعد ذلك، وهو بقصد إعطاء، لـحـةـعـنـشـعـرـهـ: «لـابـدـأـأـعـتـرـفـبـالـعـجـزـ، لـأـنـلـمـأـجـهـدـنـفـسـيـنـيـالـبـحـثـعـنـمـجـمـوعـشـعـرـ...ـ» وـعـسـيـأـنـيـجـهـدـأـحـدـسـاـيـ، وـرـعـاـيـاـوـجـدـمـخـطـوـطـةـدـبـوـانـهـ، وـرـبـيـاـاـكـتـفـيـبـاـعـثـرـعـلـيـهـمـتـفـرـقـاـفـيـكـتـبـالـأـنـدـلـسـ، فـيـسـدـنـقـصـاـوـيـضـيـفـإـلـىـتـارـيـخـنـاـالـأـدـبـيـالـشـرـيـبـالـنـمـاذـجـالـإـبـدـاعـيـةـقـصـانـدـأـخـرىـفـدـتـكـرـونـلـهـقـيـسـةـأـدـبـيـةـأـوـتـارـيـخـيـةـ» (54).

والحق أن هذه الدعوة لم تغب عن بالي منذ أن بدأ اهتمامي بالأدب الأندلسي. ذكرت كلما تصفحت كتاباً أو مخطوطاً أندلسيّاً إلا استحضرت ابن مرج الكحل، إلى أن توفر لدى جملة من أخباره وأشعاره، الأمر الذي دفعني وشجعني على كتابة هذا البحث المترافق.

3 - مجموع شعره

بعد البحث والتنقيب عن شعر الشاعر في المصادر الأدبية المختلفة، المخطوط والمطبوعة، توفر لدى مجموعة من القطع الشعرية، منها التحف والمقطوعات والقصائد، وصل عددها اثننتين وخمسين قطعة، منها ثلاثة عشرة قطعة تتراوح طولها ما بين سنتة أبيات وستة عشر بيتاً، وما تبقى فهي مقطوعات وتحف شعرية عدتها جبعاً سبعة عشر ومائتاً بيت.

هذا عن حجم شعره، أما موضوعاته فهي متعدد كوصف الطبيعة الصامتة والحبة، ثم الملح والإخوانيات فالغزل والشوق والهجا، والمعتاب. وهذا يدل على أن شاعرنا طرق جل موضوعات الشعر العربي باستثناء الرثاء، الذي هو وليد ظروف خاصة تتعلق بفقدان الأحبة.

وإذا حاز لي - في هذه العجلة - إن أدلني برأيي في شعر شاعرنا فليأتني أرأه يصدق عليه قول بلديه الشاعر عبد الكريم القبيسي :

وـمـاـالـشـعـرـإـلـأـكـسـرـقـالـقـبـيـ

(52) - الطبيعة الأدبية 5 - 8 العدد الأول سنة 1978.

(53) - المرجع السابق : 5.

(54) - ديوان عبد الكريم القبيسي : 23.

(55) - انظر مثلاً القطع الآتية : 5 - 8 - 16 - 18 - 19 - 28 - 38.

فمنه القرىُ و منه الضعيفُ ومنه إذا ما اعتبرتَ الوسط (54)

ولعلَّ أجرد شعره ما جاء في وصف الطبيعة والغزل (55). وقد شهد له بتقدمه في هذين الفرضين أكثر النقاد، كما سبقت الإشارة في آراء النقاد في شاعريةِ رحيم نعمرد إلى بعض أشعاره، كما هو الأمر في قطعاته التي يطلب فيها دهاً من بعض الوعاظين، فنجدُه من الشعر الوسط في الجردة (56). أما شعره في المرتبة الأخيرة، حسب ما وصل إلينا منه، فيتمثل في ما قاله في الهجاء (57).

ومثل هذه الأحكام تبقى موقتة ما دمنا لم نتفق على جميع أشعاره بعد، لأن المصادر التي روت له ما جسمناه هي نفسها اجزاء من القصائد الأصلية، كان تورط بعض الآيات من وسط القصيدة، أو تكتفى بغير ادراك مطلقاً أو يتنا مفرداً منها (58).

(५४)



.44) . نطعنه رقم :

⁵⁷) - انظر مثلاً الفقطع : 12 - 37 - 41 - 42 - 43 - 51.

(58) - انظر النص في الآية : 3 . 2 . 4 . 13

• مقارنة المتع المفید فی نظریة
الشعر عند حازم القرطاجنی
(القسم الثاني)

يعلم الأستاذ : منصف الراهبي
(كلية الآداب - القیروان)

3 . المهد الأخلاقي الروحي :

إن السؤال الذي ينشأ في هذا السياق هو : إذا كانت اللذة تنجم عن تحسين القبيح ما حسنت هيئة الكلام ومعاكياته « لأن قبح الهيئة يتحول بين الكلام وشكنته من القلب ، وقبح المحاكاة يفطي على كثير من حسن المحاكى أو قبحه ويشغل عن تخيل ذلك » . (59) فما الذي ينجم عن تتبع الحسن ؟ إن في الإجابة على هذا السؤال ما يكفى لنا تلك الرشيعة بين المتع والمفید ، فالقرطاجنی يساور ، في الظاهر ، بين تحسين التسبیح وتقبیح الحسن ، لأن الأنواریل في كليهما قد تكون صادقة ، فالحسن لا يخلو من وصف متنبیح والتسبیح لا يخلو من وصف مستحسن ، إلا أنه يخدرك فينبئ إلى أن « الصدق » في الثاني أقل منه في الأول . (60).

وهو في هذا سیجم ونظرته في المحاكاة ، فالنفس تستله الأثبا ، الحسنة في ذاتها ، ولكنها تتألم لها ما نالها التسبیح بواسطة الحال ، لأن هذا التسبیح لا يشوه الأصل فحسب وإنما يتعارض وضیعة المحاكاة ، بل هو يخلو منها . وكان الشاعر هنا يخترع أو ينشئ من غير أصل ولا احتذا . وهذه صفة موقوفة عند المسلمين على الذات الإنھیة وحدها (61) . ولذا نجد القرطاجنی بعد المفاصق التي لها أصل في الأعيان مما يهی ، النّس لغیر الشعر أو طلبه والالتناز به ، لأن مدارها على المكن « وكلما توفرت دواعي الإمكان كان الوصف أوقع في النّس وأدخل في حیز الصّحة » . (62) . أمّا تلك التي ليس لها أصل في الأعيان ، فهي من التشیل الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوّره « والوصف بالتشیل أفعى ما يمكن أن يقع فيه

* انظر القسم الأول من هذه الدراسة في مجلة : « دراسات أندلسية » ، عدد 8 سنة 1992 ص 52.

(59) نفسه . إعامة . ص . 72.

(60) نفسه . ص . 75.

(61) يقول الراغب الإشنعاني (المفردات في غريب القرآن ، مادة خلق وبدع) : « الخلق أصله التقدير المستلزم واستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذا . قال : خلق السمرات والأرض أي أبدعها بدلالة قوله : بديع السّماوات والأرض . والإبداع إنشاء صنعة بلا احتذا ، واقتضاها . وإذا استعمل في الله فهو إيجاد الشيء ، يغير الله ولا مادة ولا زمان ولا مكان ، وليس ذلك إلا لله .» .

(62) التهاج . إصابة . ص . 133.

حاصل أو غالط في هذه الصناعة»⁽⁶³⁾ ومن ثم فإن تفسيح المحسن لا يمكن إلا أن يكون تبعاً ما أدى إلى الإهالة. ولا يستساغ الوصف بما يرمي إلى الإهالة عنده إلا إذا كان الغرض الهجاء، أي التهكم بالشيء، أو الزراعة عليه والإضحاكه. ومثاله قوله الطرماح: [طريل]

ولو أن برغوثا على ظهر قملة يكر على صفي تميم لولت⁽⁶⁴⁾

والحق أن القرطاجي لا يتباهى إلى أن الصورة هنا لا تخرج إلى حيز الاستهالة، نهي من المتنع الذي يتصور وإن لم يقع، وما يؤكد ذلك «لو» وهي حرف استئناف، أي استئناف حصول الجواب لاستئناف حدوث الشرط، فضلاً على أن القرطاجي نفسه يبين أن المتنع لا يستلزم ولا يستساغ إلا على جهة من المجاز⁽⁶⁵⁾. ولبيت صورة الطرماح إلا ناشئة في حيز المجاز فهي استعارة مكنية إذ ذكر المشبه فقط (برغوث) وحذف الشبه به (فارس) وأشير إليه بذلك لازم من لوازمه. وعلى كل فإن صناعة الشعر عند القرطاجي وإن كان لها أن تستعمل الكذب، فليس يعني لها أن تتمدّى الممكن من ذلك أو المتنع إلى المستحيل، لأن المستحيل من شأنه أن يتحول دون انفعال المتلقي بالشعر واستجابت له. وكأن «الممكن» هو البشري، ففي حين أن «المستحيل» هو كـ«المعجز» لا يمكن إلا أن يكون إلهياً. وعظمة الإله، عند المسلمين تتجلّى في حكمته المخصوصة وفي كون أفعاله لا تخضع لمعايير العقل الإنساني. أما الشعر عند القرطاجي وغير القرطاجي فصناعة مضبوطة أي ملكة حاصلة بالذرية والشمرن، فإذا نأى بها الشاعر إلى «الإهالة» لم يربك قراءتها وضوابطها فحسب، وإنما أربك أيضاً وظيفتها ومعاييرها التي حرص البلاغيون على أن تقاس بها وتعرض عليها أسرة بالعلوم والصناعات الأخرى. وقد لا ثماري في أن القرطاجي يجري على سفن من تقدمه، وأن معجمه الشارح للتغليل يدور على الإيهام والأدعا، والخداع والمخاتلة الأمر الذي يجعله يبعد من وظيفة الخيال الشعري أو يحصره في الغطنة ومخادعة النفس⁽⁶⁶⁾. فإذا الكتابة الشعرية مهارة وقدرة على المحاكاة، ولبيت مغامرة لغوية أو حفراً فيما لم يحفر فيه بلغة المعاصرين منا. ولكن لا تكون بذلك قد انتزعنا نظرته من سياقها، وبيننا وبين الرجل حجب من الزمان كثيفة؟

إن القصد بالأقوال الشعرية عند القرطاجي «استجلاب النانع واستدفأع المضار بسيطرتها النوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخبل لها فيه من خبر أو شر»⁽⁶⁷⁾. وهذا قصد معحكم بأساس أخلاقي روحي لا يمكن إلا أن يدور الشعر بحسبه على طرقين في علاقته بقيم الحق والخير والجمال: أولهما مقابلة: بين «الخير» و«الشر» تواجه

(63) نفسه. معرف ذات. ص. 133.

(64) نفسه. ص. 134.

(65) نفسه. معرف ذات. ص. 133.

(66) الخيال منهوماته ووظائفه. ص. 173.

(67) المنهاج. إضافة. ص. 337.

الشاعر من خارج أي من المؤسسة الاجتماعية أو الثقافية التي ينتسب إليها.

وثانيهما مقابلة من الداخل بين «ما يجب فعله» و«ما لا ينبغي فعله» تضفي على لحظة الكتابة فهي مشادة قد لا تنزل بالضرورة إلى مصالحة أو مزاحاة.

ويترتب على المقابلتين كليهما . إذا كان القصد الأخلاقي ملزما . تميز بين ما هو خبر من حيث هو وسيلة تؤدي إلى غاية، وما هو خبر من حيث هو غاية في ذاته. وإذا كان الشاهد الذي أوردنا يجعل من الشعر وسيلة مادام هذه احتلال الشع واستدئابه، فإن في «المنهاج» شواهد أخرى تقاد ترقى بالوسيلة إلى مستوى الغاية، فالشعر فضل وصيغ بالحكمة «وكان التدما من تعظيم صناعة الشعر واعتقادهم فيها... على حال قد نبه عليها أبو علي بن سينا فقال : «كان الشاعر في القديم ينزل منزلة الشبي، فیعتقد قوله ويصدق حكمه، ويؤمن بكتاباته». (68).

إلا أن القصد الأخلاقي هو المهيمن على وظيفة الشعر عند القرطاجي، فهو يجري على تقدير الشعر من حيث هو صياغة فنية مخصوصة بجملة من القيم والمشاعر. وعلبه فاللذة بذاتها ليست ذات قيمة كبيرة ولكن اللذة الناجمة عن معاكاة التحسين أو التنبيج أو المرتبطة بالتجربة الجمالية تزيد من انبساط التفوس إلى ما يواد لها من استجلاب المنافع واستدئاب المضار. أما تلك الناجمة عن معاكاة المطابقة فهي خير في ذاتها، وكأن الفعل الصواب الذي ينبغي أن يفعله الشاعر هو أن يروض الخواطر حتى يسلم التلقى إلى أكبر قدر ممكن من اللذة ويقلل الله إلى أكبر قدر ممكن. وللقرطاجي في هذا الباب حجمه المستبد من مفهوم العلم في عصره من حيث هو بحث في خواص الأشياء، وكشف عن طبائعها، وليس عن العلاقق الناجمة بينها أو القوانين التي تحكم فيها، ذلك أن فكرة القانون لم تكن قد تبلورت بعد، فانصرفت أنظار العلماء إلى دراسة الأعراض الذاتية والخصائص الثابتة الملزمة للأشياء، أي الظواهر التي تحدث في الناس «بالطبع» ويترى البصرين بها من أحسن والعقل المشاهدة والشواهد (69).

فبالاستناد إلى هذا المفهوم يقرر القرطاجي أن الناس يحبون تصارييف أيامهم وتقلب أحوالهم ثلاثة أصناف :

- صنف عظمت لذاته وقتل آلامه فأحواله مفرحة.

(68) نفسه. ص. 122 و 124.

(69) يرى الشيخ الفاضل بن عباس أن لكتاب حازم من علم البلاغة ناحية خاصة بمحفلتها من بين الكتب المشهورة يمكن أن ترتكبها من العلم منزلة الأصول من الفروع أو منزلة نلسنة العلم من العلم كمتزلة رسالة الإمام الشافعي من علم الفقه أو متزلة ابن خلدون من علم التاريخ (المنهج . متنبعة . ص. 10). وهي زعمتنا أن مفهوم العلم عند ابن خلدون والقرطاجي واحد . وهو الذي أثبتناه . انظر (التوسيع) تمام حسان : الأصول . دار الشرين الثقافية العامة . بغداد 1988 . ص 11 . وما بعدها .

- صنف عظمت آلامه وقلت لذاته فأحراره مجتمعه.

⁷⁰ - صنف تكافأ لذاته وألامه فأشعر الله شاجة (70).

فإذا كانت مهمة الشّعر استجلاب «الخّير» فالسؤال : على من يعود هذا الخبر؟ وهل هو خبر خاص أم خير عام؟ بل هل بهم الشّاعر أن يسأل مثل هذه الأسئلة مادامت مهمة «المتع المفيد» أو «الحسن النافع» مشروطة بـ«إنتاج» الخير ليس إلا؟

يبدو أن القرطاجي الذي يريد أن يجعل من نظرته في الشعر نظرية مطردة الأحكام أو علمابرهاباً استدالياً له مقدماته ونتائجها، يأخذ في الحسبان مثل هذه الأسئلة حتى يسرع أساس الأخلاقي الروحي في التمر. لذا نجد، ببطل التisper بين الماهية والقصدية، مادام «المتع المفید» لا يرتد إلى ذاتية الشاعر بقدر ما يرتد إلى تمثيلات «أخلاقيّة»، واعية تكشف بدرجة أولى عن المخواص الحقيقة أو البواعت النسبية التي تحفز التلذّي إلى التعامل مع النصّ الشعري بهذه الكيفية أو بذلك، ومادام الشعر يعني حسناً «تماثل» البنى الطبيعية والبنى الثقافية ضمن معادلة دقيقة بين «ما يجب فعله» و«ما لا ينبغي فعله»، فالشاعر ملزم بالصدر عما هو طبيعي، ولكن عليه في الآن نفسه أن يتلذّل الوسائل وأن يجبر الوسائل التي تجعله يتجاوز الطبيعي وينفيه حتى يتمكّن من صنع بنائه الجدلية الخاصة. وليس في تشديد القرطاجي على جودة الطبع وكثرة المزاراته رأساًع الدراية والتحليل في إيقاع الدكسة للنفس في الكلام لدى الشاعر⁽⁷¹⁾ سوى تأكيد للسائل المشار إليه. ولكنّه تماثل يعبّأ بمعنى وقصد يعبّأ أن يحتاج، بحيث لا يلحظ القارئ طرائق الشاعر في التعامل ومناجمه في الاحتضان للمعنى والصورة، فالتجليل في جانب كبير منه تخييل و«النظم صناعة آتها الطبع، والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام وال بصيرة بالذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن يتحقق بعد نجومها». ⁽⁷²⁾ ومن ثم يتعدد القصد من داخل النصّ مثلما يتعدد من خارجه نتتغافل في تشكيله كبنية القول ورماثيق التلقى والقراءة. فما دامت أحوال الناس متفرجة أو منجعة أو شاجحة وجب أن يراعي الشاعر هذه القسمة التي تزول بالأنواريل الشعرية إلى ثلاثة أقسام يحبّ البساطة هي :

(١) أقوال مفرحة.

(2) أَنْدَلْ شَاهِيَّةٌ

(3) أفعال منعنة

رأيحة أقسام بحسب الترکیب هي :

(70) المهاجر . معرف دال . ص . 356

⁷⁰ نسخة المائة، 199 (71).

نحوه الصناعات نسخا

- (1) أقوال مُؤتلفة من سارة وشاجة.
- (2) أقوال مُؤتلفة من سارة ومنجعة.
- (3) أقوال مُؤتلفة من شاجة ومنجعة.
- (4) أقوال مُؤتلفة من سارة ومنجعة وشاجة. (73).

ولما كان الشعر العربي شعر أغراض كان الشاعر ياز، مخاطبين أو متلقين إثنين : مخاطب مخصوص كالمندح مثلاً من حيث هو ذات لها حضورها الفعلي الوجودي، ومخاطب متوجه هو ذات «شعرية» تقيم في النسج اللفوي، «فيجب أن يقال بالقول إلى القسم الذي هو أشبه بحال من تصد بالقول وصنع له، وإن لم يقصد به قصد إنسان فليقتصر به على ذكر الأحوال السارة المستطابة والشاجة، فإن أحوال جمهر الناس والمترغبين لساع الكلام حائنة حول ما يتعم أو يشجر». (74). ولولي القرطاجي القارئ أو المخاطب «البوفهم» كبير عنايته، فالكلام ينبغي أن يستعمل بالنظر إلى من تصد به تقدماً أو كلاماً خاصاً وإلى من قصد به تقدماً ثانياً عاماً، «فلذلك ينبغي أن يشتمع [الشاعر] المعاني الموحشة من جهة ما يراد إلقاءه بجعل التبoul من كل سامع بمعانٍ موزونة تتعلق بغير الجهة التي تعلقت الموحشة بها». (75) ويسجن القرطاجي في هذا السياق أن تتعلق الأحوال المستطابة بدركات الحسن، تعليها مدار الشعر ومتعمدة المؤاس، كالعناق والثشم (الملوسات) والماه، والمحضرة وما يجري مجريها (المصارات ونسم الطيب والروض (السرمات) والحر ونحوها (المطعمات) والفناء والزمر والعزف (المسموغات) (76)، وهو بعد ابتهاج النفس بهذا النعيم نوعاً من المنافع. فعلى هذا المبدأ التعمي ينبغي أن يجري الشعر فالسعادة سعادة الجماعة والخير خير الجماعة، ويشتأن بين أن يحدّد الألم الخاص واللهة الخاصة، للشاعر، ما يمكن أن يتعلمه، وأن يحدّد له الخير الأعظم لأكبر عدد من الناس ما ينبغي أن يفعله.

4 - الإيقاع بين الإمتناع والإفادة :

لعله أن يكون بيسينا، في ضوء ما تقدم، أن نقرّ بكثير من الاطمئنان أن «المعنى الفيد» في نظرية الشعر عند القرطاجي يتراجع بين الوصلة والغاية، فالالتذاذ بالتخيل والمحاكاة إما أن يحصل المتلقى على استجلاب نفع أو استدفاف ضر، وإما أن يكون خيراً في ذاته ولذاته، فإلى أيٍ منها تؤول قواعد الصناعة النظمية وطرقها الإيقاعية ما دامت هي

(73) نفسه. ص. 356 و 357.

(74) نفسه. ص. 357.

(75) نفسه. تحرير. ص. 360.

(76) نفسه. تحرير. ص. 357.

أيضاً تخيلة ومحاكاة؟

إن ما يشدنا عند هذا الفصل من مقاييسنا هو الوزن لصلة الوثيقة بالمعنى المقيد في نظرية القرطاجني، فهو عنده من قوام الشعر وجوهه، «فإن الأوزان مما يتقوّم به الشعر وبعد من جملة جوهره»⁽⁷⁷⁾. وهو في هذا لا يختلف عميقاً عن سائر النقاد الذين أولوا كبيراً عناية للوزن من حيث هو قبض بين الشعر والثرثرة وعنصر أصبح في بناء القصيدة. فلم يكن ذلك موضع جدل كبير بينهم، ولم يشدّ عن إجماعهم سرى القليل⁽⁷⁸⁾. فالوزن كان مستقراً في الأذهان بحيث يمكن عدّ طبقاً جماعياً حسبما إذ لم ينفكّ لا الشعراء ولا العروضيون ولا النقاد تفكيراً جديداً في تغيير أوزان الشعر العربي أو استبدالها بأوزان أخرى. وما أخبرني في هذا المجال لا يعمدّ محاولات فردية محدودة انحصرت في مجرد تنويع في الأوزان والقوانين وتعلقت بالتشكيل الخارجي لم وسيقى الشعر وما يداخلها من أسباب وأوتاد وفواصل وعلل وزحاف. وربما لم يكن بيسورها أن تذهب أبعد من ذلك، فما يزعمه بعضهم من إيقاع داخلي في هذه المحاولات. وهو كامن فيها لا ريب. ليس مما يسهل الأخذ به والاطمئنان إليه⁽⁷⁹⁾، فإيقاع الحركات والسكنات وما فيها من قوة أو لين، ومن همس أو جهر ومن طول أو قصر يختلف من قصيدة إلى أخرى وربما من بيت إلى بيت، بحيث يصعب حده وضبطه وإحكام قواعده.

لقد ظلت معظم جهود القدماء، تراوح في دائرة القوانين والقواعد التي استقرّ لها الخليل وعني بها العروضيون في باب الأوزان والقوانين وما يحصل بها من مواضع ورخص، ولا شك أن نظرة في التراث النثري بنظرة معايرة لإيقاع القصيدة خارج هذا الباب، بما في ذلك تلك الإشارات واللاحظ التي تستوقفنا عند النزاري أو ابن سينا. فصورة العروض العربي صورة كمية⁽⁸⁰⁾ ليس من السهل تقويضها، والاعتماد على الكلم في المقاطع اللغوية أي على عدد المقاطع في كلّ بيت وما تستفرغه من زمان عند النظر بها، هو مما يدلّ على رابطة صميمية بين الطقس الجماعي والإيقاع، قد تحدّسها ولકنتنا لا نملك أن نتأوّلها ونسوغها. رها هنا نظر بلاحظ القرطاجني وذكر النفاثاته، فهو يسرّ على نهج يخالف نهج العروضيين إذ يبني العروض على البلاغة وستخدم مصطلحات كالتناسب والتلازم والتضارع والتنافر في بحثه في ماهية الأوزان عند العرب وأصول نشأتها. نتجده، ينفكّ الbeit الشعري ويردّ إلى العناصر التي يرى أنها تكون أنسها النسبة الرجدانية والثقافية، فيتدبر على

(77) نفسه. ترجم. ص. 263.

(78) يقرّ عبد القاهر مثلاً أن الوزن ليس من الفصاحة والبلاغة إذ لو كان له مدخل فيها لكان يجب في كلّ تصيّدتين اتفقنا في الوزن أن تختلف في الفصاحة والبلاغة قليلاً بالوزن كان الكلام كلاماً، ولا به كان كلام خيراً من كلام «دلالات الإعجاز» ص. 364».

(79) انظر مثلاً. كتاب أبو ديب. في البنية الإيقاعية للشعر العربي. ط. 1. دار العلم للملاتين بيروت 1974. وانظر أيضاً كتاب جدلية المخنث، والتجلّي. بيروت 1979. ص. 93 وما بعدها.

(80) محمد عوني عبد الرؤوف. بدايات الشعر العربي بين الكلمة والكيف. مكتبة الماهمين بصر 1976. الفصل 3. ص. 93. 151.

نحو لافت الحائز الذي جعل قصيدة النسوج أي القصيدة الجاهلة تبني ذلكم البناء، المخصوص بعنف طويلاً عند حافظ «الذكرى» أو «التذكرة» في المقدمة الطلبة الفرزليه⁽⁸¹⁾. وكأنه قد حدّس أنَّ الإيقاع في الشعر العربي «يتزمن»، و«يتسكن»⁽⁸²⁾ بدءاً من الماضي، مما تثُل الوزن إيقاع الزَّمان إيقاع المكان. ومن ثم يعقد صلة لطيفة بين البيت الشعري والبيت المضروب (الخبا)، بين السمعي والبصري، منبئاً تلك العلاقة التي أشار إليها الخليل وغير الخليل من الموضوعين ونقاء الشعر⁽⁸³⁾. ودون أن ندخل في مباحثات المستشرقين، وغير المستشرقين حول نشأة المصطلحات الفنية في نظرية الشعر عند العرب، مثل الاصطلاح «الميزه بيت»، يعني خيمة أو منزل دالة على بيت الشعر، وهو اصطلاح يزعمه جروني باوم «وَهُوَ جُورج يعترِب»، أنه سبّائي النشأة⁽⁸⁴⁾، تنبئ على أنَّ الخليل نفسه قد نصَّ على أنَّ أصل التسمية عربي، وأنَّ أصحاب اللغات، في ما نعرف، قد ينتظرون مع غيرهم دون أن ينقل بعضهم عن بعض، بالضرورة.

يماثل حازم إذن بين الوزن والبيت (الخبا)، فيجعل الكينة التي بها تترکب الأسباب والأرتاد من التحركات والسوائل، ثمَّ بين هذه وامتداد الأقطار في البيوت وأطراد أركانها، ليخلص إلى أنَّ القصيدة يحمل في مطاوئه تشكيلات زمانياً وآخر مكانياً، فحركة التسويق الصوري في البيت تناسب حركة الدوران حول الخباء، تؤكد ذلك «تفانيه من حيث هي نهاية للبيت وإيدان بيدياه بيت آخر أي أنها على تدر ما تتمثل نصلاً بين بيتهن تتمثل تقدير الوصل بينهما. فـ «السموعات تجري من الأسباب مجرى المرئيات من البصر»⁽⁸⁵⁾، وـ «ما بين المعنى والقول من الملائمة مثلـ: ما بين السكن والمسكن»⁽⁸⁶⁾. وهـ الشاعر يريد أن يبقى ذكراً أو يصوغ مقالاً يخيـل فيه حال أحبابه ويتـيم المعانـي انـدعاـكـية لهم في الأذهـان مقـاماً صورـهم وهمـانـهم»⁽⁸⁷⁾. والجـذر الصـلـاغـيـ في هـذاـ الـكلـامـ لاـ يـخفـيـ، فـالمـقالـ يـنـاسـبـ المـقامـ، وـيـلـاغـةـ القـولـ لاـ تـفـعـلـ فـعـلـهـاـ فيـ النـفـسـ إـلاـ عـلـىـ أـسـاسـ مـنـ هـذـهـ المـانـابـةـ «وـمـسـىـ أـمـكـنـ أنـ يـبـهـيـ، الشـيـ، الـذـيـ يـجـعـلـ تـذـكـرـةـ لـشـيـ، آـخـرـ وـيـقـصـدـ بـهـ تـمـثـيلـهـ فـيـ الـأـنـكـارـ بـهـيـةـ تـبـهـ هـيـةـ ذـلـكـ الشـيـ، الـقـصـرـ تـذـكـرـةـ مـنـ وـجـوهـ كـثـيرـةـ يـتـقـنـ بـهـاـ الشـيـ، كـانـ أـنـجـعـ فـيـ التـحـريكـ إـلـيـهـ وـالـانـصـابـ فـيـ شـعـبـ الـلـوـعـ بـهـ»⁽⁸⁸⁾.

(81) المذاهب، شعر، ص. 249.

(82) «يتزمن» من الزمان و«يتسكن» من المكان: استعملنا صيغة تفعيل «تي» تهدى المطارعة أي حصول الأثر عند تعلق الفعل المتدى بغيره.

(83) يقول الخليل: رأى البيت من الشعر ترتيب البيت من بيوت العرب المعنونة من الشعر (يريد الخبا).

انظر: كتاب القراءي للشغرقي القاهرة 1975 - ص. 168.

(84) بدايات الشعر العربي بين الكلم والكيف - ص. 224. 232.

(85) المذاهب - ص. 128.

(86) نفسه - ص. 250.

(87) نفسه - ص. 249.

(88) نفسه - ص. 250. لاحظ كيف أنَّ الوزن يزُدُّ لـأـنـهـ يـتـشـلـ ذـكـرـيـ.

إن هذه المناسبة التي يمكن اختزالها في عنصرين: مناسبة بين السمعي والبصري، ومناسبة في مستوى الوزن الواحد، بين التمثيلات من حيث التقابل والترتيب، ليست موضوعاً شكلياً⁽⁸⁹⁾، فالصلة بين موسيقى الشعر ومعناه من جهة، وموسيقاه ووظيفته من أخرى هي عند القرطاجي من طبائع فن التول وأعراضه الذاتية.

(أ) الموسيقي والمعنى:

أما صلة الموسيقى الشعرية بالمعنى فنحوها إلى الأغراض ومقاصدها. والمقاصد جدة ورمانة أو هزل ورشاقة أو بها، وتفخيم. وليس الأوزان إلا محاكاً وتخيلاً لهذه المقاصد. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصداً هزلياً أو استخفافياً... حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائنة التبللة البهاء...⁽⁹⁰⁾. وقد توضح هذه الملة أكثر في الأوصاف التي يضفيها القرطاجي على كلّ قسم من أنواع العروض الثلاثة: أي الطربيل والقصير والمتوسط، بحيث يخص كلّ قسم بغرض من الأغراض. فكأنَّ الوزن - مجرداً، مشحون بالمعنى ناطق بغير لسان. والوزن هو كما ينقل القرطاجي عن ابن سينا زمان التول وعدد زمانه⁽⁹¹⁾. فإذا كان الأمر على هذا النحو فإنَّ في ذلك ما يغري بالقول إنَّ المعنى يرمض قبل أن تتنفسه اللغة وتتروضه، ويومئذ في ذاته قبل أن تخرج له اللغة من الخفاء إلى التجلُّ والتتحقق والعلانبة. فالطربيل والبسيط يناسبان مقاصد الجدِّ كال مدح والفخر ونحوهما. والكامل يناسب جزالة النظم والرمل والمديد يناسبان إظهار الشجُوِّ والكتاب وعروض الطربيل تجده أبداً بها، وقوَّة، وتجد للبسيط سبطة وطلاؤة، وتجد للكامل جزالة وحسن اطراط، وللخفيف جزالة ورشاقة. وللمتقارب سبطة وسهولة.⁽⁹²⁾

ولكن هل لهذه الفرضيات لأنْ تطهِّي؟ ينتهي في ضوء ما نعرف من شعر؛ وهل يمكن للأوزان أن تنساب وتتفاصل على أساس من خصائص سابقة لزمن الكتابة والإنسان؟ ألا يتسع الوزن الواحد لأكثر من غرض وأكثر من معنى؟ ألا يدل ذلك على أنَّ الوزن - مجرداً - لا تعلقه صفات جمالية أو معنوية ثابتة؟

تلك أسئلة تحاشرها حازم وتغاضي عنها، فتبيَّن الأوزان في نظريتها تحافظ بقيم سابقة على الكتابة. وقد تقرَّ بهذه الفرضية بالإجماع لا يمكن أن يكون قد نشأ من فراغ، ولكن يصعب أن نقبل تفسير حازم لها، فنحن لا نعرف شيئاً عن نشأة الشعر العربي وأوزانه.

(89) هنا ما يذهب إليه مصطفى الجزار. انظر: *نظريات الشعر عند العرب*. دار الطيبة. 1981. ص. 27. ونحن نتعفظ على رأيه للأباب الذي شرحنا.

(90) المهاج. إضافة. ص. 266.

(91) نفسه. الصفحة نفسها.

(92) نفسه. ص. 260.

فالشعر الذي وصلنا قبل الإسلام حدث الميلاد كما يقول المحافظ «فإذا استظرانا الشعر وجدها - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين رمانة عام، وإذا استظرانا بغایة الاستظهار نمائتي عام». (93)، وهو شعر لا يحصل سبها الأوكات من الآباء، وليس فيه ولا في رجزه الذي يعده بعضهم البداية ما يهمني، إلى أنه من براحل وأطوار حتى وصل إلى تلك المرتبة التي تلمسها في شعر امرئ القيس أو الأعشى أو لمزيد... وتلك فجوة لم يقدر حازم على سدها، برغم الجهد الذي بذل. ولكن يحمد له أنه تنبأ إلى التمايز بين الوزن والمعنى أو بين الوزن والقصد الشعري. وربما أغراه بهذا الطرح تسمية البحور أي الأساق الإيقاعية، فرجد شيئاً من صالتها فيها، فالتسمية تشعر باختلاف الأسس الإيقاعية من سق إلى آخر، كما تختلف البحور في نقطتها وجودها على الأرض واضطراب كل منها بما لا يضطرب به الآخر، على اتحاد الماء والموج فيها كلها (94). وقد نتخلص من فرضيته، على صعوبة الإقرار بها، أن شعرية النص عند تكمن في تآخي الوزن والمعنى أو في ضرورة أن يستمع الشاعر الإحساس باتحادهما، ففي ذلك متعمدة المتنفس ولذاته. فما دام الوزن محاكاً فإن «النفوس تنشط وتلتئم بالمحاكا» (95). كما ينتقل حازم عن ابن سينا و«الأوزان مناسبة للألحان فمالت إليها النفوس وأرجدهما» (96). والناس تحب «التاليق المتنفس أو الألحان طبعاً... نحن هاتين العلتين تولدت الشعرية». (97). هل في ذلك ما يحيل على أن الحزن عند القرطاجي «محشو» أو «لغة» وأن الشاعر إذا اختار وزن قصيدة يكون قد اختار معنواها أو مقصداتها؟ فالوزن عند ينجز وظيفته قبل أن تلأ الكلمات فيضبط المتضدية ويرسم مسار النص، ثم يتحكم في المعنى إما بالزيادة أو التقصي بسبب ما يداخله من علل وزحاف. ولكن الشاعر لا ينهض بالقصيدة مجرّأة ملائكة، فالمعنى الشعري ليس مستقلاً عن شكله الوزني، وإذا نظر الشاعر ثرا فقد لا يكتب إلا أثرا. إنما ينهض الشاعر بالصوت (الوزن) والمعنى معاً، ببحث يتصل الإيقاع بكلّ عنصر من عناصر البيت وبالبيت، فهو جرس الصاتات ومعناه في آن: يحل حيث تجعل اللحظة وينبئ حيث تبني الجملة وينقل حيث تقبل القافية، وليس تابعة خارجية يخضع لها الشكل الشعري. أي أن اللغة وقد ترثت على هيمنة مخصوصة هي التي تخلق الإيقاع وتهضم ب نفسها دليلاً عليه، وليس الإيقاع المجرد هو الذي يرثي اللمة على نظم موزون له تصميمه المجرد في ذهن الشاعر. والوزن الواحد لا يعني بالضرورة إيقاعاً واحداً، فقد يكون في قصيدة هادنا ويكون في أخرى مضطرباً، وقد يكون في قصيدة لينا، ويكون في أخرى قرناً.

(93) المحافظ، الحيوان . 74/1

(94) محمد العلبي، العروض والقافية . ص. 95.

(95) النهاج . ص. 117 . ينتقل حازم عن ابن سينا.

(96) نفسه، الصنعة نفسها عن ابن سينا.

(97) نفسه، الصنعة نفسها عن ابن سينا.

(ب) الموسيقى والوظيفة :

يُعمل التّناسُب الإيقاعي في نظرية القرطاجيّ ففي مستويين متلازمان : التّخييل والتجسيم، فهو محاكاة أي مكون من مكونات الماهية لأن صناعة الشعر «مرتوفة على معرفة جهات التّناسُب في تأليف بعض المسموعات إلى بعض، ووضع بعضها تالية لبعض أو موازية لها في الرّتبة». (98). وهو مصدر من مصادر المتعة أو اللّذة «فالتأليف من التّناسُبات له حلاوة في المسموع وما اختلف من غير التّناسُبات والمتّابقات فغير متعلّل ولا مستطاب». (99). وبالتالي فإنّ من عناصر الشّعرية هذا التّأليف الإيقاعي المخصوص، فالشعر شعرًا ما أخذ بهذا التّأليف «وإن كان له نظام محفوظ لأنّا نشترط في نظام الشعر أن يكون مستطابا». (100). ويتعزّز الإمتاع بسبب من القافية، فهي مبعث التّذاذ، إذ تجده فيها النّفس راحة واستجدادًا لنشاط السّمع. وذلك ما يسرّغ في نظر القرطاجيّ ولع العرب بالقافية وما يستحسنون فيها من اقتران بعض الحركات والسكنات واقتران الحروف المchorة وغير المchorة ببعض، والكافية عند، هي التي تحفظ للقصيدة نظامها، فهي لا توجس اللّعن بقدر ما تقيض عليه وتضبطه «ولم أجروا (العرب) أواخر الكلم كيف اتفق لم يكن ذلك ملدوّا لأن ذلك أمر لا يرجع إلى نظام». (101).

فالقافية تلهم مفاصل الجمل وتحرّل درن انسياحها وترجرجها، فهي ليست حلبة أو زينة وإنما أداة وإيقاع في آن. «ولجري الأمور على نظام منضبط سمحكم موقع عجيب من النّفس». (102). غير أنّ وظيفة القافية مثل وظيفة الوزن تنحو عند القرطاجيّ باتجاه الإفادة أيضًا، إذ بها تتساير المعاني، فالعرب إنما جعلت مجاري التّوافي فروقاً بين المعاني. وبالتالي فإنّ تفهم المعنى وتعقّله يرجع في جانب منه كبير إليها.

وعلى هذا الأساس فإنّ الإيقاع وسيلة وغاية في آن، فهو متع في ذاته، نافع في إفادته للبيان والأخلاق ويعث السّامع على الانفعال الطّارئ متلازماً على انتقام سائر الخبرات التّقائية مثل الحكمة والعلم، كما يبيّن الفارابي. (103).

III خاتمة واستنتاج :

لعلّ في هنا المذهب مذهب «المتعة الذّية»، الذي حاولنا أن نبيّن أهمّ عناصره ومكوناته، ما يؤكد أنّ القرطاجيّ اصطنع نظرته تحت سلطان تقافة أصولية كانت تنزل

(98) نفسه، معروض دالـ. ص. 265 وما بعدها.

(99) نفسه، ص. 267.

(100) نفسه المتعة نفسها.

(101) نفسه، إضافة، ص. 123، 124.

(102) نفسه، الصفحات نفسها.

(103) الفارابي، كتاب المرسيقى تقدّم عن أدونيس، الشّعرية العربية، ص. 20، دار الأداب 1981

الشعر منزلة الدين، بسبب من عنایة العرب بالشعر وتأثرهم له وحسن اعتقادهم فيه (104). حتى إنهم عبّروا عن «أنكارهم» بواسطة الشعر أكثر مما عبّروا عنها بواسطة التاريخ، فقد كان الشعر عندهم يؤمن الثقافة بالقدر الذي تؤمن به الثقافة الشعر، من جهة، وأصطنعها تحت ضغط العصر، من أخرى، إذ راوه حال الشعر في عصره وأنوله في الاستعداد الذي يكون بأن يعتقد فضل قول الشاعر وصدقه بالحكمة فيما يقول... معذوم بالجملة في هذا الرمان، بل كثير من أبناء العالم... يعتقد أن الشعر نقص وسفاهة... فانظر إلى تناوت ما بين الحالين : حال كان ينزل (الشاعر) فيها منزلة أشرف العالم وأفضلهم، وحال صار ينزل فيها منزلة أحسن العالم وأنقضهم» (105). وفي تقديرنا أن الأساس الأخلاقي الروحي في نظرية الإمتاع والإفادة عند القرطاجي يرجع في جانب منه كبير إلى هذا التناوت بين الرائع والمرؤ، حتى لكون «الكتاب» منهاج البلاغة في تقويم الشعر (تعديلًا وتبيئة) وسراج الأدباء، يستنبرون به في أدا، الصنعة، حتى يتصالح الشعر والثقافة بعد أن «هان الشعر على الناس... لعجمة ألسنتهم واختلالات طباعهم، فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعه المعرفة» (106). ولم يكن لهذه المصالحة أن تتحقق إلا إذا واجم الشعر بين الإمتاع والإفادة ووسع الصلة من جديد بالنظام المعرفي الذي أرسى الثقافة العربية في عهودها «الشعرية» الزاهرة، وهي ككل ثقافة مجسدة من الأنظمة الرمزية المخصوصة، شغل فيها الشعر حتى في طوره الإسلامي مرتبة متباعدة. فقد جعله العرب المسلمين بعدود الصناعة التي ينضوي إليها. وهي ككل صناعة تماح عن اتصافها من العقل ولبس من الشرع، ولكنهم برغم ذلك احتالوا له نلم يجعلوه غريبا للشرع. ومن الثير أن تجد أبا الحسن الماوردي (ت. 450 هـ) في كتابه «أدب الدين والدين» يخرج مبالغات الشعراء عن تلبيس الكذب وعودها إلى خصائص الشعر والاقتناء على صفتته، فيما استحسن في الصنعة قد لا يستتبع ضرورة في العقل (107). فلا غرابة أن يتورّم القرطاجي سبيل الذين تقدموه فيشتد على وظيفة الشعر في الإمتاع والإفادة، وأن يقارب هذه الوظيفة مثابة «أخلاقية» تحملنا في أكثر من موضع على مصنفات الدين والفقه والأخلاق. فابو حامد الغزالى مثلا (ت. 505 هـ) في «ميزان العمل» يقسم اخبارات إلى نافع وجميل ولذيد، والشرور إلى ضار وقبع ومؤلم ويعزز بين اللذة والشهوة، فاللذة هي إدراك المشتهى، والشهوة عبارة عن انتهاك النفس لنيل ما تشنفه. وهو بعد اللذة العقلية كلذة العلم والحكمة أشرف اللذات وأكملها (108).

124, 122, 121 ... ﴿104﴾

١٢٤ ص (١٠٥)

124) نه. إضافة. ص. 106)

(107) نقلًا عن ماهر عبد القادر محمد علي . مقدمة في الأخلاق دار التهضبة العربية - بيروت . 1985 . ص. 59.

^{٢٥٣} فبسما يخص الماردي . انظر: أدب الدين والدين . تحقيق مصطفى السقا دار الفكر
[آداب]. ص. 253 . ما بعدها: نصل في الصدق والكذب .

69) المجمع الشافعى، ص 108

وما دام الشّعر عند القرطاجي كما هو عند السّابقين عليه من النقاد والبلاغيين علما، كان من الطبيعي أن يقدّروا الشّعر من حيث هو صياغة فنية لقيم أخلاقية متصلة بذات جماعية؛ فقد كان الشّعر عند عرب ما قبل الإسلام «متنفساً» لروح القبيلة الحبيس وشاهدا على انتشار الضرورة الروحية بالضرورة الاجتماعية بنفس القدر الذي أتاحه الدين فيما بعد. ويرغم أن الشّعر في الطور الجاهلي كان في مجمله تحجلاً لبنية القراءة، وكان في طوره الإسلامي الأوّل تحجلاً لقيم إنكار الذّات، ثمَّ لقيم تقرير الذّات مع المتنبّي خاصّة. فإنه لم يتخلّ قطّ عن وظيفته في الإمتناع والإلاذة أو ما نسبَّهُ أن نسمّيه «الوظيفة الاجتماعية الروحية» التي أسهمت في إرساء الرّوجдан الجماعي. فهذا الشّعر هو الذي أتاح للسفرة أن تنتقل من محدود اللّهجة إلى فضاء اللّغة وأن تتجاوز «القبلي» إلى «الإسلامي» جنباً إلى جنب مع القرآن. ولم يكن القرآن ليقيّد الشّعر أو يلزمـه بالاغتسال في طهـرـته، فـ«الشـعـراـ» يقولون ما لا يفعلون، (109) قول فسح للشّعر، فيما ترجمـعـ مجالـاـ لم يكن قد ارتـادـهـ من قـبـيلـ، فالـفـزـلـيـةـ التي اشتـقـتـ كثـيراـ أو قـلـيلاـ من عـناـصـرـهاـ وأـمـتـاجـهاـ، من المـقـدـمةـ الـطـلـلـيـةـ الـفـزـلـيـةـ، لم تستـقلـ بـنـسـهاـ إـلـأـيـ الـقـرـنـ الـأـوـلـ لـلـهـجـرـةـ، والـخـمـرـ الـتـيـ كـانـ شـرابـ قـرـةـ وـفـتـرةـ فيـ القـصـبـةـ الـجـاهـلـيـةـ وـمـوـضـوـعاـ فيـ خـدـمـةـ الـفـرـضـ، لمـ تـنـهـضـ بـذـانـهاـ إـلـأـيـ فـضـاءـ، الثـقـانـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، بـرـغـهـ أـنـهـ كـانـ فيـ شـعـرـ مـلـمـ بـنـ الـولـيدـ وـأـبـيـ نـوـاسـ شـرابـ خـلـاعـةـ وـمـجـونـ، فـأـكـثـرـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ الـذـيـ كـانـ يـمـارـسـ الـهـدـمـ عـلـىـ الـقـائـمـ وـيـسـتـنـطـقـ «الـمـكـوتـ عـنـهـ»ـ كـانـ لـهـ مـنـ هـذـهـ الثـقـانـةـ سـنـادـ، وـكـانـ لـهـ فـيـ ظـلـهـ مـهـادـ، فـمـاـ دـامـ الشـاعـرـ يـقـرـلـ مـاـ لـيـ فـعـلـ، فـلـاـ تـشـرـبـ وـلـاـ حـدـ عليهـ، إـنـماـ هـوـ صـانـعـ، وـإـنـماـ شـعـرـ صـنـعـ لـيـنـ لـهـ إـلـأـيـ قـنـعـ وـتـبـدـ.



مركز تطوير علوم إسلامي

(109) سورة الشّعراـ.

التعريف بمحضرات «نفع الطيب» (للمقري)

الأستاذة : نجاة المرني
كلية الآداب - الرباط

من م特سمات تحقيق النصوص ونشرها الإمام بالخطوطات والكتب التي لها علاقة مباشرة بالنص المحقق كالشروح والاستدراكات والتهذيبات والتربيات والاختيارات والحواشي والمحضرات، «نسخة الشرح هي من جهة نسخة أخرى من الكتاب، كما أن الشرح تفبد النصوص بضميتها أحياناً وتتكلّل ببيان غواصتها، وهو أمر له قبّته في مختملات التحقيق، ولبلها في ذلك نسخة المختصر أو التهذيب، فإن كلاً منها تلقى ضوراً لا يستهان به في تحقيق النص، ومن البداهة أن يرجع المحقق إلى الأصول المخطوطة لتلك المراجع، أي المحضرات أو التهذيبات» ما أمكنه ذلك، وألا يعتمد على المطبوعات الحالية من الروح العلمية المحققة⁽¹⁾. وقد سار على هذا النهج صناع الفهارس العربية أمثال المستشرق كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي»، وفؤاد سيرزكين في «تاريختراث العربي» وحاجي خليفة في «كشف الظنون»⁽²⁾، إذ أشاروا أبناء ذكر تأليف العلما، الترجم لهم إلى جميع الشرح والاستدراكات والمحضرات التي وضعت على تصانيفهم سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة أو مفقودة.

وهذا ما أخلّ به الدكتور إحسان عباس في تحقيقه لكتاب «نفع الطيب من غصن الأندلس» الرطيب وذكر وزيرا لسان الدين بن الخطيب، لأبي العباس أحمد المقري حيث أهل المحضرات التي وضعت عليه، ولم يشر إليها في مقدمة تحقيقه الكتاب ولو إشارة عابرة.

أهمية كتب المحضرات :

تشجيلى أهمية المحضرات أو التلخيصات عندما يكون أصل الكتاب مفقوداً، مثل كتاب «روح الشعر، وروح الشعر» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الجلاب الفهري الشهيد (ت 1246/644)، الذي ضاع ولم يصل إلينا، وقد عرفناه عن طريق أبي عثمان سعيد (سعد) ابن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن لبون التجيبي (ت 750/1349)⁽³⁾ وساه «لمع السحر من روح الشعر روح الشعر»، وهو مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1033 د، وقد حفظه

(1) تحقيق النصوص ونشرها - عبد السلام هارون، ص 45.

(2) انظر الشرح والاستدراكات والتلخيصات على كتاب الجمجمة بين الصعيدين (البغاري وسلما للحبيبي) (ت 1094/488) في تاريخ الأدب العربي ج 6/105، تاريختراث العربي ج 221/1، كشف الظنون 1/600.

(3) قال المقري في نفع الغيب 543/5 : «كان مولعاً (أي ابن لبون التجيبي) باختصار الكتب، ومن كثرة اختصاراته، قال بعضهم وقد رأى رجالاً طولاً : لرأة ابن لبون لاختصر».

الأستاذ سعيد بن الأحرش في نطاق رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بفاس سنة 1986.

ومن الكتب المفقودة «صفوة الأدب ونخبة كلام العرب» لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراي (ت 600/1203)، وكان صاحبه قد اختصره رسماء «الحسامة المغربية» وحفظت لنا مكتبة طوغلوينا بتركيا نسخة خطبة من هذا المختصر تحت رقم 4079، وعنها ميكروفilm في الخزانة العامة بالرباط، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد بنشريف في مزلفه «أبو قام وأبو الطيب في أدب المغاربة» ص 82. وقد حثته أخيراً الدكتور محمد رضوان الداية (4). وهناك مصنف آخر هو «مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء»، ألفه المؤرخ الشاعر عبد الغزير بن محمد الفنتالي (ت 1031 / 1621)، في التاريخ للدولة السلطان أحمد المنصور السعدي، وكان يقع في ثمان مجلدات (5)، ضاعت، ولم يصل إلينا منه إلا مختصر الجزء الثاني لمؤلف مجهم، قام بتحقيقه المرحوم العلامة عبد الله كنون، وصدر ضمن منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي (6).

و بالرغم من ظهور نسختين من أصل الجزء الثاني من «مناهل الصفا» بخزانة التصر الملكي بالرباط تحت الرقين 274، 275، وعناية الدكتور عبد الكريم كرم بتحقيق هذه النسخة الأصل (7) وطبعها، فإن تبعة الكتاب المختصر تكاد تفوق تبعة الكتاب الأصل.

ويظهر أن بعض المختصرات فضلت على أصولها، «روى أبو الحسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة، مختصر العين للزبيدي، ومختصر الزاهر للزجاجي، ومختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام، ومختصر الواضحة للمفضل بن سلمة».

وقد جاء في مختصر العين للزبيدي (ت 379/989)، أن الباعث على اختصار الكتاب «أن توخذ عبرته، ويلخص لفظه، ويختنق حشوته، وتسقط فضول الكلام المتكررة فيه لتنقرب بذلك فائدته، ويسهل حفظه، ويخف على الطالب جمعه» (8).

وتکاد المختصرات تغنى عن سائر الأصول، إذ يعني صاحب المختصر بحذف المحسن والتكرار، وإسقاط مالا حاجة إليه من الأمثال والروايات الكثيرة، كما يعني أيضاً «باختصار

(4) ذكر العلامة المرحوم عبد الله كنون في الجزء السادس من ذكريات مشاهير رجال المغرب عن الجراي ص 11 - أن المرحوم ابن تاوش الطبعي جاء بنسخة مصورة من الحسامة المغربية، حققها أخيراً الدكتور محمد رضوان الداية، رصدت في طبعة أنيقة عن دار الفكر المعاصر في الجزائر، دمشق 1991.

(5) نفع الطب 82/7، درة المجال 3/131.

(6) طبع الكتاب تحت إشراف معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1964، المطبعة المهدية.

(7) صدر هذا الكتاب ضمن مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافة بالرباط، دون تاريخ.

(8) معجم المعاجم ص 206، ترجمة لـ سمير طيبي، و(الواضحة) في الفقه لعبد الله بن حبيب (الفتح) 171/3.

وإنساط بعض الأبيات، إذ بها من المغالاة ما يحسن تركه وتجنبه في المقالات» (9).

مختصرات نفع الطيب :

فرغ المترى من كتابه «نفع الطيب» بين سنتي 1628/1038 - 1629/1039، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلمائها في التعريف بابن الخطيب، وتشتمل على أربعة أسفار مخطوطة، أما طبعاته فقد بلغت ست طبعات (10)، أما التحفينات (11) فقد حقق أربع مرات، آخرها تحقيق الدكتور إحسان عباس، ويقع في سبعة مجلدات ومجلد ثامن خاص بالفهارس، طبعة دار صادر بيروت سنة 1968/1388.

وتعد هذه الطبعة أجودطبعات التي صدرت للطبع حتى الآن من حيث استيفاؤها لمادة الكتاب كلها، وكثرة التعليلات والحواشي المفيدة، ومتابلة النسخ الخطبية، واحتواها على ترجمة منصلة لصاحب الكتاب.

وقد لقي كتاب نفع الطيب في عصره ريعه استحسانا لدى قرائه من العامة والخاصة، فتناولوه بالقراءة والدرس للاستفادة والتعلمية، وإذا كان قراءه قد وجدوا فيه تكرارا واستطرادا، فقد جاؤ بعضهم إلى اختصاره وتلخيصه لفهم فائدته بين الناس، وسهل حله، إذ سبصع مختصر النفع سيرا واحدا بدل أربعة أسفار.

وقد أشار إلى هذه المختصرات ابن عجيبة التطاواني في كتابه «أزهار البستان في طبقات الأعيان» (12)، والقادرى في نشر «المشائى لأهل القرن الحادى عشر والثانى» (13) وابن سودة في «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» (14) والقادرى أيضا في «التناظر الدرر ومستفاد الموعظ والعبر» (15)، والزركلى في «الأعلام» (16) والمرزقى في كتابه «حضارة الوجودين» (17).

(9) مختصر شامل الصفا، تحقيق كثرين ص 53.

(10) طبعة ليدن 1861 - بولاق 1862م - الأزهرية 1884 دار الماسون 1936 - العادة 1949 - دار صادر 1968.

(11) التحفينات الأربع من :

أ - تحقيق مع هرماش دون ذكر المحقق / المطبعة الأزهرية.

ب - تحقيق أسد فريد الرفاعى.

ج - تحقيق محمد سعى الدين عبد الحميد.

د - تحقيق د. إحسان عباس.

(12) مخ ح رقم 11481 ز - ص 307 - 270.

(13) تحقيق الدكتور محمد حبى وأحمد التوفيق، ج 3/361.

(14) الطبعة الأولى ص 269 - 270.

(15) تحقيق هاشم العلوي، ج 2/359.

(16) طبعة 2 / ج 9/333.

(17) الطبعة الأولى، ص 210.

١) تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب، أو مختصر (اختصار) نفع الطيب :

التأليف : أمي الحجاج يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الميلوي

(ت 18) منه ثلاثة نسخ : (18) (1702/1114)

الأولى : بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 473 لـ ، في 722 صفحة من الحجم 29.50 x 19، سطورها 14، تقع في مجلد ضخم، وهي بخط مشرقي جميل بقلم مختصرها، وقد فرغ من تحرير المختصر في يوم الأحد السادس ذي القعدة الحرام، ختام عام أربعة عشر ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية، الموافق سنة 1702م، وقد ملكها أحمد بن ناصر الدين الدرعي، ثم حبس للدارية الناصرية.

الثانية : بكتبة ابن غازى، مؤسساها محمد بن عبد الهادى المنونى الحسنى بمكتناس، تحت رقم 1366 (19)، وقد ألت ملكيتها عن طريق المبادلة إلى مؤسسة علال الفاس، كما أخبرنى بذلك معانظها الأستاذ عبد الرحمن الحرشى، تحمل رقم 507 507 ع، في 711 صفحة، مقاس 28 - 18 سنتم، مسطرة 29، وهي منروحة عن النسخة السابقة يقلل يوسف بن عبد الله الدرنوى الرفاعى، وقد تم نسخها فى يوم الأربعاء، تاسع شهر ذي الحجة الحرام، ختام عام أربعة عشر ومائة وألف من الهجرة 1114/1702، والملاحظ أن بين السختين عشرين يوما فقط، وخلط بينهما صاحب دليل مزدوج المغرب الأقصى، وهو يترجم للمبليوى (20).

الثالثة : باخزانة العامة بالرباط تحت رقم 228ك، نسخة 628 صفحات، مقاس 28x19.50 سم، مسطرة 15 سطراً، بخط مغربي، بقلم أحمد بن أبي محمد كثن النافي، وكان الفراغ من نسخها صبيحة يوم الأربعاء من صفر عام أربعين ومائة وألف هجرية 1140/1727. على ذمة الزاوية الحسينية الناصرية «من زناتة رادي درعة».

أوله : «الحمد لله الذي تفرد بالدوام والبقاء»، وحكم على من سواه بالزوال والنها.....

三

(18) من أدباء مصر، من مزاراته «أحسن السالك لأنباء البرامك»، و«بنية المسامر وغثية المافر». انظر ترجمته في الأعلام 333/9، SUP - 2/414. 637.

(١٨) مث نقل كثيرة نق منظرط الرياحين الرودية نق الرحلة المراكبة تأليف محمد بن موسى بن محمد بن محمد بن ناصر الملقب بالنكبي، خ ٤، ٨٨ ج، ص ٥٩.

(19) حصارة المرجدين ص. 210، دليل متذكرة المغرب الأقصى ص 269 - 270.

.270 - 269 (20)

وقد ألقى بطلب من بعض الأشراف بمصر تقبيله السادة الطالبين حسن أفندي بن برهان الدين (21).

وعنابة بالعلم، وتهما به ورغبة في نشره والاستفاع بفائدته جعل مكتبه رهن إشارة المؤلف صاحب المختصر، وفي ذلك يقول : «لازالت أيامه باسمة الشغور، وأوقاته دائمة السرور، ونجوم سعده طالعة في أفق الكمال، بريء من الهبوط والوبال، فتوه باسمي بعد الحصول، وأطلع سعدي بعد الأقول، حتى أنشدت :

إن قطر الصعيد يعدل عندي (22)
كل نظر لو لم أكن فيه ضممت
غبت عنه والقلب ليس بمسال عن هوا فمنذ تغرت ضممت
وَبِيَّنَى ظلَّ كرمه الوارف، وأتحفني من كتبه بالتلبيب والطارف، فكحلت عيني بأسمه
نقوسها، وسرحت طرف طرفي في رياض طرسها، ولم أتند منها شيئاً كنت أفتاه، وأسأل الله أن
يرزقني إيماء» (23).

ولعل داعي اختصاره تجلى في :

- موسوعية الكتاب : فهو يتضمن معلومات كثيرة، وأخباراً متعددة «ذلك أن هذا التاريخ بحر رازخ، لا يعرف له أول من آخر» (24)، كما ينقل عن مصادر ومخطوطات نادرة ومتفردة مثل «الروض الأرضي لابن عاصم» و«البيتية والدرك من كلام ابن زمرك ليوسف الثالث»، وتاريخ دولة «أبي سعيد الشاذري»، ووقف أحد الباحثين مؤخراً بمكتبة سمو الأمير مولاي عبد الله على أصل ما نقل صاحب النفح بعضه في مخطوطة نادرة، على مزيلات أبي علي بن موسى بن سعيد الغربي المترافق سنة 1286/685، غير كتاب المغرب في حل المغرب الذي حققه الدكتور شوقي ضيف سنة 1953 - 1955 (25).

الاستطراد والتكرار الكبير : الذي يقع في صفحات متقاربة ومتباعدة أحياناً أخرى، «لأن مؤلف سقى الله قبره صوب العهداد، أكثر فيه من الاستطراد، فلا ينفعه إلا قلب صرف إليه، وعقل وقف عليه، وجسم تفرغ من شراغل البال، واحتجب عن ذوي الحاجات، وهذا من المعال». (25).

الحذف والزيادة : فالمؤلف تصرف أثناً، اختصاره للكتاب تصرف أملأه عليه استيعابه

(21) وهم ابن سودة في نرامته فقال : حسن أفندي بن إبراهيم ص 269.

(22) (أ) : عن

(23) تغريد المتلبيب نسخة (أ) - ص 2.

(24) تغريد المتلبيب (أ) - ص 3.

(25) المن بالإمامية لابن صاحب الصلاة، ت. د. عبد الهادي النازى، صنعة 19، حاشية 6

لما ذكره، ورغبت في إفاده الآخرين، فهو يرغب في أن يكشف بهذا الاختصار «عن وجة مخبياته النقاب، ويعلي محسن مخدراته على الخطاب بحيث لا أحد منه إلا ما يستغنى عنه، وأن أضيق إليه مالم أجد له لديه» (26).

ومن ذلك قوله مثلاً : «قال مختصر أصله غفر الله له : لم يذكر الشيخ المقرى رحمة الله تعالى أصل قيام محمد بن تومرت، ورأيت ابن خلكان رحمة الله تعالى قد ذكر كافية تباده، ومبدأ أمره، فأخبأته أن الحقيقة هنا تسمى للفائدة، ولتكن الناظر في هذا المختصر غير محتاج لمراجعة سواه، فأتول وبالله أستعين : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي صاحب دعوةبني عبد المؤمن بن علي بال المغرب» (27).

أما الحذف، فشلل الكثير من النقل التاريجية والنصوص النثرية والأبيات الشعرية.

أما ما ذهب إليه ابن سودة وتبعه في ذلك الزركلي من أن الميلوي أضاف إلى مختصره «بعض الفوائد مما وقف عليه في بعض الكتب، وخصوصاً ما له صلة بالمغرب الأقصى» (28)، فهو غير وارد في تغريد العندليب، بل ينطبق على اختصار الحريشي، كما سترى فيما بعد، ولعله وقع له بعض الخلط بين الكتابين وهو بعد مادة فهرسته، فنسب للميلوي ما كان عليه أن ينسب للحربي.

ورأينا أن الميلوي في تغريد العندليب ينقل عن مخطوط نادر ونقيس عنوانه «لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة» المسى مختصر ذخيرة ابن سام، اختصار الأسعد بن عماري، الوزير الأبيسي (ت 606/1209) (29).

كما أن الدكتور إحسان عباس لم يعتمد في تحقيقه لكتاب «الذخيرة في محسن أهل الجزيرة» لابن سام الشترني (ت 542/1147)، رغم إبراده، أشعاراً ونوصحاً نثريّة أندلسية لم ترد في الطبعة المحتقنة.

من ذلك قوله : «قال مختصر أصله (أي الميلوي) غفر الله له : وهذه الترجمة مما نقلته من مختصر ذخيرة ابن سام، قال مختصر الذخيرة : هو أبو مروان علي بن حمود الإدريسي العلوي» (30). انتهى كلام المختصر.

هذا، وقد جعل الميلوي للختصر خاتمة ترجم نبها لمصنف الأصل أي «المقرى» وذكر نسبة وعلمه ورحلته، ومن اجتمع به في رحلته، كما اشتملت أيضاً على ترجمة جماعة من الأولياء،

(26) تغريد العندليب (أ)، الصفحة 4.

(27) تغريد العندليب (أ)، الصفحة 155، وانظر كذلك 125 - 126.

(28) دليل مزدح المغرب الأقصى ص 269، الأعلام 9/333.

(29) مخطوط بكلية الآداب جامعة القاهرة / المكتبة المركزية، تحت رقم 22976.

(30) تغريد .. (أ)، ص 127، 128، 128، وانظر كذلك أمثلة أخرى في المفحىات 227 - 228.

(31) تغريد (أ)، ص 722.

والصالحين، وقصائد في مدح خبر المرسلين (31).

ويختتم بهذا الدعاء : «واجعل هذا المختصر خالصاً لوجهك الكريم، موجباً للفوز بالنعم العظيم، وأحرسه من عين الحاسد، وصنه من عيب الناقد».

أهواس المختصر :

رتب المؤلف البلوي مختصره على ثانية أبواب «تفاؤلاً بأن يكون سبباً للفوز في المآب، وعملاً يوجب النجاة يوم العرض، والدخول إلى جنة عرضها السماوات والأرض» (32).

الباب الأول : في حد جزيرة الأندلس ومسانتها، وطيب أرضها ولطافتها، وذكر ما بها من الآثار، وما فيها من المعادن والأحجار، وموتها من الأقاليم السبعة بقول مختصر.

الباب الثاني : في كيفية فتحها على يد موسى بن نصير ومرولا، طارق وكيفية أخذها من يد ملكها لذريق الكافر المارق، وذكر من نزلها من تبائل العرب والتابعين، وفيه فصلان.

الباب الثالث : في ذكر من ولبها من التراب بعد موسى بن نصير إلى أن استقل بها بنو أمية الذين ساروا فيها على أحسن سيرة إلى أن انتشر عند الخلافة باستيلاء ملوك الطوائف، ثم استصالهم على يد يوسف بن تاشفين إلى آخر دولة الموحدين، وفيه فصلان أيضاً.

الباب الرابع : في ذكر شيء من ترجمة بنادتها، وبلغها، شعراتها، ومالهم من النظم المزري بعقد الجمان، وما أنعم الله به عليهم من فصاحة اللسان، وما بها من المنتزهات، وما حازته من محسن الصفات.

الباب الخامس : في ذكر من رحل من أهل الأندلس إلى الشرق، فحاجز في مباردتها فصب السبق.

الباب السادس : في ذكر من دخل الأندلس من أهل المشرق فأصبح غصون فضلهم بعد التصريح مورقاً.

الباب السابع : في ترجمة لسان الدين بن الخطيب، وما له من النظم والنشر العجيب، وذكر شيء من مبدأ أمره، وما تبعه من غصون دهره أواخر عمره.

الباب الثامن : في استيلاء الكفار على تلك الأقطار، واستغاثة من فيها من المسلمين بملوك الأقطار ومالهم في ذلك من رائق التشر ورقيق الأشعار.

(32) تغريد العدلية (أ) ص 6.

2 - مختصر (أو اختصار) نفع الطيب لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الحرشي
الناس (33) (ت 1145/1732) :

لهذا المختصر - حسب ما وقفت عليه - نسخة وحيدة مخطوطة بالكتبة الزيدانية بالهزانة
الحسنية بالرباط تحت رقم 11393، تقع في مجلد واحد في ست وثلاثين ومائتي ورقة (236)،
مقاس 23x18 سنتيم، وتضم كل صفحة ستة عشر سطرا، أما الخط فهو مغربي ملون، وليس به
ما يدل على تاريخ كتابته (34). ويرى المصنف في ديباجته أن المقرئ «قد أذهب فيه بما لا غرض
للاكثري به، مع كثرة التكرار، وإنشاد الأشعار، والإتيان بعکايات وأخبار، لم تصم عن الجهادة
الأخبار، مع مروحيات في التشبيب والغزل، مما لا يليق بأهل الفضل، بل بأهل البطالة، ومن
أطلق العنان فيما صعد من الكلام وزلل سبباً فيما يتعلق بالوزيرا بن الخطيب السلماني من نسبه
ومولده ونشأته وبناته، وما قاله أو قبل فيه، فأردت اختصاره، إن شاء الله تعالى على مهجع سهل
وطريق قرئي مختصراً فيه على الأكيد منه، مع ضميمة زواند، وغيره وشوارد» (35).

يتسم هذا المختصر بالإيجاز الشديد، والاختصار على البساطة من الشعر، وفيه أخبار
مهمة عن تنقلات المزلف بين مدن المغرب كمراكش التي زارها مراراً عديدة، وزار فيها قبر أبي
العباس السبتي (ص 154 ب)، كما ذكر فيه ارتساماته عن الشخصيات التي اتصل بها، و يأتي
فيه بعکايات ونواادر ومروريات عن شيخه أبي المكارم محمد سيدى عبد القادر الناسى
(ت 1691/1083) (ص 165 أ)، (ص 183 ب)، وما قاله من أشعار في الحسام (ص 155 أ).

- الزيادات والفوائد :

كما ضمنه نواند كثيرة مثل : ما ورد في يوم الأربعاء من أقوال وأحاديث شريفة (ص 70)

(33) - المرتشي - بضم الماء، وفتح الراء، وسكون الياء، وأخوه ياد الفقيه - الناسى - فارا وقرارا ومنشا ، عالم ومدرس وجده،أخذ عن سيدى عبد القادر الناسى ورولديه الإمامين أبي عبد الله محمد وأبي زيد عبد الرحمن، كان تصاحب الترجمة إقاماً على التصنيف، تشرح المطرأ للإمام مالك، والشنا للقاضي عياض، وشمايل الترمذى، وانحصر كتاب الإسابة لابن حجر المستقلاني، ونفع الطيب للتقرى، وتخرج أحاديث النصيحة، وله غير ذلك، ومن أخذ عنه سيدى أحمد بن المبارك، وكان يحدث عنه بيته، عن شيخه سيدى عبد القادر الناسى عن عم أبيه سيدى عبد الرحمن عن الشيخ الفزار عن سيدى رضوان عن سفيان عن زكريا، عن ابن حجر يستد إلى البيهارى، قال ابن عجيبة في كتابه أزهار البستان : «وهذا متذكرة بواسطة شيخنا سيدى الناودى بن سودة عن ابن المبارك ... بعض أهل عصره لم يذعنوا له ولم يسلموا له، رأكروا عليه من القيل، ترجم ساحب الترجمة للحج، وترفى بالمدينة، ودفن بالبقع الشريف».

انظر ترجمة الحرشي في : أزهار البستان في طبقات الأعيان لابن عجيبة، مخ ح رقم ص 307 - 308، نشر الثاني 361/3، فهرس الفهارس 1/ 253، 255، لمحنة العجيبة والأسحاب في معرفة ما للزميين من الأنساب لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري المدني، خ ح 1221 ك / ص 114 - 116.

(34) فهرس المزانة الملكية 1/ 280/1.

(35) ورقة 2 ب.

ب - 71 أ)، وقدر «العلامة أبي بخي الشيف التلمساني، وتصديه لترجمة التفسير في مجلسه بناس الجديد» (ص 57 ب)، ومحاسن القاضي المنذري بن سعيد البلوطي (ص 58 ب)، وخصال الأمير يعقوب المنصور وفضله وعمله وزهده (ص 155 ب)، وذكر من دخل الأندلس من التابعين (ص 23 ب)، وما وجد بطلطلة من الذخائر أثناء فتح الأندلس (ص 24 أ - ب) والزيادة التي وقعت في مسجد قربة (ص 57 ب، 58 أ). يقول الحريشي : «ما وقعت الزيادة في مسجد قربة، ظهر لعلما، الوقت العدلين انحراف في القبلة القديمة إلى نحو المغرب، فقال الفقيه الصالح أبو إبراهيم : يا أمير المؤمنين إنه صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة وصلاح المسلمين وعلماً لهم منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت، وليس هؤلا، بأولى من تصلها من التابعين كموسى بن نصیر، وحنث الصناعي وأمثالهم، رحمة الله، وإنما فضل من فضل بالاتباع، وهكذا من هكذا بالابتداع، فأخذ الخليفة برأيه وقال : نعم ماتلت». ونحو هذه الواقعة، وقعت بناس في محراب جامع القرويين من الخلاف (ص 58 أ) وما أمر أمير الوقت الرطاسي بينما مدرسة الخلفاء المعروفة الآن بمدرسة الصفارين، وعين لبنا، مسجدها وإقامة قببتها الفقيه معدل الوقت الشهير بابن الحباب، وجعل مسجد المدرسة على نحو الكعبة طولاً وعرضها، وأنام قبته بالرصد، وظهر مخالفته قبته القرويين، فجمع الأمير المذكور فنقاها، وقته واستشارهم في هدم محراب القرويين، وإقامة قبته على قبالة المدرسة المذكورة، فأقره بنحو ما أنتبه إليه الفتى أبو إبراهيم، غير أنهم قالوا : يجعل رجل يبنيه بعد إقامة الصلاة يقول : انحرروا بانحراف الإمام، وجعلوا له مرتبها، ففي الأمر كذلك إلى الآن، ونحوهما وقعت به الفتوى أنتبه العلامة شيخ الجماعة أبو عبد الله القروري» (36).

وأضاف الحريشي قائلاً : «ولقد حولت في هذا الوقت قبل ناس نحو العشرة، كانت محاربها على محراب القرويين مع فلة من يتعاطى علم التتعديل، فلا حول ولا قوة إلا بالله على ما شاهدناه» (37).

ويظهر أن الحريشي كان مولعاً بالتدقيق في كثير من المسائل المتعلقة بالقضايا الدينية فنراه يشير إلى عناية السلطان المولى الرشيد العلوى بإقامة قبالة مسجد الشراطين، فيذكر بتفصيل قصتها قائلاً : «وما أراد فخر السلاطين مولانا الرشيد قدس الله روحه إقامة قبالة مسجد المدرسة التي أخذناها بالشرطين، بعث شيخنا الإمام خاتمة الأعلام أبي محمد سيدى عبد القادر الفاسى، فذهب مع ولده الفتى سيدى عبد الرحمن، وكان معهـا من المؤمنين الفقيـه الموقـت سيدى مسعود بن سيدى عبد القادر الصـليبيـطـ، وكـانتـ منـ حـضـرـ مـعـهـمـ، فـأـقـيـمـتـ قـبـلـهاـ عـلـىـ مـاـ هـيـ عـلـىـهـ الـآنـ، فـهـكـذـاـ يـنـبـغـيـ عـنـ تـصـبـ كلـ قـبـلـةـ، أـنـ يـحـضـرـ مـثـلـ مـذـكـرـ إـنـ وـجـدـ، وـإـلـاـ فـأـمـثـلـ مـقـلـدـ، وـالـلـهـ

(36) انظر كتاب : «نظرة بعض المؤرخين لمحراب مسجد القرويين لمجهول»، مخطوط شعع، جائزة الحسن الثاني للخطوط والتراث رقم 73/368 ذ / 220 ر، إقليم الرباط.

(37) ص 58 أ، ب.

ومن بين الفرائد والإضافات التي احتواها المختصر : إسلام الشاعر الأندلسي إبراهيم بن سهل، ونوبة الزمخشري من الاعتزال، (ص 165، 166 ب)، وإيراد أشعار كثيرة للفقيه أبي القاسم بن جزي (ص 6 أ)، وأخر من نزل الأندلس من العرب (ص 24 ب)، وفوانيد ابن العربي في تفسير الآيات القرآنية، وفاته على بعض تواليفه (ص 70، أ - ب)، يقول الحريشي : «ولأبي يكرب بن العربي مؤلفات أخرى لم يذكرها المقرئ هنا، والأولى سرقها، فمنها التفسير الكبير في عدة مجلدات، وأخر شرع فيه في مناسبة آي القرآن» (39).

ومن الزيادات التي تضمنها مختصر الحرishi أنه يبدي رأيه في بعض العلماء، وفي بعض الأشعار، من ذلك قوله : «ولقد تسليت بهذا الذي اتفق لأبي بكر بن العربي الذي كان مجتهداً وقته، وحانظ عصره عما أقاسيه من أهل عصري عند ذكر ما لا اطلاع لهم عليه من الفوائد البدعة عن سر ، أدبهم ، وأطلاق المستحب وحدهم» (40).

كما أن المريض حل مختصره بمتضرعات وقصائد شعرية من نظمه مثل : « قلت وقد سمع في خاطري سوق تصبيدة صدرت مني في صغرى لما مات الفقيه الجليل العلامة النبيل التحوي التحرير أبى زيد عبد الرحمن بن عبد السلام المريض خامس عشر من جمادى الأولى سنة ست وسبعين وألف ، لما أدخل قبره ، لم أتالك أنى قلت عند ذلك :

ج 72، س 71 ص (39)

ب 72 ص (40)

ولولا الفنا حذر على الخلق كلهم
أنت أنسى من لوعتي وتحرفتني
هو العلم الحبر المترشى ذو الرضى
أبا زيد من يُحبى مآثرك الشّىء
أبا زيد من يُحبى الرسوم التي عفت
أبا زيد من للتصرع بعدك من فتنى
أبا زيد من للدرس بعدك في الوردى
فما يغنى عن عسر لدینا ولا زيد» (41)

تشتمل القصيدة على تسعه وعشرين بيتاً، أبدي فيها لوعة وتحسراً على فقد العلماء،
الأعلام، وعلى الرزوة التي يصاب بها الناس في فترات تكون الحاجة فيها ماسة إلى آراء العلماء،
وتوجيهاتهم، وكذلك إلى علومهم ومعارفهم، فبالرغم من كون الحريشي نظم قصيدة في رثاء
الفقير الحريشي، فقد تذكر العالم الفقيه عبد القادر النافسي، فرثاء في هذه القصيدة مبديا
فجيئته في العالمين، بل وفي كل العلماء الذين تتخطّفهم الموت تباعاً، دون أن يغفلُ وقع المصاب
عليه واستسلامه أخيراً لقضاء الله وقدره.

ويبرز بعد النتيجي في اختصار المحرشى في مستويين :

المستوى الأول : ويشغل في التبيهات والانتدابات التي كان يوجهها للمقربي مباشرة،
ويعبر عنها بوضوح تام في مثل قوله :

أولاً : قال المقرئ : « وقد ذكروا أن يحيى الليبي سأل مالكا عن زكاة التين، فقال له لا زكاة فيها. فقال : إنها تدخل عندنا، ونذر إن وصل إلى الأندلس أن يرسل إلى مالك سنينة مملوقة تينا فلما وصل أرسليها. فإذا مالك مات.

تقال الحريشي : وهذا مخالف لما تقدم من أن يجبي لازم مالكا حتى مات فيما ذكره ابن

ب۔ 138 - ب۔ 137 ص (41)

ج 174 - 3 ج 65 ص (42)

الفرضي، فوالله بعلم بالصحيح منها، قال ابن بشكرال : كان يعيش مجاف الدعوة، واحدا في هديه وسيرته على حالة مالك، وتوفي سنة 234 هـ (42).

ثانياً : « قال المترى : قال الحمدي : ومن شعره على ما ذكر هنا :

لقاء الناس ليس يفتد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقيل
فأقلل من لقا، الناس إلا لأخذ علم أو إصلاح حال
قلت : والذى كان يتقدم لي، وهو ما في نفسى أن البيتين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالى » (43).

ثالثاً : « قال المترى : قال أبو محمد عبد الله بن السيد البطلبرسي :

إذا سألوني عن حال الناس
وحاولت عذرًا فلم يكن
كلام يدور على الألسن
وربك يعلم ما في الصدور
وعلم خاتمة الأربعين
قلت : وهو من المعنى ما قال بعضهم :

رقانلة كيف حال الناس
وكيف البقاء، بذى الأزمات
فقلت بخير ولكن
كلام يدور على الألسن » (44)

فالحرishi يشير عند إيراد البيتين إلى بيتهين آخرين تضمنا نفس المعنى لشاعر يظهر أنه متقدم عن الشاعر البطلبرسي.

رابعاً : لقد وقع الحرishi في خطأه أثناء اختصاره البعض الأغوار، وإن كان حريرا على التصويب والتدقير، من ذلك أنه نسب قصيدة لأبي الربيع سليمان الموجدي في مدح ابن عمه يعقوب المنصور، نسبها خطأ إلى السرخسي أو إلى يعقوب المنصور، لأن الضمير كما سنرى في النص غير واضح عن من يعود، والقصيدة في الحقيقة لأبي الربيع سليمان الموجدي، يقول الحرishi : « حدث إمام ناج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن حمزة السرخسي (45) عن حال الأمير يعقوب المنصور، وأن الذي علم من حاله كان يعبد حفظ القرآن، ويحفظ

(43) ص 143 أ - وفـ أخطأ الحرishi في نسبة البيتين إلى الغزالى، إذ أكد لي الباحث الأستاذ عبد العزيز السارى أنها للعربى الأندلسى (ت 1094/488)، كما وردنا في ديوانه المخطوط، والذي قام بجمعه معتمدا في ذلك على مصادر عديدة.

(44) ص 14 ب.

(45) انظر ترجمته في الأعلام للمراكشى ج 198/8 - 200 رقم الترجمة 1154.

مشون الأحاديث وستقها، ويتكلّم في الفقه كلاماً يليغاً، وكان فتهاه، الوقت يرجعون إليه في الفتاوى، وله فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده، وكان الفتى، ينسبونه إلى المذهب الظاهري، وقد صنف السرخسي (اعطف الذيل في دولته وسيرته)، وأخبره بعض عماله أنه فرق في الجند والفترا، يوم العيد ثلثاً وسبعين ألفاً من ضأن ومعز، واستخلف ولد، محمداً وقرر الأمر له، قال صاحب النفع : وما يعكى عن يعقوب المنصور هذا أنه تخلى عن الملك زهداً فيه، ورحل للشرق فغير صحيح عند الإثبات، وسبب ذلك ولوع العامة به فكذبوا عليه، ومن شعره في ابن عم المنصور :

هبت بنصركم الرياح الأربع
وجرت بسعدهم النجوم الطلائع
وأبشر الفلك الأندرية لنا
أن الأمور إلى مرادك ترجع (46)

وبالرجوع إلى كتاب نفع الطيب (47)، يورد المقري القصيدة كاملة بعد الأخبار التي سبّررها تحت عنوان «رجع إلى أخبار السرخسي» : وقال في رحلته نا ذكر السبـد أبا الربـيع سليمان بن عبد الله بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي (ت 604 هـ). وكان في تلك المدة يليـي مدينة جـلـمة وأعمالها... ومن شـعـرـه المشـهـور قـصـيدة مدحـ فيها ابنـ عمـهـ المنـصـورـ يـعقوـبـ :
هـبـتـ بـنـصـرـكـ الـرـيـاحـ الـأـرـبـعـ». وهـكـذاـ فـالـمـقـريـ لـمـ يـخـطـيـ، فـيـ نـسـبةـ القـصـيدةـ إـلـىـ صـاحـبـهاـ، وـإـنـماـ أـخـطـأـ صـاحـبـ المـختـصـ.

وجاء في تبليغ صاحب المختصر على هذه القصيدة : «تلت : ثباتاً لله وإننا إليه راجعون، من مبالغة الشعرا، في المدح والهجاء، ولقد كنت أنا جالسا مع شيخنا الإمام خاقان الأعلام أبي محمد سيدني عبد القادر الفاسي يوم الحسنة بجامعة القررين، وقد سأله بعض على قوله بعض الشعرا، في مدح الأمـرـاءـ، فـهـجـيـهـ أنـ يـقـالـ مـلـكـ الـخـبـيـةـ لـاـ المـجاـزـ، فـأـجـبـهـ تـبـلـ أـنـ يـشـكـلـ الشـيـخـ بـأـنـ الـحـقـيـقـةـ باـعـتـيـارـ الـمـلـوـكـ الـذـيـنـ تـقـدـمـواـ قـبـلـهـ، فـتـنـظـرـ إـلـىـ فـرـزـاـ وـقـالـ ليـ : كـيـفـ تـصـنـعـ فـيـ قولـ الآخـرـ، فـأـحـكـمـ بـاـثـنـتـ الـواـحـدـ التـهـارـ، فـالـشـعـراـ لـاـ يـتـعـاـشـونـ فـيـ بـقـيـوـنـ» (48).

المستوى الثاني : ويكون في تفسير آراء المقري والتعليق عليها.

أولاً : قال المقري : «ومنهم أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان الطرطوشى (ت 402 / 1011). ودخل يوماً على الأفضل بن أمير الجيوش نوععنه، وكان إلى جانب الأمير رجل نصراني فأنسده :

(46) ص 155 أ. القصيدة في الديوان ص 20.

(47) تحقيق الدكتور إحسان عباس ج 107/3

(48) ص 156 أ.

يا ذا الذي طاعتة قرابة
وحوثه مفترض واجب
إن الذي شرفت من أجلها
يزعم هذا أنه كاذب

رأى إلى النصراوي فأقامه الأفضل من مكانه، انتهى ما قال في النفع من هذه المكابدة،
قلت : والذي كان يتقدم لنا عن شيخنا الإمام سيد عبد القادر الفاسي عقب ذكر هذه المكابدة أن
الأمير طرده من مجلسه وأمر بقتله » (49).

ثانياً : وللجزيئي إلى تفسير الآتوال التي كان يعتقد أنها غامضة في النفع، مثال
ذلك : قال صاحب النفع في ترجمة الشيخ الإمام أبي عبد الله القرشي :

«سممت الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن طريف يقول : لما حضرت الشيخ أبو الحسن بن غالب
الوفاة قال لأصحابه : اجتمعوا وهلروا سبعين ألف مرة، واجعلوا ثوابها لي، فإنه بلغني أنها فداء،
كل مؤمن من النار، قال : فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له، ثم حکى عن شيخه أبي
زيد القرطبي ما حكمه السنوسي عنه في أواخر شرح صفراء، وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كون
ما ذكر حدثاً، ولعلهم أخذوه من جهة الكشف، والله أعلم » (50) انتهى.

«قلت : انظر ما معنى قوله : إنهم أخذوه من جهة الكشف، هل وجدوه في اللوح المحفوظ
أو في صحف الملائكة التي بأيديهم مما يكتسبونه من علوم الغيب أو من شيء يقع في صدورهم
فيخبرون عنه، أو لما يشاهدونه لبصائرهم فيخبرون عنه، وهذا معنى الكشف عند أهله، والله
أعلم بفقيهه، أو أنهم رأوا النبي (صلعم) مناماً أو يقظة فأخبرهم بذلك قبل أن يسألوه أو بعده،
وقد اتفق لشرف الدمباتي أنه سئل عن حديث من أكل مع مغدور غفر له، فقال لم يصح، فرأى
النبي (صلعم) في النوم، فسأله عن هذا الحديث، هل قاله أم لا، فأجابه عليه السلام بأن لم يقله،
ولكنني أرجو أن يكون كذلك، فالله أعلم ما الذي أراد هذا الرجل بقوله أخذوه من جهة الكشف».

ثالثاً : قال المقري في النفع أثنا عشر الحديث عن ابن خلف الأنصاري (51) : «حتى قبل لو لم
يكن للأندلس غير شنور الذهب لكناهم دليلاً على البلاغة، ومؤلفه علي بن موسى بن علي بن
محمد بن خلف الأنصاري الجباني نزيل قاس، ولدي خطابتها، ولم ينظم أحد في الكتبها، مثل
نظمها بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب، وقد قيل فيه إن لم يعلمه صنعة الذهب علمك
صنعة الأدب، وإن فاتك حسنه لم يفتوك أدبه، وهو شاعر الحكماء، ومحكم الشعراء، توفي سنة
ثلاث وستين وستمائة » (52).

(49) ص 139 أ - ب. انظر النفع ج 2/87.

(50) ص 75 ب. 76 أ - انظر النفع ج 2/55.

(51) انظر النفع ج 3/606 - مختصر الجزيري ص 169 أ - ب.

(52) أخطأ الجزيري في تفهه عن النفع، إذ جاء في «النفع، ثلاث وتسعين وخمسة

تلت : على التعريف بشذور الذهب، وهو تأليف من الشعر، قصائد، توانيها على المحرف،
وقال نبيها : لكل حرف من حروف المعجم قصيدة، وربما صنع في الحرف أكثر، ضمنه علم
الكيسيا، بالفاز وهي من عذبة النظم وسلامة اللفظ والجاري على أسلوب المقلدين كالمتنبي
وأمثاله، فإن فيه نفسه ما يتحقق أن ناظمه من أكابر العلماء الفصحاء، الحكماء، الشعراء، الأدباء،
وليس المثير كالمعاينة، ولا الرصل كالمباينة».

رابعاً : قال المقرئ في ذكر الشاعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأشبيلي ، وأوصى أن يكتب على قبره ما أنشده في حياته :

سكنك يا دار الفنا، مصدقاً
بأنني إلى دار البناء أصبر
الآن أن يغرنِ :

قالت : وكثيراً من كُنْتَ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَأْتُ بالكُتُبِ عَلَى قَبْرِهِ بِمَوْعِدَةٍ كَهْنَةٍ، أَوْ أَمْرٍ غَيْرِهِ
بِالدُّعَاءِ، لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ الْمَرْحَلَةِ إِذْ قَالَ :

| | | | | | | | |
|---|---------------------------------|----------------------|---------------------------------|-----------------------------------|--|---------------------------|-------------------------------|
| رَحْمَةُ اللَّهِ عَبْدٌ مُلَكٌ بْنُ الْمُرْسَلِ | وَلَتَقْلُ عَنْ قَبْرِهِ مَلِكٌ | بَلَانِ التَّذْلِيلِ | وَلَتَقْلُ عَنْ قَبْرِهِ مَلِكٌ | بَيْنَ تَعْوِبٍ وَجَنَاحِ دَلِيلِ | مُوسَى تَرْكُوهُ مَرْكُزَ تَحْقِيقَاتِ كَبِيرِ عِلْمِ الْمُسْلِمِينَ | نَازِحًا مَالِهِ وَلَيْسَ | زَرْ غَرِيبًا يَفْسُدُ سُرَبَ |
|---|---------------------------------|----------------------|---------------------------------|-----------------------------------|--|---------------------------|-------------------------------|

وليس هذا من النهي عنه، وإنما هو فيما يكتب بما هو مذموم، وأما ما يكتب أيضا على
متابر الصالحين من التعريف بهم وذكر مناقبهم فإنه مما يستحسن، لأن في ذلك حسنة لغيره من
ذنوبه، والمرور عليه، وإذا تهدم بودر إلى إصلاحه. وأيضا فإن المار يغير يعرف بصاحبته قد يقف
عنه للدعا، وبذكر الله تعالى، وقد يكون ذلك سبب هدايته وصلاحه، والله الموفق بفضلة»⁽⁵⁴⁾

²⁹⁷ (53) البيت في النعم بهذه الرواية ج 3 / 297.

روان یک عنو من غنی مفاضل
(54) ص 142 ا-ب.

هذا، وقد قسم المزلف كتابه قسمين :

القسم الأول : فيما يتعلّق بالأندلس من الأخبار، وفيه ثمانية أبواب:

الأول : في وصف الجزيرة من حسن هوانها واعتدال مزاجها، وفيما اشتملت عليه من نباتاتها.

الثاني : في فتحها على يد موسى بن نصیر وطارق مولا.

الثالث : في بعض ما كان بالأندلس من العز السامي والفحذ والتهر للعدو الكامل.

الرابع : في ذكر قرطبة وجماعتها الأموي والزهرا، والزهرة.

الخامس : في بعض من رحل من الأنجلوس إلى بلاد المشرق من الأعلام

السادس : في من وفد إليها من غيرها من الأعيان

السابع : في ما من الله به على أهلها من ترقد أذهانهم، وحرز تصبات السبق في أشعارهم وصناعتهم.

الثامن : في تغلب العدو الكافر على الجزيرة، وما وقع بين الفريقين من المروء الكثيرة حتى تضعضع ملك الإسلام بها، وسلطت يد العدو الكافر على أهلها.

القسم الثاني : في ثانية أبواب أيضاً، وكلها في لسان الدين بن الخطيب، وقد لخصها في أربع ورقات (من ورقة 194 بـ 198 أ)، وخص مشايخه بست عشرة ورقة (من ورقة 198 أ - 214 أ)، وقد أهمل الحرishi ذكر موسحات ابن الخطيب ومصنفاته وتلاميذه وأولاده، منتقلًا بسرعة إلى التعريف بسيدي الحاج بن عاشر (214 أ) والتنان الشهير به بمدينة سلا، وأتبعه بناقب الشیخ أبي العباس أحمد بن جعفر البستي (223 أ)، وختم الحرishi مختصره بالمسألة الزنبرية التي جرت بين سيرييه والكساني (232 أ)، وبعض الأشعار التي وردت في الجزء الرابع من النفع المطبوع (55)، أما فائدة الحافة أو الزيادة التي ختم بها مختصره، فسا حكاها عن العلامة ابن غازوي : «هل يقال ماذا ألم لا»، وما دار فيها من كلام بين مالك بن المرحل وابن أبي الربع البستي التحري مذيلة بقطيعة شعرية له، لما بلغه نعي أبي حيان التحري.

ويلاحظ أن الحرishi أهمل في هذا القسم التجرب الذي اعتمد في القسم الأول كما جاء في مقدمة الكتاب، وإنما اعتمد على سرد المعلومات، وعلى الانتقال من موضوع إلى آخر دون التنبه إلى ذلك، بل يتضح من المخطوطة نفسها أن العناية التي صرفت إلى القسم الأول - من حيث الخط والترتيب وإبراز العناوين بالمداد الأحمر - لم يصرف ولر أقلها للقسم الثاني، إذ كان

(55) تحقيق إحسان عباس.

مستجلاً فيما يبدو، وهو يلخص معلوماته ويقدمها للقاريء، مكتراً من الاستطراد والانتقال من الحديث عن شيخ المترى إلى الحديث عن جده وعن حظوظه عند السلطان أبي عنان المرني إلى الحديث عن مدينة سبتة وعمالها «فهي العروس المعلق»، وتتبه الأصباح الأجل، تبرجت نيرج العقبة، ونظرت وجهها من البحر في المرأة الصنيلة (ص 210)»، ثم تحدث عن مكانة الزيتون وعن آثارها والمدرسة الكبيرة «الرائقة الصنع التي أمر ببنائها السلطان أبو الحسن المرني...» الخ، منها إلى كتاب ابن مزروع عن السلطان المذكور...»

ويتضح من خلال القراءة الثانية لهذا القسم أن الحرishi لم يلتزم بالمنهج الذي سطره، في مقدمة اختصاره، مما جعل معلوماته متداخلة في أغلب الأحيان، وأسلوبه مضطرباً.

3 - مفتصر نفح الطيب : تأليف أحمد بن زيني دحلان⁽⁵⁶⁾

(ت 1304 / 1886)، لم يذكره أحد من ترجم للمؤلف، وكان قد ذكره عبد السلام بن سودة في دليله ص 270، رقم 755، الطبعة الأولى، وقال : «وتد بلغني أنه طبع أخيراً».

4 - اللزلزل المصيب من نفح الطيب : تأليف أبي العباس أحمد بن محمد الرهوني الطرواني⁽⁵⁷⁾ (ت 1373/1953)، ذكره عبد السلام بن سودة في دليله ص 270 / رقم 754، الطبعة الأولى، وقال : «طبع الجزء الأول منه سنة 1346 هـ موافق 1927 م بتطوان ولم يتم طبعه»، غير أنها لم تلف علىه مطبوعاً أو مخطوطاً.

وأخيراً، فإن كتاب نفح الطيب الذي اهتماماً من قرائه في المشرق والمغرب، فانصرف إليه اهتمامهم، قراءة وتلخيصاً، ولعلهم انتبهوا إلى الإشارة العابرة التي أوردها المقرى نفسه في كتابه عندما تحدث عن المؤلفات المستحقة الذكر عندما قال⁽⁵⁸⁾ : «التأليف المستحقة للذكر، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا ينفرد عاقل إلا به أحدها ومن بينها : إما لشيء، لم يجز إلها يخترعه، أو شيء، ناقص يتجه، أو شيء، مستغلق يشرحه، أو شيء، طريل يختصره دون أن

(56) - نقيب مكي منيغ، ولد سنة 1232/1817 م، تولى مهمة الإنقاذه والدرس يليده، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة، نفع فيها بعض كتبه وما ت في المدينة المنورة، من تصنائفه : النفحات الإسلامية، مجلدان، الدر السنة في الرد على الرهابية ط 1950، الفتح المبين في تضليل الخلافاء، الراشدين وأهل البيت الطاهرين، انظر ترجمة دحلان في الأعلام للزرکلی: 129/1 - 130 - ط 4/1979.

(57) - ولد بتطوان سنة 1288، وبها نجا وقرأ القرآن والعلم الإسلامي والعربي، ثم ارحل إلى ناس، فقرأ على شبرخها ثم رجع إلى بلده تطوان فتولى وظيفة العدالة، والنفري والقضاء، والوزارة... من مصنفاته «عدة الرافدين في تاريخ تطوانين، تقرب الأقصى من كتاب الاستعاضة، وعواشي على بهجة القسوة»، انظر ترجمته في تاريخ تطوان ق 1 م 50/1 - 58.

(58) - نفح الطيب ج 176/3، كما وردت نفس الإشارة في كتاب أزهار الرياض، ج 3/34.

(59) - أزهار الرياض ج 3/35، 36.

يخل بشيء، من معانيه».

وفي إشارة المقربي إلى المختصرات ما يثبت أن في عمل مختصر المقربي النفع فائدة ومتعدة، وتقريراً للكتاب من العامة، فعمدوا إلى اختصاره، وفي أزهار الرياض أورد المقربي ثنا، الإمام أبي عبد الله الأبي على مختصر ابن عرفة الفقهي «الذى أعجز معتوله ومنتوله الفحول»، كما أورد المقربي أبياتاً لأحدم في مدح المختصر المذكور (59) :

إذا ما شئت أن تدعى إماماً فخذ في درس مختصر الإمام
تنازل به السعادة والمال
وتصحي ظاهراً بين الأنعام كتاب قد حرر من كل علم
كستان سقي غيث الفيام فدع عنك السآمة وادرسه
ومن عينيك دع طب الميام رحل بيده جيد المال
تنز بالخلد في أعلى مقىام

هذا، وقد قصدت بهذا العرض التواضع أن أضع بين يدي الباحثين والدارسين عنصراً من عناصر المقارنة والمقارنة بين ما يقرأ، الباحث في أصل نفع الطيب، وما يقرأ في مختصراته... .



البحث العلمي نزاهة أو لا يكون كتاب : «النشاط المعجمي بالأندلس» تأليف جديد أم نقل وتشويه ؟

يتلهم : الدكتور عبد العلي الروهاني

الرباط 1992/11/28

صدر هذه الأيام عن دار الجليل بيروت كتاب عجيب غريب عنوانه : «النشاط المعجمي بالأندلس» وموضوع على غلافه أنه من «تأليف د. يوسف عيد».

وكان أحد الإخوان المهتمين بكل ما يصدر عن التراث الأندلسي، وهو الأستاذ عبد العزيز الساوري، ته أخبرني بوجوده في إحدى مكتبات الرباط، فأسرعت إلى اقتنائه برغبة أن أجده فيه معلومات جديدة أو إضافات إلى ما سبق لي أن تناولته في كتابي : «المعجم العربي بالأندلس» الذي كان في أساسه بحثا مطولا نشر أول الأمر في مجلة (عالم النكر) الكوبية ضمن العدد الخاص بحضارة الأندلس الصادر في ربيع 1981، ثم طبعته بعد ذلك في كتاب مستقل، مع زيادات وتحديثات، نصدر عن دار المعارف بالرباط سنة 1984 في 156 صفحة.

ولكتئي ما إن قلت صفحات هذا (الكتاب) المطبع في لبنان، وقرأت بعض ما جاء فيه، حتى أخذتني الدهشة والمحير، لما أرى : لقد وجدت نفسى أقرأ صفحات وصفحات طويلة منقولة تقلا حرفيًا بنصها وஹامشها وتعليقاتها، وأحياناً بقليل من التصرف المخل، من كتابي الذي ذكرته آنفاً، وذلك دون إشارة لصاحبه ولا ذكر لعنوان الكتاب ولو في هامش صغير، ودون وضع أية علامة من علامات التنصيص المتفق عليها بين الباحثين. بل إن السيد يوسف عيد لم يشأ له كرمه الواسع أن يتسع علينا ولو بإشارة صغيرة ضمن القائمة التي سماها «ثبات المصادر» والمراجع».

وكان اعتقادي في بداية الأمر، أن هذه المعرفة التي لا سبيل لدفعها أو الشك فيها أو تسميتها بأي اسم آخر، سوى هذا الاسم أو ما يرادفه ويدل عليه، إنما اقتصرت على صفحات كتابي المذكور ولم تتجاوزه إلى سواه، لكن تبين لي بعد ذلك، أن الرجل تدنس سلط أيضًا على أمور أخرى من كتابي الذي نشرته سنة 1983 بالرباط تحت عنوان «أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس». وهو في الأصل رسالة جامعية كتبتها سنة 1975 ونشرت بها دبلوم الدراسات العليا في يناير 1976 وجائزة المغرب للآداب سنة 1977. كما سطا أيضًا على أشياء من مقالتي المنشورة بالعدد (9) من مجلة «الناهل» سنة 1977 تحت عنوان : «كتاب

السما، والعالم» : وهي المقالة التي خصها صاحب «النشاط المعجمي بالأندلس» دون غيرها بإشارة عابرة لا تبنة لها في هامش مفمود من هرامشه بصفحة (157) على الطريقة المقصودة الآتية : «انظر في مجلة المناهل المغربية عدد 9/1977 بحثا حول معجم السما، والعالم». هكذا دون ذكر صاحب المقالة، دون اهتراف بأن كلَّ ما ينلنه حول كتاب السما، والعالم (من ص. 154 إلى ص. 157) هو جملة وتفصيلاً مسروق من مقالتي المذكورة ومن كتاب «المعجم العربي بالأندلس»، علماً بأنَّ أحداً من الباحثين قبلي لم يسبق له أن وصف هذا الكتاب المخطوط أرجو تحدث عن محتوياته.

ثم إنني بعد ذلك، كدت أعتقد وأقول : لعل ما يقى من صفحات الكتاب الذي نسبه السيد يوسف عبد لنفسه ، هو من جهده الخاص ومن تعبي المضنى وكذا يده وعرق جبينه، لكن تأكيد لي عن طريق المقابلة النصبة وتتبع دقيق لسائر صفحات الكتاب وفقراته، أنَّ كلَّ ما لم ينلنه من دراساتي المذكورة، فهو أيضاً مأخوذ بشواهد وهرامشه وتعليقاته من كتابات أخرى لباحثين معروفيين. وهم على التالى :

- 1) كتاب «الحركة اللغوية بالأندلس» للأستاذ أبیر حبيب مطلق، وأحيل هنا على الطبعة الصادرة في بيروت سنة 1967. وقد أخذ منه صاحبنا حوالي 81 صفحة.
- 2) دراسة الدكتور أحمد مختار عمر المنشورة في مجلة (اللسان العربي) العدد 8 ج 3 بعنوان : (معاجم الأبنية في اللغة العربية). وقد أخذ منها صاحبنا حوالي 19 صفحة.
- 3) كتاب الدكتور ثامن حسان : «اللغة العربية : معناها ومبناها»، وأحيل هنا على طبعته الصادرة بمصر 1973. وقد أخذ منه حوالي 16 صفحة.
- 4) كتاب الدكتور عبد العزير مطرى ~~كتاب العاملة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة~~، وأحيل هنا على طبعته الصادرة بمصر سنة 1967، وقد أخذ منها حوالي 11 صفحة.
- 5) كتاب الأستاذ محمد أحمد أبو النرج : «المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديثة»، وأحيل هنا على طبعته الصادرة في مصر سنة 1966، وقد أخذ منه صاحبنا حوالي 8 صفحات.
- 6) كتاب «المعجم العربي بين الماضي والحاضر» للدكتور عدنان الخطيب (ط. معهد البحث والدراسات العليا، مصر 1967). وقد أخذ منه صاحبنا حوالي 6 صفحات.
- 7) كتاب «تاريخ الفكر الأندلسي» للمستشرق الإسباني أنجل جنثالث بالتشا الذي ترجمه إلى العربية الدكتور حسین مؤنس (ط. القاهرة 1955)، وقد أخذ منه أكثر من أربع صفحات.

8) كتاب «المعاجم العربية» للدكتور عبد الله دروش (طبعة الأنجلو المصرية سنة 1956)، وقد أخذ منه صحفة بكمالها.

9) كتاب الدكتور حسين نصار «المعجم العربي نشأته وتطوره». ص. 1968، وقد نهب منه أشياء، سوف أشير إليها فيما بعد.

هذا نضلا عن كتابي «المعجم العربي بالأندلس» الذي نهب منه حوالي 60 صفحة، وكتابي «أبو علي القالي ...» الذي نهب منه حوالي 3 صفحات، وأمور أخرى أخذها من مقالتي بمجلة الشامل كما ذكرت سابقاً.

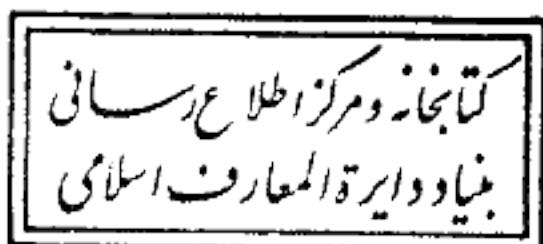
والبik تفصيل ذلك كله :

1) فالصفحات من 1 إلى 6 من «النشاط المعرفي ...» بيضاء، فارغة إلا من العنوان والإهداء.

2) والصفحات من 7 إلى 21 منه، مسروقة من كتاب ثمام حمّان، للصفحات : 312 - 332 - 39 - 313 - 314 - 40 - 316 - 319 - 323 - 325 - 326 - 327 - 330 - 331

3) ومن 21 إلى 28 مسروقة من كتاب (أبو الفرج) الصفحات : 101 - 102 - 106 - 107 - 108 - 109 - 110 - 111 - 112 - 113 - 114 - 115 - 116 - 117 - 118 - 119 - 120 - 121 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 132 - 133 - 134 - 135 - 136 - 137 - 138 - 139 - 140 - 141 - 142 - 143 - 144 - 145 - 146 - 147 - 148 - 149 - 150 - 151 - 152 - 153 - 154 - 155 - 156 - 157 - 158 - 159 - 160 - 161 - 162 - 163 - 164 - 165 - 166 - 167 - 168 - 169 - 170 - 171 - 172 - 173 - 174 - 175 - 176 - 177 - 178 - 179 - 180 - 181 - 182 - 183 - 184 - 185 - 186 - 187 - 188 - 189 - 190 - 191 - 192 - 193 - 194 - 195 - 196 - 197 - 198 - 199 - 200 - 201 - 202 - 203 - 204 - 205 - 206 - 207 - 208 - 209 - 210 - 211 - 212 - 213 - 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 219 - 220 - 221 - 222 - 223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 - 230 - 231 - 232 - 233 - 234 - 235 - 236 - 237 - 238 - 239 - 240 - 241 - 242 - 243 - 244 - 245 - 246 - 247 - 248 - 249 - 250 - 251 - 252 - 253 - 254 - 255 - 256 - 257 - 258 - 259 - 260 - 261 - 262 - 263 - 264 - 265 - 266 - 267 - 268 - 269 - 270 - 271 - 272 - 273 - 274 - 275 - 276 - 277 - 278 - 279 - 280 - 281 - 282 - 283 - 284 - 285 - 286 - 287 - 288 - 289 - 290 - 291 - 292 - 293 - 294 - 295 - 296 - 297 - 298 - 299 - 300 - 301 - 302 - 303 - 304 - 305 - 306 - 307 - 308 - 309 - 310 - 311 - 312 - 313 - 314 - 315 - 316 - 317 - 318 - 319 - 320 - 321 - 322 - 323 - 324 - 325 - 326 - 327 - 328 - 329 - 330 - 331 - 332 - 333 - 334 - 335 - 336 - 337 - 338 - 339 - 340 - 341 - 342 - 343 - 344 - 345 - 346 - 347 - 348 - 349 - 350 - 351 - 352 - 353 - 354 - 355 - 356 - 357 - 358 - 359 - 360 - 361 - 362 - 363 - 364 - 365 - 366 - 367 - 368 - 369 - 370 - 371 - 372 - 373 - 374 - 375 - 376 - 377 - 378 - 379 - 380 - 381 - 382 - 383 - 384 - 385 - 386 - 387 - 388 - 389 - 390 - 391 - 392 - 393 - 394 - 395 - 396 - 397 - 398 - 399 - 400 - 401 - 402 - 403 - 404 - 405 - 406 - 407 - 408 - 409 - 410 - 411 - 412 - 413 - 414 - 415 - 416 - 417 - 418 - 419 - 420 - 421 - 422 - 423 - 424 - 425 - 426 - 427 - 428 - 429 - 430 - 431 - 432 - 433 - 434 - 435 - 436 - 437 - 438 - 439 - 440 - 441 - 442 - 443 - 444 - 445 - 446 - 447 - 448 - 449 - 450 - 451 - 452 - 453 - 454 - 455 - 456 - 457 - 458 - 459 - 460 - 461 - 462 - 463 - 464 - 465 - 466 - 467 - 468 - 469 - 470 - 471 - 472 - 473 - 474 - 475 - 476 - 477 - 478 - 479 - 480 - 481 - 482 - 483 - 484 - 485 - 486 - 487 - 488 - 489 - 490 - 491 - 492 - 493 - 494 - 495 - 496 - 497 - 498 - 499 - 500 - 501 - 502 - 503 - 504 - 505 - 506 - 507 - 508 - 509 - 510 - 511 - 512 - 513 - 514 - 515 - 516 - 517 - 518 - 519 - 520 - 521 - 522 - 523 - 524 - 525 - 526 - 527 - 528 - 529 - 530 - 531 - 532 - 533 - 534 - 535 - 536 - 537 - 538 - 539 - 540 - 541 - 542 - 543 - 544 - 545 - 546 - 547 - 548 - 549 - 550 - 551 - 552 - 553 - 554 - 555 - 556 - 557 - 558 - 559 - 560 - 561 - 562 - 563 - 564 - 565 - 566 - 567 - 568 - 569 - 570 - 571 - 572 - 573 - 574 - 575 - 576 - 577 - 578 - 579 - 580 - 581 - 582 - 583 - 584 - 585 - 586 - 587 - 588 - 589 - 590 - 591 - 592 - 593 - 594 - 595 - 596 - 597 - 598 - 599 - 600 - 601 - 602 - 603 - 604 - 605 - 606 - 607 - 608 - 609 - 610 - 611 - 612 - 613 - 614 - 615 - 616 - 617 - 618 - 619 - 620 - 621 - 622 - 623 - 624 - 625 - 626 - 627 - 628 - 629 - 630 - 631 - 632 - 633 - 634 - 635 - 636 - 637 - 638 - 639 - 640 - 641 - 642 - 643 - 644 - 645 - 646 - 647 - 648 - 649 - 650 - 651 - 652 - 653 - 654 - 655 - 656 - 657 - 658 - 659 - 660 - 661 - 662 - 663 - 664 - 665 - 666 - 667 - 668 - 669 - 670 - 671 - 672 - 673 - 674 - 675 - 676 - 677 - 678 - 679 - 680 - 681 - 682 - 683 - 684 - 685 - 686 - 687 - 688 - 689 - 690 - 691 - 692 - 693 - 694 - 695 - 696 - 697 - 698 - 699 - 700 - 701 - 702 - 703 - 704 - 705 - 706 - 707 - 708 - 709 - 7010 - 7011 - 7012 - 7013 - 7014 - 7015 - 7016 - 7017 - 7018 - 7019 - 7020 - 7021 - 7022 - 7023 - 7024 - 7025 - 7026 - 7027 - 7028 - 7029 - 7030 - 7031 - 7032 - 7033 - 7034 - 7035 - 7036 - 7037 - 7038 - 7039 - 7040 - 7041 - 7042 - 7043 - 7044 - 7045 - 7046 - 7047 - 7048 - 7049 - 7050 - 7051 - 7052 - 7053 - 7054 - 7055 - 7056 - 7057 - 7058 - 7059 - 7060 - 7061 - 7062 - 7063 - 7064 - 7065 - 7066 - 7067 - 7068 - 7069 - 7070 - 7071 - 7072 - 7073 - 7074 - 7075 - 7076 - 7077 - 7078 - 7079 - 7080 - 7081 - 7082 - 7083 - 7084 - 7085 - 7086 - 7087 - 7088 - 7089 - 7090 - 7091 - 7092 - 7093 - 7094 - 7095 - 7096 - 7097 - 7098 - 7099 - 70100 - 70101 - 70102 - 70103 - 70104 - 70105 - 70106 - 70107 - 70108 - 70109 - 70110 - 70111 - 70112 - 70113 - 70114 - 70115 - 70116 - 70117 - 70118 - 70119 - 70120 - 70121 - 70122 - 70123 - 70124 - 70125 - 70126 - 70127 - 70128 - 70129 - 70130 - 70131 - 70132 - 70133 - 70134 - 70135 - 70136 - 70137 - 70138 - 70139 - 70140 - 70141 - 70142 - 70143 - 70144 - 70145 - 70146 - 70147 - 70148 - 70149 - 70150 - 70151 - 70152 - 70153 - 70154 - 70155 - 70156 - 70157 - 70158 - 70159 - 70160 - 70161 - 70162 - 70163 - 70164 - 70165 - 70166 - 70167 - 70168 - 70169 - 70170 - 70171 - 70172 - 70173 - 70174 - 70175 - 70176 - 70177 - 70178 - 70179 - 70180 - 70181 - 70182 - 70183 - 70184 - 70185 - 70186 - 70187 - 70188 - 70189 - 70190 - 70191 - 70192 - 70193 - 70194 - 70195 - 70196 - 70197 - 70198 - 70199 - 70200 - 70201 - 70202 - 70203 - 70204 - 70205 - 70206 - 70207 - 70208 - 70209 - 70210 - 70211 - 70212 - 70213 - 70214 - 70215 - 70216 - 70217 - 70218 - 70219 - 70220 - 70221 - 70222 - 70223 - 70224 - 70225 - 70226 - 70227 - 70228 - 70229 - 70230 - 70231 - 70232 - 70233 - 70234 - 70235 - 70236 - 70237 - 70238 - 70239 - 70240 - 70241 - 70242 - 70243 - 70244 - 70245 - 70246 - 70247 - 70248 - 70249 - 70250 - 70251 - 70252 - 70253 - 70254 - 70255 - 70256 - 70257 - 70258 - 70259 - 70260 - 70261 - 70262 - 70263 - 70264 - 70265 - 70266 - 70267 - 70268 - 70269 - 70270 - 70271 - 70272 - 70273 - 70274 - 70275 - 70276 - 70277 - 70278 - 70279 - 70280 - 70281 - 70282 - 70283 - 70284 - 70285 - 70286 - 70287 - 70288 - 70289 - 70290 - 70291 - 70292 - 70293 - 70294 - 70295 - 70296 - 70297 - 70298 - 70299 - 70300 - 70301 - 70302 - 70303 - 70304 - 70305 - 70306 - 70307 - 70308 - 70309 - 70310 - 70311 - 70312 - 70313 - 70314 - 70315 - 70316 - 70317 - 70318 - 70319 - 70320 - 70321 - 70322 - 70323 - 70324 - 70325 - 70326 - 70327 - 70328 - 70329 - 70330 - 70331 - 70332 - 70333 - 70334 - 70335 - 70336 - 70337 - 70338 - 70339 - 70340 - 70341 - 70342 - 70343 - 70344 - 70345 - 70346 - 70347 - 70348 - 70349 - 70350 - 70351 - 70352 - 70353 - 70354 - 70355 - 70356 - 70357 - 70358 - 70359 - 70360 - 70361 - 70362 - 70363 - 70364 - 70365 - 70366 - 70367 - 70368 - 70369 - 70370 - 70371 - 70372 - 70373 - 70374 - 70375 - 70376 - 70377 - 70378 - 70379 - 70380 - 70381 - 70382 - 70383 - 70384 - 70385 - 70386 - 70387 - 70388 - 70389 - 70390 - 70391 - 70392 - 70393 - 70394 - 70395 - 70396 - 70397 - 70398 - 70399 - 70400 - 70401 - 70402 - 70403 - 70404 - 70405 - 70406 - 70407 - 70408 - 70409 - 70410 - 70411 - 70412 - 70413 - 70414 - 70415 - 70416 - 70417 - 70418 - 70419 - 70420 - 70421 - 70422 - 70423 - 70424 - 70425 - 70426 - 70427 - 70428 - 70429 - 70430 - 70431 - 70432 - 70433 - 70434 - 70435 - 70436 - 70437 - 70438 - 70439 - 70440 - 70441 - 70442 - 70443 - 70444 - 70445 - 70446 - 70447 - 70448 - 70449 - 70450 - 70451 - 70452 - 70453 - 70454 - 70455 - 70456 - 70457 - 70458 - 70459 - 70460 - 70461 - 70462 - 70463 - 70464 - 70465 - 70466 - 70467 - 70468 - 70469 - 70470 - 70471 - 70472 - 70473 - 70474 - 70475 - 70476 - 70477 - 70478 - 70479 - 70480 - 70481 - 70482 - 70483 - 70484 - 70485 - 70486 - 70487 - 70488 - 70489 - 70490 - 70491 - 70492 - 70493 - 70494 - 70495 - 70496 - 70497 - 70498 - 70499 - 70500 - 70501 - 70502 - 70503 - 70504 - 70505 - 70506 - 70507 - 70508 - 70509 - 70510 - 70511 - 70512 - 70513 - 70514 - 70515 - 70516 - 70517 - 70518 - 70519 - 70520 - 70521 - 70522 - 70523 - 70524 - 70525 - 70526 - 70527 - 70528 - 70529 - 70530 - 70531 - 70532 - 70533 - 70534 - 70535 - 70536 - 70537 - 70538 - 70539 - 70540 - 70541 - 70542 - 70543 - 70544 - 70545 - 70546 - 70547 - 70548 - 70549 - 70550 - 70551 - 70552 - 70553 - 70554 - 70555 - 70556 - 70557 - 70558 - 70559 - 70560 - 70561 - 70562 - 70563 - 70564 - 70565 - 70566 - 70567 - 70568 - 70569 - 70570 - 70571 - 70572 - 70573 - 70574 - 70575 - 70576 - 70577 - 70578 - 70579 - 70580 - 70581 - 70582 - 70583 - 70584 - 70585 - 70586 - 70587 - 70588 - 70589 - 70590 - 70591 - 70592 - 70593 - 70594 - 70595 - 70596 - 70597 - 70598 - 70599 - 70600 - 70601 - 70602 - 70603 - 70604 - 70605 - 70606 - 70607 - 70608 - 70609 - 70610 - 70611 - 70612 - 70613 - 70614 - 70615 - 70616 - 70617 - 70618 - 70619 - 70620 - 70621 - 70622 - 70623 - 70624 - 70625 - 70626 - 70627 - 70628 - 70629 - 70630 - 70631 - 70632 - 70633 - 70634 - 70635 - 70636 - 70637 - 70638 - 70639 - 70640 - 70641 - 70642 - 70643 - 70644 - 70645 - 70646 - 70647 - 70648 - 70649 - 70650 - 70651 - 70652 - 70653 - 70654 - 70655 - 70656 - 70657 - 70658 - 70659 - 70660 - 70661 - 70662 - 70663 - 70664 - 70665 - 70666 - 70667 - 70668 - 70669 - 70670 - 70671 - 70672 - 70673 - 70674 - 70675 - 70676 - 70677 - 70678 - 70679 - 70680 - 70681 - 70682 - 70683 - 70684 - 70685 - 70686 - 70687 - 70688 - 70689 - 70690 - 70691 - 70692 - 70693 - 70694 - 70695 - 70696 - 70697 - 70698 - 70699 - 70700 - 70701 - 70702 - 70703 - 70704 - 70705 - 70706 - 70707 - 70708 - 70709 - 70710 - 70711 - 70712 - 70713 - 70714 - 70715 - 70716 - 70717 - 70718 - 70719 - 70720 - 70721 - 70722 - 70723 - 70724 - 70725 - 70726 - 70727 - 70728 - 70729 - 70730 - 70731 - 70732 - 70733 - 70734 - 70735 - 70736 - 70737 - 70738 - 70739 - 70740 - 70741 - 70742 - 70743 - 70744 - 70745 - 70746 - 70747 - 70748 - 70749 - 70750 - 70751 - 70752 - 70753 - 70754 - 70755 - 70756 - 70757 - 70758 - 70759 - 70760 - 70761 - 70762 - 70763 - 70764 - 70765 - 70766 - 70767 - 70768 - 70769 - 70770 - 70771 - 70772 - 70773 - 70774 - 70775 - 70776 - 70777 - 70778 - 70779 - 70780 - 70781 - 70782 - 70783 - 70784 - 70785 - 70786 - 70787 - 70788 - 70789 - 70790 - 70791 - 70792 - 70793 - 70794 - 70795 - 70796 - 70797 - 70798 - 70799 - 70800 - 70801 - 70802 - 70803 - 70804 - 70805 - 70806 - 70807 - 70808 - 70809 - 70810 - 70811 - 70812 - 70813 - 70814 - 70815 - 70816 - 70817 - 70818 - 70819 - 70820 - 70821 - 70822 - 70823 - 70824 - 70825 - 70826 - 70827 - 70828 - 70829 - 70830 - 70831 - 70832 - 70833 - 70834 - 70835 - 70836 - 70837 - 70838 - 70839 - 70840 - 70841 - 70842 - 70843 - 70844 - 70845 - 70846 - 70847 - 70848 - 70849 - 70850 - 70851 - 70852 - 70853 - 70854 - 70855 - 70856 - 70857 - 70858 - 70859 - 70860 - 70861 - 70862 - 70863 - 70864 - 70865 - 70866 - 70867 - 70868 - 70869 - 70870 - 70871 - 70872 - 70873 - 70874 - 70875 - 70876 - 70877 - 70878 - 70879 - 70880 - 70881 - 70882 - 70883 - 70884 - 70885 - 70886 - 70887 - 70888 - 70889 - 70890 - 70891 - 70892 - 70893 - 70894 - 70895 - 70896 - 70897 - 70898 - 70899 - 70900 - 70901 - 70902 - 70903 - 70904 - 70905 - 70906 - 70907 - 70908 - 70909 - 70910 - 70911 - 70912 - 70913 - 70914 - 70915 - 70916 - 70917 - 70918 - 70919 - 70920 - 70921 - 70922 - 70923 - 70924 - 70925 - 70926 - 70927 - 70928 - 70929 - 70930 - 70931 - 70932 - 70933 - 70934 - 70935 - 70936 - 709

- (10) ص. 71 مسروقة من كتابي «المعجم العربي بالأندلس» ص. 7 - 8.
- (11) ص. 72 بيضاء ناصعة.
- (12) من ص. 72 إلى ص. 81 مسروقة من كتاب أ. ح. مطلق، الصفحات : 187 - 191 - 201 - 202 - 205 - 206 - 207 - 208 - 210 - 211 - 225 - 226 - 228 - 229.
- (13) من ص. 81 (الفقرة الثالثة) إلى ص. 85 : منقول حرفيًا من (الأمالى لأبى على القالى) (أسا، الزرجة) ومادة (غرر).
- (14) من ص. 85 (الفقرة الثالثة) إلى ص. 102 : مسروقة من كتاب أ. ح. مطلق، الصفحات: 227 - 228 - 232 - 233 - 234 - 123 - 124 - 125 - 127 - 128 - 130 - 170 - 169 - 167 - 165 - 163 - 162 - 154 - 153 - 152 - 147 - 135 - 133 - 131 - 339 - 338 - 173.
- (15) ص. 102 إلى 104 معلومات عن ابن السيد البطليمرسي ملتفة من هنا وهناك.
- (16) من ص. 105 إلى 106 مسروقة من كتاب أ. ح. مطلق ، الصفحات : 354 - 352 - 355 -
- (17) من ص. 107 إلى 112 مسروقة من كتابي «المعجم العربي ...» ، الصفحات : 10 - 13 - 16 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 25.
- (18) ص. 113 (الفقرة الأخيرة) من كتاب ح. نصارج 1، ص. 315.
- (19) ص. 114 من كتابي «المعجم العربي ...» ص. 25 - 26 - 27.
- (20) ص. 115 من كتاب ع. درويش ص. 32.
- (21) من 116 إلى 118 من كتابي «المعجم العربي ...» ص 27 - 28 - 26 على الترتيب.
- (22) ص. 118 (الفقرة 2) إلى ص. 120 من كتاب أ. ح. مطلق ص. 216 إلى 218.
- (23) ص. 120 (الفقرة 2) إلى 121 من كتابي «المعجم العربي ...» ص. 34 - 35.
- (24) ص. 121 (الفقرة 2) إلى 122 من كتاب أ. ح. مطلق ص. 220.



- (25) ص. 122 (الفقرة 2) من كتابي : م. ع. بالأندلس، ص. 35.
- (26) ص. 122 (الفقرة الأخيرة) من مطلق ص. 221.
- (27) ص. 123 إلى 124 من كتابي : المعجم العربي، بالأندلس ص. 35 - 38.
- (28) ص. 124 (الفقرة 2) من مطلق، ص. 222.
- (29) ص. 124 (الفقرة 3) إلى ص. 139 من كتابي المعجم العربي بالأندلس،
الصفحات: 36 - 38 - 39 - 30 - 29 - 25 - 40 - 39 - 38 - 33 - 32 - 31 - 30 - 28 - 41 - 34 - 43 - 47 - 43 - 47 - 48 - 54 - 53 - 50 - 49 - 48
- (30) ص. 140 إلى 142 من كتابي : (أبو علي القالي ...) ص. 320 - 321 - 322.
- (31) ص. 143 من كتابي : المعجم العربي بالأندلس، ص. 56.
- (32) ص. 144 (الفقرة 2) إلى ص. 147 من كتاب أ. ح. مطلق، ص. 372 - 373 - 375 - 374
- (33) ص. 147 (الفقرة 2) من كتابي ، المعجم العربي بالأندلس، ص. 56.
- (34) ص. 147 (الفقرة 3) إلى ص. 151 من كتاب أ. ح. مطلق، ص. 375 إلى ص. 382
- (35) ص. 151 (الفقرة الأخيرة) إلى ص. 155 من كتابي : م. ع. بالأندلس ص : 56 - 57 - 58 - 71 - 73.
- (36) ص. 156 من كتابي : م. ع. بالأندلس، ص. 73 ومقالتي في المناهل ص : 239 - 240.
- (37) ص. 157 من كتابي : م. ع. بالأندلس، ص. 81.
- (38) ص. 158 إلى 163 من مطلق، ص. 360 إلى 364، ومن 367 إلى 370.
- (39) ص. 164 إلى 174 من كتابي : م. ع. بالأندلس، الصفحات : 91 - 93 - 94 - 95 - 114 - 113 - 112 - 117 - 116 - 115 - 114 -

(40) من ص. 174 (الفقرة الثانية) إلى ص. 177 من بالنتيا، حص : 269 - 268 - 277 - 273 - 279 - 282.

(41) ص. 178 إلى 196 من أ. م. عمر من ص. 12 إلى ص. 21.

(42) من ص. 196 إلى 200 (وهو آخر الكتاب) من كتابي : م. ع. بالأندلس ص : 111 - 108 - 109 - 118.

وأعتذر للقارئ الكريم عن هذه المقارنة الفصلية المتتبعة لكل صفحات الكتاب، إذ كانت ضرورية لتأكيد أنه لم يبق للسيد يوسف عبد من هذا المجمع العجيب الغريب الذي وضع عليه اسمه ونسبة لنفسه وسماه تأليفاً، شيء يمكن أن نعزو إليه، سوى بعض حروف العطف وبعض أدوات الربط التي اضطر إلى استعمالها للجمع بين هذا النص المأخر من هذا الكتاب، وذلك الذي سرقه من كتاب آخر، وسرى جمل ركبة وتأفهمة كان يتتذر بها بين الحين والآخر ويسخر فيها من جمهور قرانه الذين اشترموا بضاعته المسرقة، وربما تجاوز ذلك إلى التطاول والادعاء، كما نجد في هذه الكلمة التي ختم بها مسروره، فقال بكل تبجح : «لعل هذا الكتاب، جديداً متخصصاً (هكذا) في جمع مادة مهمة من التراث العربي. وأعترف بأنه قد ترك في بعض الأحيان على أبنية سابقة، ومع ذلك فقد أنشد (هكذا أيضاً) الفراولة تعظى بها وجهاً، رائداً في التقدم، وإن أعطته هذه الزيادة قيمة، فقد زادته صعوبة في البحث والتنقيب والنبش في بطون المصادر ومراجعه المخطوطات حتى حجزني وسوس العيل مدة غير قصيرة».

ثم قال بعد ذلك : (ويكفيني تعزية أنه فتح الباب أمام الدارسين والمتخصصين ليقفوا عند موضع التراميس في الأندلس ...) وحسبني في كل هذا تمجيد الحال الذي من على من (هذا) العطا، مما جعل جهد المثل محصولاً رفيراً على بيدر الحضارة).

هذه هي خاتمة الكتاب التي أشهد شهادة للله صادقة مخلصة أنها من إنشائه الضعيف، تبرع بها ولم يسرقها من أحد. ولا سيما أنها دالة على الجهل بأبسط قواعد اللغة والإنساء، وضارة مثل الراضع على الفتاثة والتجاهدة.

ولم يكن في هذا (المزلف) الظرف بما سرق، بل أليس إلا أن يكتفى للناس عن خلقه، ويزعم الريادة والتقدّم، ويدعى أنه يبحث وتنقب ولا ترى الصعوبات، وأنه العين في الاطلاع على المصادر والتراث والمخطوطات، وأنه فتح الأبراج الفقلة حتى أتى بما لم يأت به السابق ومعال أن يدركه اللامع، وأنا أتحدى أن يدلني على صفحة واحدة (غير ناصمة الباض) يستطيع أن يزعمها لنفسه من بين سائر صفحات هذا (المجمع) الذي لفقد من هنا وهناك، واحتطفه من أيدي أصحابه الخبيثين ليبيمه في «سرن العربية على مرأى الجميع ومسعهم، بدرأهم معدودات، أو يرتفع به بعض الدرجات».

واحقانا للحق، فإن للرجل صفحة واحدة كان على أن أنسها إليه بلا متراء ولا مدافع، وأنسد بها صفحة الإهداء التي جات بعد صفحة العنوان بالطبع، وحفلها البياض الناصع من كل جانب إلا ما كان من وسطها الذي جاء فيه بالحرف والنص : «إهداه إلى التي كابت وضحت، وحررت صفحة جياتها لتثير صفحات كتابي : إلى امرأتي».

واحقانا للحق نبان للرجل تلك الخاتمة الطريفة التي أكد فيها على أنه «اتكأ على بعض الأبنية السابقة». وهو يقصد بالطبع النصوص التي تهبهها وتنصرف فيها كما شاء، ذلك أن ما فعله لم يكن مجرد اتكاً، وإنما لأسنده تلك (الأبنية) ودعنته حتى يقف على رجله ويكتب تنبيه البحث الحقيقي، ويعرف معنى الأمانة العلمية، فيعزز كل رأي أو قول أو نص إلى صاحبه، ورضع لذلك العلامات الترقيمية الدالة الواضحة، ويعرف أيضاً كيف يستند منها بالقدر الضروري المباح علمياً، ولكن الذي فعله كان سرقة واضحة واعتها، على جهود باعثين سابقين مبتهلة ومقصودة، اللهم إذا كان الرجل لا يستطيع أن يميز بين ما هو بحث يعنظ لصاحبها، ويجازى عليه، وبين ما هو نقل حرفي وسرقة يعاقب عليها.

وصاحينا هذا، لا يزاخد على إنم السرقة وحده، لأنه لم يقف عنده، بل يزاخذ أيضاً على جريمة ما ألمنه بالنصوص المسروقة من تشويه وتحريف، كما سنبين بعد قليل. لقد أتى على طائفه من النصوص تختلف في سياقاتها وأصطلاحاتها ولغتها وأهدافها، تجمع بينها و (ال ألف)، وأعمل فيها المقص والإبرة : ينقص من هذا قطعة كما يحلو له، ويزيد في ذاك قطعة من نسج مختلف ولون مغاير، ثم يخبطها بعضها إلى بعض، ويصنع منها مرقعة يتبعها على حجمه، وبذلك جاء (الكتاب) جبة فيها من كل ثوب رقعة، ومن كل لون قطعة.

ثم حاول أن يفطري على سرقته تلك، بضرور من الجيل وألوان من (الصنعة) وأصناف من اللعب بالأيدي ومن الحذلة، *ما أتى ذاك بيضمونها بليه*

• فقد يخلط أحياناً بين نصوص مختلفة فيذكر في بداية الصفحة فقرة من كتاب أول، ثم يتبعها بفقرة أخرى من كتاب ثان، ثم يعود إلى الكتاب الأول فيأتي على صفحة أو صفحات منه ... وهكذا دواليك.

• وقد يبعد إلى الفقرة الطويلة المكثفة فيترعها إلى فقرات عدّة. وأحياناً قد يصنع عكس هذا بأن يجمع فقرات قصيرة ويزلف منها فقرة واحدة طويلة، وربما اكتفى ببضعة أسطر من هنا ينسها في صفحة أو فقرة من هناك، وكل ذلك لإخفاه سرقته.

• ومن أصناف الجيل و (الصنعة) في هذا الكتاب أن يدمج بعض الهوامش من نص مسروق في متن النص وصلبه. وربما فعل العكس أي بأن ينزل معلومات من متن النص إلى الهامش ويجعل منها إحالات.

، ويسطُر على صفحات كاملة أو فقرات طويلة دون إشارة لصاحبها ومصدرها. إلا أنه قد يضع على معلومة واحدة من المعلومات الواردة بالنص كله رقماً يحيل فيه بالهامش على الكتاب المسروق إحالة غامضة مضلة، وكان الأمر لا يتعلّق إلا بذلك المعلومة البسيطة أو الجزئية الصغيرة، مع أنه يتعلّق بالنص كله الذي قد يصل إلى صفحات عدّة، دون علامة تدلّ على بدايته ونهايته إلا بالرجوع للأصل وإجراء المقارنة. هذا ما فعله مع بعض المصادر التي سرق منها، ولكنّه لم يفعله مع سائر ما أخذه من كتابي : «المجمّع العربي في الأندلس» و«أبو علي القالي ...»، إذ طمس وجودهما وعُقِّى على ذكرهما تماماً.

. وقد يفعل ما هو أغرب من ذلك وأخفى، في يأتي بنسخ من هذا الكتاب أو هذه الدراسة، ثم يضع لها هامشاً أو هرماً من نص آخر لباحث آخر.

، ويدّهُبُّني مخاdueة القارئ غير هذه المذاهب، فيمده به إلى بعض الفاظ النص المسروق الذي لا تدلّ على مصدره، أو نقله الحرفي أية علامة، فيتصرّف فيها بإبدال كلّمة وإحلال مرادفها أو ما ينفي معناها محلّها، كما نرى في (ص. 8) حين جعل مكان عبارة ثامن حسان الواردة في الأصل وهي قوله : «صلاحيته للجدولة» عبارة أخرى بدلها وهي قوله صاحبنا : «إمكانية الجدوله»، أو قوله في مكان آخر (ص. 16) : «لعل ما يجب» عوض «لعل ما ينبغي» الواردة بالأصل، أو قوله في ص. 25 : «ونقصد بالبيان» عوض «وأنقصد ...» في النص الأصلي، وذلك أن تتفّ - أيها القارئ الكريم - عند هذه التعرّف المعاجمية التي أراد صاحبنا أن يوظفها لتضخيم حجمه، وكيف لا وقد أصبح كل الصيد في بحثه معرفة التّرجمة، وانتفع الجسم الضئيل وكبرت الصورة وأصبحت كما ترى !؟

، وربما أقحم في النص، بأدلة أثرٍ ضبطها أو أخرجه، عبارة تشير إليه وتفسّده كقوله في ص. 28 : «وللأمانة نقول : إن معجمين يستعملان الرسم ...» . فاقحم عبارة «وللأمانة نقول» على النص الأصلي وهو لثامن حسان. ولا نتعجب من غرام صاحبنا الظريف بالأمانة، فنحن في زمن قد اختلت مقاييسه وموازينه، وتغيرت مدلولات الفاظه ومعاني ترميمه. ولعلك لا تدرّي أن (الأمانة) في قاموس هذا الكتاب إنما تعني كل أضدادها في قوامينا نعم، تلك القواميس البالية التي أعلن السيد يوسف عبيد، في بعض عباراته المتّهمة على النصوص الأصلية، أنه حامل لواه الدعوة إلى إحران الفاظها والإجهاز على لغتها. وهذا ما لا بد أن تعرفه - أيها القارئ الكريم - وتهنئ صاحبنا عليه وعلى شجاعته وجرأته العلمية فيه، فلقد أتي على سرقة صفحات طويلة من الدكتور ثامن حسان (من ص. 17 إلى ص. 28) ثم وجد أن هنا الأخير يختتم كلامه بقوله : «فند رأينا كيف توقّعنا للمعجم أن يحدد طريقة النطق والتهجيّة والمبنى الصرفي وضرورة ارتباط شرح المعنى المعجمي بتحديد ضامن الكلمة ... الخ»، فعلم على ذلك صاحبنا

بنكهة من نكهة التي لا تخلو من معنى طريف، وظلّ خفيف، فقال : « تلك كانت الرؤية، وبقي كلّه في حدود التسني، إن لم تصل بمعجمنا إلى المرتبة الرائدة بعيداً عن أي عمل سريع يبني المرء، من ورائه حسنة قروش وتجارة رخيصة، وحسبني أنني أحاول مع غيري من يدعون إلى إيقاظ هذه الفكرة، ونفع الرماد المترافق نوحاً جوهاً لتشتمل وتحرق يابس اللفة، ثم تتفتت بعد الحريق براجم الكلمة، فتحتضنها صدر المعجم الجديد ... » (ص. 28 - 29).

ألا ترى كيف أن صاحبنا لا يقنع بالقليل ولا تكتفي النبات والثبات، وإنما يريد العمل ويطمح إلى الفعل، ولا يرضي بالعمل السريع الذي لا يريد به أصحابه إلا حسنة من القروش ؟ ألا تراه يحب الجد ويركب الصعب وبعد نفسه في طليعة الباحثين الأكفاء، العاملين الكادحين ؟ ألا تنهش ولا تبىش ؟ ما هذه العظمة ؟ ما هذه المصاصة ؟ ما هذا المجد ؟، وهل فهمت - عافاك الله - قصده النبيل وحكته باللغة وما يرمي إليه حين أطلق صرخته الكبرى، وجاهر برسالته العظمى فقال : إنه يصل مع غيره على إضرام النار وإثارة الفبار، والأخذ بالثأر ومحو العار، وإشغال الحريق وفتح الطريق ... ؟؟ ألا تتصفح ؟ ألا ترقص ؟ ألا تغزو ؟ ألا تأخذك التخوة العربية والحمية الهاشمية ؟ أما أنا فأسأل الله أن يجعلنا لهب هذة النار ووقف هذة الزحف الذي يسري صاحبنا أن يتزور به مع زمرة من أصحابه، لأشه لون فعل ذلك لأنّى على الأخضر والبابس مما تبقى من جهودنا وأبعاثنا وعزائنا.

ولقد كان صاحبنا وهو ينهي ويعتبر على متاع الغير في عجلة من أمره ولهمة، وكانت حاله كحال حاطب الليل الذي لا يدرى ما يخطب، فيجتمع في حبله ما غثَّ وما سمن، وربما سرق أشياء، وهو لا يعرف قيمتها فيبعثها بشئ من أقل من ثمنها، وربما فعل العكس، فتعالى في قطعة مسرقة، وهو لا يدرى مقدار تفاهتها. وقد تتبع من جديه أشياء، أثناء الخطب والتهب فتتكسر ولا يعرف كيف يصلحها ويرمها بروت أجزاها، فيقدمها للمشتري على حالها مثقوبة مكسورة معيوبة، وقد تتشابه عليه القطع بالرأتهما وأشكالهما فيضم بعضهما إلى بعض وهي ليست من أصل واحد، وال الحال أن معرفة ذلك ليس من صنعته، فهو يعرف السرقة فقط. وكل هذا قد لاحظنا في العمل الذي عمله صاحبنا من غير دراية ولا يصر، ولو تبصر قبلًا أو كانت له أدنى دراية بالمتاع السرقة لعرف كيف يعطي بعض عبوده ويعفى آثار طريقه. وهكذا بعض الأمثلة :

١) - فالكتاب - كما يدل عليه عنوانه - خاص بالحركة المعجبة في الأندلس، أو المفروض أن يكون كذلك، ولكن السيد يوسف عبد بعد أن وضع العنوان المذكور، أتعم فيه نصوصاً - نبهها هي الأخرى من هنا وهناك - لا علاقة لها بموضوع الكتاب . فقد وجدني في كتاب (المعجم العربي بالأندلس) أتحدث عن التراميس الأندلسية الخاصة بالأفعال وأذكر منها كتاب ابن القوطيه وابن القطاع السرقسطي وغيره. فأنا أحب صاحبنا أن يزيد شيئاً على ما ذكرته، فماذا فعل ؟ لجأ إلى نقل نصوص بكمالها من بحث الدكتور أحمد مختار عمر حول (معاجم الأئمة في اللغة العربية) من غير أن ينظر فيما ينقله ويعشه، فكانت النتيجة أن أقحم في كتابه نصوصاً خاصة بالحديث عن كتاب (فعلت وأفعت) لأبي حاتم السجستاني وأخر بنى العنوان للزجاج، وهو لا

يعلم أن المزلفين معاً لبساً من رجالات الأندلس ولا كتابيهما من المزلفات والقواميس الأندلسية.

2) - ثم رأى أيضاً أحدث عن أنواع القواميس اللغوية التي عرفتها بلاد الأندلس، فأحب أن يظهر بعض تفرقه ونبرغه ويضيف إضافات أخرى، فماذا فعل ؟ جاء إلى حديث المستشرق الإسباني بلنثيا في (تاريخ الفكر الأندلسي) عن بعض قواميس الأعلام البشرية وكتب الطبقات والترجم، كمؤلفات ابن الأبار وابن الفرضي وابن بشكوال والخشنبي وابن عفيفون وغيرهم، ننقل ذلك الحديث وهو يعتقد أنه أصاب المرمى وبلغ الغاية، وما علم - سامعه الله - أن هذه الكتب لا علاقة لها بالحركة المعجمية اللغوية ولا هي من قواميس الألفاظ أو قواميس المعاني، وأن كلام صاحب (تاريخ الفكر الأندلسي) وأراد في سباق آخر غير سباق كتابي وفي موضوع خارج عن موضوعه.

3) - وظل ينهب من كتاب (الحركة اللغوية بالأندلس) ما شاء، ويعطى على عجل خشبة أن ينماجه من فاجئه أو تقع عليه عين حارس، (فالخلط وجلط) - كما يقول العامة - ولله العذر، وهو على هذه الحال، فقد تحدث صاحب (الحركة المعجمية) عن النشاط اللغوي في القرن الثالث، وأتبعه بالحديث عنه في الرابع ثم الخامس، فجاء كلامه بحكمه تسللاً تاريخي وترتبطي ودون خطة لا غبار عليها، ولكن صاحب (النشاط المعجمي ...) حين سُلح منه ما سلح، اضطرب وتبلجع واختلط عليه المقابل بالنابل والأول بالأخر، فوضع في ص. 31 عنواناً سادساً : ١ - مدخل : حالة اللغة في الأندلس قبل بدء التأليف المعجمي ، وكان الفرض أن يذكر تحت هذا العنوان البوادر الأولى في التأليف اللغوي بالأندلس إلى غاية القرن الثالث الهجري الذي ظهرت فيه أولى ثمرات التأليف القاموسي، ولكنه بحكم قراميده على الموضع واضطراب الأمر عليه، وهو على حاله التي عليها، جمع تحت العنوان المذكور كلَّ ما أللَّه الأندلسيون من مؤلفات اللغة إلى نهاية القرن الخامس، وهكذا حشد نصوصاً مسرورة - بالطبع - حول القالي والزبيدي وابن القرطبة والبكري والبطليوسري وابن سينا وغيرهم. هنا مع العلم أن (رقم ١) الذي رقم به المدخل لم يكن له ثان ولا ثالث في هذا المجمع ~~فظل مفروضاً بحسب~~.

ويعد ذلك وضع عنواناً آخر (ص. 71) وهو : «الفصل الأول : القالي وأهمية مدرسته» فكرر فيه وأعاد الحديث عن القالي والزبيدي والبطليوسري وابن سينا وغيرهم من ذكرها في (المدخل) على أنهما يتضمنان إلى الفترة التمهيدية السابقة لمرحلة التأليف القاموسي.

4) - وكان - وهو في غمرة ما هو فيه من النهب والسلخ والاستيلا - لا يلتفت إلى ما يقع فيه من أخطاء، في بعض الأسماء وتحريف بعض الألفاظ وتشريحه بعض المعلومات التي ينقلها بالبتر أو الإتحام أو التصحيف.

وهكذا وجدناه مثلاً ينقل نصاً عن الدكتور أحمد مختار عمر جاء فيه : «ناما جرم فلان، فكسب»، فحرفه الناقل وكتب : (نكذب) عوض (فكسب). (ص. 179).

وأنقل كلاماً عن صاحب (الحركة اللغوية) حول عبد الملك بن طريف جاء فيه : «وله كتاب حسن في الأفعال» فاضطررت هذا النقول المسووق في يد سارقه ووقع وتكسر وضاع نصفه الأول وينتني نصفه الثاني فقط، فأمسكه كما هو، وجاء به ووضعه في كتابه على هذا النحو المكرر : «حسن في الأفعال»، (ص. 42) أي أن لابن طريف كتاباً اسمه (حسن في الأفعال).

وفي ص. 47 - 48 وجدناه وهو يختتم لائحة المؤلفات اللغوية الأندلسية بعد نقلها من موضع شئ من كتاب (الحركة اللغوية) لأبيبر حبيب مطلق، يكتب اسم أبي بكر عاصم بن أبيب البلري ويضع تحته عناوين كتبه على هذا الترتيب ويحسب هذا الترتقيم وهو :

٩٢- شرح أشعار الحماسة.

٩٣- شرح كتاب الأشعار ستة الجاهلية.

٩٤- شرح ديوان امرئ القيس.

٩٥- أبو علي الحسن بن علي النمري.

٩٦- شرح كتاب معاني أبيات الحماسة »

ثم يقول بعد ذلك مباشرةً ويدون أي ناصل : «فهذه ستة وعشرون مؤلفاً تثلل غير الحجاء في اللغة والنحو».

وبذلك جعل من (أبي علي الحسن بن علي النمري) كتاباً من كتب عاصم وأعطاه رقماً هو رقم (٩٥)، ثم جعل كتاب (شرح معاني أبيات الحماسة) من مؤلفات أبي بكر عاصم المذكور، والصحيح أنه للنمري ، وبذلك أصبحت لائحة مكونة من (٩٦) كتاباً بما فيها «أبو علي النمري» (فهو أيضاً كتاب من الكتب). ولو رجعنا إلى أصل النص المسروق في ص. 325 من كتاب (الحركة اللغوية ...) لفهمتنا وعلمنا أبيات الخلط والخطبوط، هنا مع العلم أن جملة الشرح الأدبية التي جاء، باسمها هنا ليست أعمالاً لغوية ولا معجمية، ولكنه، كما قلت ذكرت، يحطب في لبل حالك لا يدرى ما هو آخذ فيه ولا ما هو تارك.

٥) - وربما وقع صاحب الدراسة المعتمدة في خطأ علمي، فتجد السبّ عبيد، بحكم كله وعدم درايته بالموضوع، يتبعه في ذلك الخطأ ويعتديه خطورة خطوة.

، فقد تحدث صاحب (الحركة اللغوية ..) مثلاً عن كتاب (أفعل من كنا) للقالي (ص. 210 - 211)، فنرّع أنه كتاب مخطوط بدار الكتب المصرية، وذكر رقمه وصار يصنف محظوظاته على أنه للقالي. وكان ذلك خطأ منه لم ينتبه له صاحب (النشاط المعجمي ..) الذي اكتفى

بسرقة كلامه في المرضع وهو لا يعلم أن الكتاب الذي تحدث عنه أليس مطلق ليس للقالب قطعاً بل لمحنة الأصحابي.

ومن هنا التبليغ ما سأله صاحبنا من نصوص وكلام حول (المستدرك في اللغة) للزبيدي، فكتبني (ص. 93) : «لم تورد لنا المصادر أية معلومات إضافية عن هذا الكتاب سوى اسمه ومن رواه». ثم عاد في مكان آخر فنقل كلاماً في أكثر من صفحة فيه حديث عن مخاطرطة الكتاب ووصف لمحنته ومنهج صاحبه فيه (ص. 137 - 138). والسبب في هذا التناقض الواضح أنه كان في الموضع الأول ينقل كلام أليس مطلق، في حين نقل في المرضع الثاني كلامي الذي كتبته عن كتاب الزبيدي في (المعجم العربي بالأندلس). ولو كان «المزلف التتجلى» ذكراً لعمد على الأقل إلى الاستفهام عن الكلام الأول الذي نقله عن السيد أ. ح مطلق.

ويطول بنا الحديث لو مضينا في تتبع فضائح هذا (النشاط المجنسي ...)، راعطاً الأمثلة على خلطه، وتقديم الأدلة على حيله وألاعيبه التي جاؤ إليها لمعارضة إلينا، سرقته ومحاكاتها. ولا أريد أن أختتم هذا المقال دون أن أشير إلى أن السيد يوسف عبد لم يكتف بسرقة النصوص والمعلومات الواردة في كتاب (المعجم العربي بالأندلس) وغيره، بل لقد جعل من كتابي هذا المنطلق الذي ارتکزت عليه سائر النصوص الأخرى المنقوله، والتقطب الذي أدار حوله رحى سرقاته كلها، ذلك أنه اغتصب منه منهجه وتبصره وترتيبه فصوله أيضاً، وتبعها نقطة نقطة، ثم حاول بعدها أن يضيف إليها أشياء، لم يجد لها فيه فلعاً إلى النهب من المصادر العديدة التي ذكرتها.

ولا يفرنك أخيراً أن تجده أيها القارئ الكريم في آخر هذا (المجموع) لاتحة سماها صاحبها (أنت بأهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية)، واشتملت على خمسين عنواناً أولها القرآن الكريم، فما ذلك سرى تعرية، وضرب من الجبل التي أعطينا أمثلة منها فيما سبق.

تقديم أطروحة دولة :

«الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المراطين» للأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش

يقدم د. احمد بن هبّه
كلية الآداب - تطوان

نوقشت بتاريخ 19 يوليوز 1991 بكلية الآداب بمكناس جامعة مولاي إسماعيل (المغرب) أطروحة جامعية تقدم بها الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش لنيل درجة الدولة في التاريخ الأندلسي في موضوع «الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المراطين».

وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة الأساتذة محمد بن شريفة ربيسا، مسعود إسماعيل مشرقاً ومقرراً، محمد المنوني عضواً، احمد بن عبود عضواً، عبد الله ساعد عضواً، عصمت عبد اللطيف دندش عضواً.

وبعد المناقشة التي دامت حوالي 7 ساعات، ثُت مداولة اللجنة التي منحت المرشح درجة الدولة في التخصص المذكور بمبة حسن جداً، وفيما يلي تقرير عن الأطروحة وأهم القضايا والإشكاليات التي طرحتها.

تعتبر هذه الأطروحة دراسة جديدة لموضوع تاريخي لا زال بحاجة إلى البحث والتنقيب، على المستوى الأكاديمي نظراً إلى قلة الدراسات الاجتماعية حول المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط عموماً ونظراً إلى الغياب الكبير لهذه الدراسات في الجامعات المغربية حالياً. لقد تناول الباحث هذا الموضوع بطريقة شمولية ومتكلمة ومتجممة، إذ تطرق للعوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية في الباب الأول وللبنية الاجتماعية المراطية في الباب الثاني ولظاهرة الحياة الاجتماعية في الباب الثالث.

وتتميز هذه الأطروحة من حيث الثوثيق، ذلك أن الباحث اعتمد عدداً كبيراً من المصادر التاريخية بما فيها المخطوط والمطبوع. كما اعتمد عدداً من المراجع العربية والأوروبية، وكلّ هذا يلاحظ في القائمة библиография الضخمة (520 عنوان)، وهي هامش الأطروحة.

لقد أظهر الدرس من خلال بحثه أنه مشكّن من ممارسة البحث التاريخي ومطلع على المنهج التاريخي الحديثة والقديمة وبذلك عكّت هذه الأطروحة مجھوداً جباراً يستحق كل التقدير والإكبار.

قام الباحث في مقدمة أطروحته بتقييم المصادر المعتمدة. ورغم أهمية التقييم الذي قرّرَ

يُنْعَصِّ دَقْبَقَ رَاهِرَازَ الْجَوَانِبِ السُّلْبِيَّةِ وَالْإِيجَابِيَّةِ لِتَلْكَ الْمَصَادِرِ، كَانَ عَلَى الْبَاحِثِ أَنْ يَكُونَ مَوْجِزاً فِيهِ. وَمَعَ ذَلِكَ يَكُنَّ الْقَوْلُ : إِنَّهُ قَدَّمَ لَنَا تَقْبِيَّاً لِأَهْمَ الْمَصَادِرِ الْمَرَابِطَةَ بِطَرِيقَةٍ تَمَكَّسَ اطْلَاعَهُ الْكَبِيرَ عَلَيْهَا وَالْجَهْدَ الْعَظِيمَ الَّذِي بَذَلَهُ فِي تَعْمِيَّصِهَا.

وَمِنْ كُلِّ تَلْغِيَّصٍ مَا حَقَّقَهُ الْبَاحِثُ عَنْدَ تَقْوِيمِهِ لِلْمَصَادِرِ فِيمَا يَلِي :

- 1) لَقَدْ رَكَّزَ عَلَى أَهْمَيَّةِ الْمَصَادِرِ الْمُعَاصِرَةِ لِلْعَصْرِ الْمَدْرُوسِ نَظَرًا إِلَى ارْتِبَاطِهَا الْمُباشِرُ بِهِ.
 - 2) لَمْ يَفْتَلِ أَهْمَيَّةِ الْمَصَادِرِ الْمَتَّأْزِرَةِ بِصَفَّتِهَا شَكَّلَتْ مَادَّةً مَكْتُلَةً لِلْمَصَادِرِ الْمُعَاصِرَةِ.
 - 3) قَامَ بِتَقْوِيمِ الْمَصَدِرِ وَصَاحِبِ الْمَصَدِرِ عَنْدَ مَنَاقِشَتِهِ لِكُلِّ مَصَدِرٍ عَلَى حِدَّةٍ.
 - 4) أَبْرَزَ أَهْمَ الْجَوَانِبَ لِكُلِّ مَصَدِرٍ قَامَ بِتَقْوِيمِهِ، فَكَانَتِ النَّتْيُوجَةُ أَنَّهُ قَدَّمَ لَنَا نَظَرَةً شَمُولَةً وَفَرِيدَةً لِتَشْرُعِ الْمَصَادِرِ الْمَرَابِطَةِ وَغَنَّاهَا.
 - 5) بَيَّنَ كِيفِيَّةَ اسْتِفَالَالِّ هَذِهِ الْمَادَّةِ الْفَنِيَّةِ لِلِّكْتُوفِ عَنْ جَوَانِبٍ مُتَعَدِّدةٍ فِي التَّارِيخِ الْمَرَابِطِيِّ مَا زَالَ مَعْجَلُ الْبَحْثِ مُفْتَرِحًا فِيهَا.
 - 6) قَامَ الْبَاحِثُ بِتَصْنِيفِ الْمَصَادِرِ تَصْنِيفًا دَقْبِيقَا كَائِنًا بِهِذَلِكَ عَنْ تَنْوِعِهَا وَثَرَانِهَا. وَيَكْفِيُ أَنْ نَذَكِرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ لِنَرَى مَدْيَ طَرَافَةِ عَدْدِ مِنْهَا. وَهِيَ :
- الْحَوْلِيَّاتُ، الْمَذَكُورَاتُ الْشَّخْصِيَّةُ، كِتَابُ التَّوَازِلِ، كِتَابُ التَّصْرُّفِ وَالْمَنَاقِبِ وَالْكَرَامَاتِ، كِتَابُ الطَّبِيبَاتِ وَالْتَّرَاجِمِ وَالْفَهَارِسِ، كِتَابُ الْأَنْسَابِ، كِتَابُ الْجَفَرَافِيَا وَالرَّحْلَاتِ، دَوَاوِينُ الشِّعْرِ، كِتَابُ الْحَسْبَةِ وَالْأَمْثَالِ الشَّعْبِيَّةِ، كِتَابُ الْمَنَاعِيلَاتِ الْعَلَمِيَّةِ : كَالْمَلَزَلَاتُ فِي فَنِ الْطَّبِيعَ، وَمَزَلَّاتُ طَبِيعَةِ، وَمَصَنَّفَاتُ فِي عِلْمِ الْفَلَاحَةِ، كِتَابُ الْوَثَائِقِ وَالْعَقْدَ، كِتَابُ السِّيَاسَةِ وَالْفَلَسْفَةِ وَالْأَرْجُوزَاتِ، الْمَوْسِعَاتِ وَالْمَعَاجِمِ، الرَّسَائلُ الْدِيَوَانِيَّةُ وَثَالِقُ الْمُتَبَرِّزَةُ، التَّقْدِيرُ وَالْأَنْوَافُ
- وَبِالنَّسَبَةِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّلَانَةِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْأَطْرَوْحَةُ نَلَاحِظُ اخْتِلَافًا بَيْنَهَا رَغْمَ تَكَاملِهَا وَانْسِجَامِهَا مَعَ عَنْوَانِ الْأَطْرَوْحَةِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ الْبَابُ الْأَوَّلُ الْمُخْصُصُ «لِلْعِوَامِلِ الْمُؤَثِّرةِ فِي الْمَجَاهِدَةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ» بِمَعَالِجَةِ الْعَنَاصِرِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ وَالْسِّيَاسَيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَهُوَ بِهِذَلِكَ يَخَالِفُ أَعْلَمَ الْدِرَاسَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ الْبَعْدِ الْسَّيَاسِيِّ وَتَنْحَصَرُ فِيهِ. أَمَّا صَاحِبُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ فَقَدْ كَانَ مُنْتَهِيَّ الْدِرَاسَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ الْبَعْدِ الْسَّيَاسِيِّ وَتَنْحَصَرُ فِيهِ. أَمَّا صَاحِبُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ فَقَدْ كَانَ مُنْتَهِيَّ الْدِرَاسَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ الْبَعْدِ الْإِجْتِمَاعِيِّ. وَلِنَ درسُ الْجَانِبِ الْسِّيَاسِيِّ فَيَهُدُّ تَحْدِيدَ تَأْثِيرِهِ فِي الْمَجَاهِدَةِ. وَدِرْسُ الْاِقْتَصَادِ بِصَفَّتِهِ عَنْصِرًا مَكْوُنًا لِلْمَجَاهِدَةِ وَمُؤَنِّزًا لَيْهَا، وَمِنْ الْمَلَاحِظِ أَنَّ اهْتِمَامَ الْبَاحِثِ بِالْبَعْدِ الْإِقْتَصَادِيِّ لَمْ يَرُدْ إِلَيْهِ تَبَيَّنَهُ الْبَعْدُ الْإِجْتِمَاعِيُّ فِي الْمَجَاهِدَةِ الْمَرَابِطِيِّ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ. وَهَذَا وَاضِعُ فِي الْبَابِ الْثَالِثِ مِنَ الْأَطْرَوْحَةِ عَنْدَمَا تَطَرَّقَ لِلْمُتَصَرِّفَةِ خَلَالِ الْعَصْرِ الْمَرَابِطِيِّ مِثْلًا. ثُمَّ إِنَّ الْبَاحِثَ لَمْ يَبْدِ أَطْرَوْحَتِهِ بِاقْتِبَاسِ مِنْ كَارِلِ مَارْكُسِ أَوْ فِرِيدِرِيكِ إِنْجِلْزِ بلْ افْتَخَرَهَا بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
- بَدَأَ الأَسْتَاذُ بُرْتِشِيشُ بِحَشَدِهِ بِمَدْخَلٍ تَطَرَّقَ فِيهِ لِنَشَأَةِ الدُّولَةِ الْمَرَابِطِيَّةِ وَدُورِهَا فِي تَرْوِيَّةِ

المغرب والأندلس. والسؤال المطروح هنا هو هل يحتاج المتخصصون - الذي نفترض أن الباحث يخاطبه بالدرجة الأولى - إلى تمهيد ؟ ربما يختلف الجواب عن هذا السؤال حسب التقاليد الجامعية فالجواب عنه في بريطانيا سيكون بالنفي. أما في مصر أو المغرب فبالإيجاب. وقد نطرح سؤالاً ثانياً : أليس هناك متخصصون في المواضيع التي درجها الباحث ضمن تمهيد ؟ لا أنكر أهمية المواضيع المطروحة ولا أطعن في الطريقة المعكمة التي اتبّعها الباحث إلا أنني أرى أن بعضها على الأقل مثل «الوضعية العامة قبل ظهور المراطيين» (ص. 72 - 78) قد عُولجت في أبحاث منشورة ومعروفة، لكن هنا لا يمنع من التنويه ببعض الفصول ضمن الباب الأول مثل الفصل الأول حول العامل الاقتصادي (ص. 138 - 220) إذ عالج حسنة معاور طريقة مثل «وضعية الأرض» (ص. 139 - 148) و«الزراعة» (ص. 148 - 156) وأشكال الاستغلال الزراعي وعلاقات الإنتاج» (ص. 157 - 162) و«الصناعة» (ص. 163 - 169) و«التجارة» (ص. 169 - 184) و«الوضعية المالية» (ص. 184 - 190). ونجده في هذا الفصل معلومات اقتصادية طريقة مستندة من مصادر هامة تستعمل مثل هذا الهدف لأول مرة.

أما الباب الثاني من الأطروحة فقد تطرق فيه لبنيّة المجتمع المراطي وعالجه المواضيع التالية في فصوله المختلفة : الخريطة الإثنية والديموغرافية، وأهل الذمة، والبنا، الطبي، والتوكين القبلي في البوادي.

وقام الباحث بتصنیف العناصر الإثنية في المجتمع الأندلسي، وعدده خصوصية كلّ عنصر، ثم درس توزيعها الجغرافي. أما النصوص الباتية من هذا الباب فتعرض فيها لمجموعات مختلفة بل متناقضة في بعض الأحيان، وللملأ عذر، لأنّ فصول هذا الباب الثاني تمتاز بكونها تطرقت لمجموعات وشرائح وطبقات في المجتمع المراطي، إلا أنّ القارئ لا يخرج بتصرير واضح لوقف الباحث من البنية الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المراطيين على المستوى النظري. إنّ المشكل يتجلّي في تحديد النمط الاجتماعي أو التصور الاجتماعي الذي كان سائداً آنذاك. لقد قدم الباحث مجموعة هامة من المجموعات والشرائح الاجتماعية مما يعكس مدى تعدد المجتمع المراطي، ويتناول عن طبيعة التصور النظري للبنية الاجتماعية للمجتمع المراطي بعد اطلاعنا على هنا الباب هل كان قبلياً أو حضرياً أو شيئاً آخر ؟

أما الباب الثالث حول «مظاهر الحياة الاجتماعية» فهو الباب الذي يتسعجم شكلاً ومضموناً مع مرضوع الأطروحة العام حول «المجتمع الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المراطيين».

لقد قدم الباحث لنا نظرة طريفة وحية عن الحياة العائلية (الفصل الأول ص. 659 - 741) والعادات والمعتقدات الشعبية (ص. 742 - 837) والأولياء والمتصرفون (ص. 838 - 916) وختم هذا الفصل بنتائج البحث (ص. 917 - 936).

ومن الطريف في هذا الباب ربط الباحث الحركة الصرفية بالمجتمع المراطي، فكان تقديمه لهذه الحركة من وجهة نظر ستفتح - لا معالة - المجال للباحثين لمزيد البحث والتنقيب في هذا الموضوع.

ويصفه عامة يكن القول إن الأستاذ بورتشيش في أطروحته قد اختار موضوعا لم ينزل ما يستحقه من اهتمام الباحثين المغاربة وغيرهم : ففي المغرب نلاحظ غياب البحث في التاريخ المراطي غيابا واضحا. ويكتفى أن نتساءل عن عدد المتخصصين المغاربة في هذا المجال، وفي الشرق هناك تركيز على التاريخ السياسي اعتمادا على منهج سرد الأحداث بالدرجة الأولى، وعلى سبيل المثال يمكن أن نذكر كتابات الأستاذ محمد عبد الله عنان وسمدون عباس نصر الله. وإن كنا نجد في بحث د. أحمد حسن محمود ودراساته بعض الاستثناء، وفي إسبانيا نجد التركيز أيضا على التاريخ السياسي كأعمال بوش فيلا Bosch Vila وهو يشي ميرندا Hu- ici Miranda . أما في فرنسا فقد اهتم المؤرخ ف. لبارديير Lapardière . V. بجانب الاجتماعي للتاريخ المراطي.

ولقد عبر صاحب الأطروحة عن اهال الباحثين للجانب الاجتماعي في دراساتهم المعاصر المراطي قائلا (ص. ١) : « وعلى الرغم من مكانتهم (المراطيين) وشمس إنجازاتهم التي تركت بصمات واضحة في مسار التاريخ الحضاري، فإن فترة حكمهم لا تزال من أكثر حلقات تاريخ الغرب الإسلامي إبهاما وغموضا . »

كما يمكن أن نلاحظ أن هذه الأطروحة تتميز بقائمتها الوثائقية التي تعكس المعهود الجبار الذي يذله الباحث : لقد اعتمد الباحث على مجموعة هامة من المخطوطات المرتبطة بالتاريخ المراطي. ونظرني أهم المصادر الأولى لهذا التاريخ، بل لا أعتقد أن هناك دراسة أخرى في التاريخ المراطي تعداد الأطروحة التي تعي بصدق تقديمها من هذه الناحية . كما اعتمد صاحب هذه الأطروحة على عدد هام من المراجع التاريخية في التاريخ المراطي. ويمكن تلخيص أهمية الجانب التوثيقي في النقاط التالية :

- أ - أن القارئ يشعر باطلاع الباحث الواسع على مادة ثرية وجديدة.
- ب - لقد استغلَّ صاحب الأطروحة هذه المادة بطريقة منهجية معكمة.
- ج - استطاع الباحث من خلال ذلك أن يبرز الواقع الاجتماعي المراطي إلى حد بعيد. وبذلك يمكن أن نعتبر أنه نجح في توظيف المادة الغنية التي اعتمدتها.

كما تتميز أطروحة الأستاذ بورتشيش بطبعها الشمولي، فقد قدم لنا نظرة مشكاملة جغرافية وزمانيا و موضوعا، وفي ذلك ما يمكن اعتباره انتراضا لنشابة الحياة الاجتماعية في مجال جغرافي واسع يضم المغرب الأقصى والأندلس خلال عصر محمد هو عصر المراطيين. والأطروحة لمن أهملت خصوصية بعض المناطق اجتماعيا، فلقد أبرزت عناصر الوحدة في المنطقة

المدرسة على مستوى الحياة الاجتماعية.

ومن شأن هذه النّظرة الشمولية تكبّتا من ربط البعد الاجتماعي بأبعاد أخرى وعلى رأسها البعد السياسي لنفهم التطورات السياسية الرابطية العامة فهـا أعمق بعد دراستنا لإطارها الاجتماعي الشمولي. لقد كان ناسان لا غرديـر واعـبا بهذه العلاقة الاجتماعية - السياسية في دراسته لمعركة الزلاقة في محـيطها الاجتماعي منهـجاـ. أما الأطروحة التي تقدمـها فـيمكن اعتقادـها لفهم التطورات السياسية الرابطـة بعـض أكـثر. ومن شأن هـذا المنـظـرـ الشـمـوليـ كذلكـ للـحـيـاةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ خـلـالـ عـصـرـ المـراـبـطـينـ أنـ يـكـنـاـ منـ رـيـطـ العـصـرـ المـراـبـطـيـ بأـكـملـهـ بالـعـصـورـ السـابـقـةـ والـلاحـقةـ فيـ تـارـيـخـ الـفـرـقـ الإـسـلـامـيـ، وـسـهـلـ عـلـنـاـ درـاسـةـ عـصـرـ المـراـبـطـينـ فيـ محـيطـهـ العامـ : إـمـاـ بـرـيـطـهـ بـنـطـقـ الـبـحـرـ الـأـبـيـضـ الـمـوـسـطـ أوـ بـقـارـنـةـ الـحـيـاةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ فيـ الـمـغـرـبـ وـالـأـنـدـلـسـ الـحـيـاةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ فيـ الـشـرـقـ الـعـرـبـيـ أوـ فيـ مـاـنـاطـقـ أـخـرىـ منـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ.

إنـ الاختـيـارـ الشـمـوليـ لـدـرـاسـةـ الـحـيـاةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ فيـ الـمـغـرـبـ وـالـأـنـدـلـسـ خـلـالـ عـصـرـ المـراـبـطـينـ جـائزـ ماـ دـمـنـاـ عـلـىـ وـعـيـ بـأنـ الـدـرـاسـاتـ الـمـتـخـصـصـةـ فـيـ الـمـسـتـقـلـ سـوـفـ تـغـيـرـ عـدـدـاـ مـنـ الـاسـتـنـتـاجـاتـ الـتـيـ وـصـلـتـ إـلـيـهـاـ هـذـهـ الـأـطـرـوـحةـ. لـكـنـ يـكـنـ أـنـ نـعـتـبـ أـنـ هـذـاـ الطـابـعـ الشـمـوليـ أـدـىـ إـلـىـ التـعـمـيمـ فـيـ بـعـضـ الـحـالـاتـ : فـالـمـلـكـ تـطـرـقـ إـلـىـ شـرـائـعـ اـجـتـمـاعـيـةـ تـنـتـسـيـ إـلـىـ أـنـماـطـ فـيـ الـمـعـاشـ مـخـتـلـفةـ فـسـوـىـ بـيـنـهـاـ، حـتـىـ بـدـاـ لـنـاـ الـمـجـتـمـعـ الـمـغـرـبـيـ وـالـأـنـدـلـسـيـ مـجـسـمـاـ وـاحـدـاـ وـمـوـحـداـ. وـهـذـاـ لـنـ صـحـ مـنـ الـجـانـبـ الـسـيـاسـيـ فـهـنـاكـ فـرـقـ حـادـةـ مـنـ الـجـانـبـ الـاجـتـمـاعـيـ لـبـسـتـ فـقـطـ بـيـنـ الـجـمـتـمـعـ الـأـنـدـلـسـيـ وـالـمـغـرـبـيـ، بـلـ نـجـدـ ذـلـكـ دـاـخـلـ الـمـجـتـمـعـ الـمـغـرـبـيـ مـنـ مـنـطـقـةـ لـأـخـرىـ : بـيـنـ الـمـدـنـ وـالـبـرـادـيـ، بـيـنـ مـدـيـنـةـ رـأـخـرىـ (مـثـلاـ بـيـنـ سـيـنـةـ وـمـرـاـكـشـ) وـبـيـنـ مـنـطـقـةـ رـأـخـرىـ (مـثـلاـ بـيـنـ الـمـنـطـقـةـ الـشـمـالـيـةـ، وـالـصـحـراـءـ..)ـ فـهـنـاكـ اختـلـافـ بـيـنـهـاـ فـيـ الـلـهـجـاتـ وـقـيـ الـعـادـاتـ وـقـيـ الـمـرـاجـ وـقـيـ الـاـقـتصـادـ وـقـيـ الـقـافـةـ الـغـ..ـ

ولـنـ أـدـىـ هـذـاـ الطـابـعـ الشـمـوليـ فـيـ الدـرـاسـةـ إـلـىـ بـعـضـ الـجـوانـبـ السـلـبـيـةـ،ـ فـجـعـلـ التـصـمـيمـ الـعـامـ لـلـمـوـضـوعـ يـشـكـوـ مـنـ عـدـمـ الـعـواـزنـ فـيـ بـعـضـ الـأـبـوـابـ وـالـفـصـولـ وـأـبـرـزـ أـعـيـانـاـ طـفـيـانـ ذـاتـيـةـ الـبـاحـثـ فـيـ التـفـسـيرـ وـالتـأـوـيلـ عـلـىـ حـسـابـ الـوـاقـعـ الـتـارـيـخـيـ مـنـ جـهـةـ وـعـلـىـ حـسـابـ آـرـاءـ صـائـبةـ لـبـعـضـ الـمـؤـرـخـينـ الـمـعاـصـرـينـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ - فـإـنـ أـضـرـوـحةـ الـأـسـتـاذـ بوـتـشـيشـ ثـرـيـةـ مـنـ حـيـثـ الـمـادـةـ طـرـيـةـ مـنـ حـيـثـ الـمـوـضـوعـ،ـ مـحـكـةـ مـنـ حـيـثـ الـمـنهـجـ .

تقديم أطروحة الأستاذ على لغزيري

«مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة»

أبغز على لغزيري، أستاذ الأدب الأندلسي والنقد الأدبي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في النقد الأدبي تحت عنوان : (مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة)، وتقديم بأطروحته هذه إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد بنشريف، وناقشتها إلى جانب الأستاذ المشرف لجنة علية تتكون من الأستاذة :

- الدكتور أمجد الطرابلسي رئيسا.

- الدكتور عباس الجراي عضوا.

- الدكتور علال الغازي عضوا.

وحصل الباحث على دكتوراه الدولة في النقد الأدبي ببررة (حسن جدا). وهذا عرض موجز عن هذه الأطروحة :

إن طبيعة النصوص النقدية والبلاغية التي قامت عليها هذه الدراسة تختلف من حيث طبيعتها، فقد اصطحب بعضها بالطابع النظري، وأكتفى ببعضها الآخر طابعاً تطبيقياً، ولذلك جاءت صيغة عنوان الأطروحة جامعة بين الشترين مما ركذ ذلك هدفت الأطروحة إلى قراءة متعمقة فيما لم يدرس من نصوص، وقراءة جديدة غير مكررة فيما سبق دراسته من نصوص في القسمين : النظري والتطبيقي.

مركز تحقيق كلامي في علوم إسلامي

خطة الدراسة :

ويمكننا فتجاء التسم الأول خاصاً بالجانب النظري، وقام على دراسة نموذج واحد هو كتاب (منهاج البلغا، وسراج الأدباء) لخازم القرطاجي المتوفى سنة 684 هـ وهو في باب واحد عنوانه : منهاج التأثير : حازم القرطاجي نموذجاً، ويضم خمسة فصول، وذلك بعد التمهيد الذي حدد فيه الباحث بعض المفاهيم وأشار إلى العلاقات المفقودة في تاريخ النقد العربي، وأبرز علاقة النظرية الإقليمية بالرؤية التكاملية في الدرس الأدبي عاملاً، والدرس النقدي خاصة، ووضح ما بين النقد والبلاغة من علاقة عموم وخصوص، وما تعدد المنهج من دلالات في الدرس النقدي، كما تقدم عرضاً تفصيفياً للمصادر الرئيسية في الدراسة.

أما الفصل الأول فهو عبارة عن مدخل إلى النظرية الشعرية والمنهج النقدي عند حازم، وقد وضح فيه بعض المصطلحات التي تعتبر مفاتيح لهذا الباب مثل النظرية والمنهج، وما بينهما

من علاقة جدلية، كما تحدث عن تجربة حازم ودعائهما في مجال النقد، وعن تنبيهه على ضياع الشعر وتردي مستوي النقد، وفادي الأذواق في عهده، وسعيه إلى إصلاح حالهما من خلال ما تقدمه من آراء وتوجهات، وكان لابد أن يصوغ نظرته في الشعر حباغة متميزة عن سابقه، ويعرضها في منهج مناسب، وكل ذلك لا يمكن إبرازه إلا بعد قرارات متنائية وجهود متواصلة لكشف ما خفي، وجمع ما تفرق، وضم الأشباء والنظائر إلى ما يائتها.

وإما أنَّ الباحث توخي بناءً هنا الباب بناءً متنامياً، فقد كان من اللازم أن يخصص الفصل الثاني لعنصر هامٍ من عناصر النظرية الشعرية لدى حازم ومنهجه في تناوله، وهو مفهوم الشعر من حيث بنته ووظيفته، ومن حيث علاقته بأجناس أدبية أخرى.

وهكذا فبعد أن عرض تصور حازم لما ليس شمراً في نظرة، وإن كان موزوناً متفقاً، وضع مفهومه للشعر من حيث بنته، عِيزاً بين العناصر الم gioهرة المتمثلة في المعاكاة والتخييل أساساً، شارحاً مفهوم كلّ منهج ومبرزاً أصولهما المرجعية، وعلاقتهما بالعناصر الأخرى، وبين العناصر الشكلية المتمثلة في الوزن والقافية، متوجهاً إبراز منهج حازم وتحديد موقفه من بعض المشكلات النقدية، مثل اللُّنْطَ، والمعنى في مستوىاته المختلفة وعلاقته بالصورة، والمصدق والكذب ... وكيف استطاع أخس في كثير منها، وفي مقدمتها قضية الصدق والكذب التي تفرد بهجه في معالجتها علاجاً يقوم على دفع الكذب عن الشعر وتخليصه من هذه الشبهة. وهو يتجاوز مبدأ الصدق والكذب في النظر إلى الشعر ليركز على التخييل والمعاكاة، ولكنه يؤثر الصدق على غيره، ويقرر أن الشعر لا ينظر إليه من حيث هو صدق أو كذب، بل من حيث هو تخيل، وهو يبني رؤيته الشعرية في هذا المجال على الأسس والمعايير الفنية، وعلى طبيعة العملية الإبداعية بالدرجة الأولى.

ويقوم منهج حازم في تحديد مفهوم الشعر من حيث وظيفته على التمييز بين وظيفتين للشعر هما : الوظيفة النسبية لصالحة التي تحدده المتعة لدى المتلقى، وتجعله يتعارب مع الشاعر المبدع من خلال التصيدة، ثم الوظيفة الاجتماعية للشعر، لأنَّه يعتبر الشاعر صاحب رسالة اجتماعية، وهو يرفض الوظيفة النفعية للشعر لأنَّها من أسباب هوانه. وهكذا فهو يلُع على الوظيفة النسبية للشعر وما يرتبط به من رؤية تبزية، مزكداً أن النّفوس الكريمة تعتقد في الشعر أنه حكم وأنَّه غريم يدفع تلك النّفوس الكريمة إلى الاستجابة لانتصاراتها بما يحدها فيها من هزة الارتياح لحسن المعاكاة (منهج : 121 - 122).

ولكي يكتمل مفهوم الشعر عند حازم بحث الأستاذ لغزيري عن منهجه في تحديد أغراض الشعر، فوجده يرفض تحديدات السابقين، لينتهي إلى تقديم البديل الذي يقوم على تصور واضح لما ينبغي أن تقوم عليه القسمة الصحيحة للشعر من حيث أغراضه، فهو يراعي القصد منها فيبينز بين أمثلات الأغراض وتوابعها أو ما يسميه الأغراض أو الأجناس الأول، يعني بها تلك الباعثة على قول الشعر، كالارتياح، والاكتئاب، وما ترکب منها، وبين الأغراض أو الأجناس الشوائي، وهي تدخل تحت الأجناس السابقة وتتفرع عنها، كالاستغراب، والرضى،

والغضب، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك.

وإذا كان حازم لا يضفي غرضاً جديداً في هذا المجال، فإن الجديد عنده يتتمثل في منهجه القائم على ذلك الأساس الفلسفى والنفسى الذى تتوارد عنه أغراض الشعر، دون أن يضفى عليه طابعاً تجربيدياً خالصاً كعادته، بل يربطه بحياة الأمة في واقعها وأحوالها النفسية والاجتماعية.

ويعد حازم موازنة لطبيعة بين الشعر والخطابة من حيث طبيعة كل منهما، يقدم فيها نظرية رائدة في دراسة الأجناس الأدبية في النقد العربي، وهو وإن لم يسبب في دراسة الخطابة، لأن عنایته كانت منصرفة إلى الشعر بالدرجة الأولى، فإنه قد سعى إلى تقديم قانون كلٍّ - عامٍ لما أسماه : علم البلاغة، باعتباره أصلاً مشتملاً على صنعتي الشعر والخطابة، وخلال ذلك حدد أوجه الاختلاف ومظاهر التداخل بين الجنسين، حتى لا يتحول الشعر إلى خطابة، أو الخطابة إلى شعر، وإن كان بالإمكان الحديث عن خطابية الشعر حين يعتمد شيئاً من الإيقاع الذي يعدد عيادة الخطابة، وعن شعرية الخطابة حين تعتمد شيئاً من التخييل وهو جوهر الشعر وعيادته، ومعياره في ذلك هو معيار الأصل أو التبعية، فالتخييل أصل في الشعر، دخيل أو تابع في الخطابة، والإيقاع أصل في الخطابة، دخيل أو تابع في الشعر.

ولا يكتفى بالتصورات النظرية، بل يقدم بعض الأمثلة والشراهد التي يؤكّد من خلالها ما يعتبره صورة مُثلىًّا لأسلوب المراوحة بين التخييل والإيقاع في الشعر، في الحدود التي رسمها، فبعد أبي الطيب المتنبي خبرَ من يجيد ذلك الأسلوب، ويدعو إلى الاتساع به واتباع مسلكه، لأنَّه يضع المحنكات من المغيبات أحسنَ موضع، ويستعمل الفصل بها أحسنَ تسمة.

ويظهر من هذا الفصل أنَّ حازماً قد قدم لنا نظرية راقية في الشعرية العربية سراً، أكان ذلك في مجال استعمال المصطلح بالمعنى الذي يراد منه اليوم أم في مجال البحث والدرس والتنظير، ويمكن القول : إن رؤيته في الشعرية العربية تكتسي كثيراً من طرائع الحداثة.

ويأتي الفصل الثالث خاصاً بمنهج بناء القصيدة في نظر حازم، وفيه حدد الباحث مفهوم البناء، أولاً، ثم ميز بين منهجه في الحديث عن البناء، الفني أو الداخلي للقصيدة، أو تصوره للعملية الإبداعية عند الشاعر، وبين حديثه عن البناء الخارجي.

وقد تبنى حازم في النوع الأول من البناء، منهج عدد من النقاد القائمين بحضوره بناءً القصيدة لمجرعة من المراحل، مثل ابن طباطبا العلوي، وأبي هلال العسكري وغيرهما، غير أنَّ حازماً يتميّز بمنهجه القائم على إرجاع كل مرحلة إلى قوة تحكم فيها، ومن أهم مباحث هذا القسم ما يتعلق بذهب حازم في بناء القصيدة باعتبار القافية، وهو يعني المذهب القائل بناءً، البيت بأسره على القافية.

وأما البناء، الخارجي أو الهيكلي فينظر فيه حازم إلى القصيدة البسيطة والقصيدة المركبة، وكما يتحدث عن المطالع والمقطاع والتخلص، فهو يرى أن القصيدة تقوم على فصول،

تراعي فيها مجموعة من القوانيين، وترتبط بمجموعة من المبادئ، في مقدمتها : **التناسب**، والاعتدال، والوحدة الفنية، كما يشير إلى وجوب تحسين فضول القصائد، مستعملاً مجموعة من المصطلحات المستمدّة من عالم الخيال مثل : التسويم، وهو خاص برؤوس الفضول، والتعجيل، وهو خاص بمقاطعها، وينتهي هذا القسم باستعراض مجموعة من النماذج التطبيقية يختارها حازم من الشعر القديم والمحدث.

ويشتمل الفصل الرابع مكانة هامة بين فصول هذا الباب، من حيث الحجم ومن حيث القيمة، وقد حاول الأستاذ لفزيوي فيه أن يُبرّز جوهر النظرية وعِمَاد المنهج النقدي عند حازم، وهو ما يسميه : **التناسب** الذي غدا قانوناً في رؤيته النقدية كما أنه يجمع بين الجوانب النظرية والجانب التطبيقي ولذلك جاء عنوان هذا الفصل على النحو التالي : **قانون التناسب ومستويات تحليل النص الشعري**، ويقوم على مجموعة من المباحث أهمها :

- تحديد مفهوم مصطلح التناسب.

- مجالات التناسب ومظاهره عند حازم، وتتمثل في بناءات الشعر وعناصره، جميعها، فقد درس الباحث التناسب في الحروف، والألفاظ، والعبارات، والمعاني، كما درس التناسب بين المصراعين، والتناسب في أغراض القصيدة وفضولها، والتناسب في الأوزان والقوافي، ودور التأثير في تحفته، والتناسب بين الفرض والوزن، والتناسب في النظم والأسلوب، وخاتم هذا الفصل بنموذج تطبيقي حلّ فيه حازم بائدة أبي الطيب المتنبي في مدح كافور ومطلعها :

أغالب فيك الشرق والشّرق أغلب رأعجـب من ذـا الـهـجـرـ والـوـصـلـ أـعـجـب

ويمكن القول : إن هنا النموذج التطبيقي يصحّ كثيرة من الأحكام التي أصدرها عدد من الدارسين المحدثين على تقدّمها للقديم واتّهاؤهم بالتجزئي والاكتفاء، بالبيت أو الآيات المعدودة دون النظر إلى القصيدة باعتبارها وحدة، لأنّ حازمًا ينظر إلى هذه القصيدة نظرة تسمّر بالشمول، ويبحث فيها عن الوحدة، ممثلة في الوحدة الفنية أولاً، وهي وحدة النسق، ثم في ما يمكن تسميته بالوحدة العضوية حسب الاصطلاح الحديث، وإن رأى بعضهم أنها أقرب إلى الوحدة المنطقية، فيبعد أن حلّ القصيدة المذكورة حسب المنهج الذي حددناه في هذا الفصل، انتهي إلى الحكم الآتي الذي يقول فيه عن أبي الطيب :

«فاطر لـهـ الـكـلامـ فيـ جـمـيعـ ذـلـكـ أـحـسـ اـطـرـادـ، وـانتـقلـ فيـ جـمـيعـ ذـلـكـ منـ الشـيـ، إـلـىـ ماـ يـنـاسـهـ، إـلـىـ مـاهـرـ مـنـ هـيـبـ، وـيـجـمـعـهـ رـايـاهـ غـرـضـ، فـكـانـ الـكـلامـ بـذـلـكـ مـرـتبـاـ أـحـسـ تـرـتـيبـ، وـمـفـصـلـ أـحـسـ تـفـصـيلـ، وـمـرـضـوـعـاـ بـعـضـهـ مـنـ بـعـضـ أـحـكـمـ وـضـعـ» (منهاج : 299).

وكما اكتسح الفصل الأول من هذا الباب صبغة تمهيدية، فقد جاء، الفصل الخامس والأخير، ذات صبغة ختامية إذ بحث فيه الأستاذ لفزيوي عن أهم مقومات المنهج النقدي لدى حازم، وناقش آراء مجموعة من الدارسين في هذا المجال.

ويعده هذا التسمى النظري، يأتي الفهم التطبيقي، ويتدىء :
باباً الثاني : وهو دراسة في مناهج الاختبارات الشعرية وعمادها الذرق الفني. وجاء،
في أربعة فصول تمثل أهم النماذج التي أمكن الوقوف عليها في القرنين السابع والثامن :

- الفصل الأول : وهو ذو طبيعة تمهيدية، وعنوانه : الاختبارات وصلتها بالندق.

- الفصل الثاني : درس فيه الشعر المطرب عند ابن دحبة، مع البحث في المعايير
والأسس المنهجية للاختبار، ومدى أصالته أو اتباعه، ورصد معالم منهجه في الدفاع عن المقاربة
والأندلسين وإبراز فضلهم من خلال المقارنات والمناظرات الجزئية.

- الفصل الثالث : تناول فيه المرقض عند ابن سعيد، مع رصد الأسس المنهجية
ومستويات الشعر وروابط الاختبار، وهو استمرار لل موقف الدفاعي عن المغرب بغيره الكبير،
وضئنه الأندلس بطبيعة الحال.

- الفصل الرابع : خاص بالشعر - السحر عند لسان الدين ابن الخطيب، مع تحديد
مفهوم الشعر ومستوياته، وعلاقة ذلك كله بالمصطلح التقديي عنده، والبحث في علاقة النظرية
بالتطبيق في منهجه التقديي في اختباراته.

بينما جاء الباب الثالث الذي يكتسي صبغة تطبيقية أيضاً تحت عنوان : المنهج البلاغي،
وهو في ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : ذو صبغة تمهيدية، وعنوانه : المذاهب البلاغية ومناهجها بين الشرق
والمغرب، وهو عبارة عن رصد لأهم المذاهب البلاغية بالمجاهاة بين البيانية والبدعية بين الشرق
والمغرب، مع عرض لأراء الدارسين ومناقشته وتعديل لما يحتاج إلى تعديل منها، والتعرف بأبرز
النماذج التي تمثل المذهبين البارزين وهما المذهب البياني والمذهب البدعي، ورصد منهج كلٍّ
منهما، تمهيداً لدراسة بعض النماذج الأكثر بروزًا في المفصلين اللذين يلي

- الفصل الثاني : دراسة في كتاب التنبهات على ما في التبيان من التنبهات ومنهجه
لأبي المطرف أحمد بن عميرة.

- الفصل الثالث : دراسة في كتاب المubar في نقد الأشعار ومنهجه جمال الدين محمد
ابن أحمد الأندلسي.

وجاءت الخاتمة تلخيصاً لأبرز نتائج الدراسة وتحديداً لقيمتها.

كما ذيلت الدراسة بنصوص مختارة من مصادر تقديرية وبلاغية مخطوططة لم يسبق نشرها.

أهمية المصطلح في هذه الدراسة :

وكما أمكن رصد مختلف المناهج التي خضع لها الخطاب النقدي والبلاغي في الأندلس، فقد أمكن أيضا توجيه عناية خاصة للمصطلح النقدي - البلاغي. ولم يقت الباحث الوقوف عند المصطلحات النقدية الكبرى تعريفاً ودراسة، في سياقها العام، باعتبار أن المصطلح هو عادة الخطاب النقدي والبلاغي، ومنتاح النص، ولاسيما بعد أن تبين له أن هناك وعيًا كبيراً وعميقاً بأهمية المصطلح عند النقاد والبلغيين الأندلسيين الذين درس مصنفاته، ويتمثل ذلك الوعي في حضور المصطلح حضوراً مكثفاً. إما بالاستعمال المجرد، وإما بالاستعمال والتعرف معاً، مع تصحيح المفاهيم، وربط المصطلح بالشاهد في الغالب. وبين بعضهم مصنفاته على مصطلحات محددة كالمطلب عند ابن دحبة، والمرقص والمطلب، والهزار من المرقص عند ابن سعيد، والسمير والشعر عند ابن الخطيب ...

المصادر والمراجع :

وأما المصادر التي قام عليها بنا، هذه الدراسة فقد عرضها الأستاذ لغزيري في التمهيد مميزاً بين المخطوط والمطبوع منها، كما عرض في المقدمة نماذج من جهود الدارسين في هذا المجال، مركزاً منها على ما يكتسي طابعاً عاماً، ليكون متناسباً مع طبيعة هذه الدراسة، غير غافل عما انتصر على علم واحد من أعلام النقد في الأندلس، وقد تبين له أن أباً من تلك الدراسات التي أنجزت عن النقد في الأندلس كلها أو جزئياً، مما أمكن الوقوف عليه، لم تخض في الموضوع بالمنهج الذي اعتمد، ولا نظرت إليه من الزيارة التي نظر منها إليه. ولكن الجهد الذي استطاع الورتف عليها قد وجدت مكانها في رسالتة، وحصلت الاستفادة المناسبة منها مع الإحالـة عليها، ومناقشة ما يستحق المناقشة بموضوعية ونزاهة.

وإذا كانت قرارات صاحب الدراسة متعددة، فإن ما وقعت الإحالـة عليه في قائمة المصادر والمراجع ينـاـزـرـ المـائـيـنـ بـمـخـطـوـطـ وـمـطـبـوعـ، قـدـيمـ وـحـدـيثـ

المنهج وطبيعته :

أعتقد أن منهج الدراسة وطبيعته مرتبطة بطبعـة الموضوع نفسه. فمن أجل تحقيق الأهداف الكبرى من أي دراسة ينبغي اختيار منهج مناسب يتبع إبراز جوهر الموضوع، وقد آثر الباحث أن يتعامل مع كل نص نقدي أو بلاغي على حدة، بطريقة مباشرة من أجل السيطرة على مادته واستقلالها استقلالاً أحـسـنـ، وهو ما لا تتحققـهـ الـدـرـاسـةـ التـرـكـيـبـيـةـ الآـنـ علىـ الأـتـلـ،ـ لـأـنـهـ تـمـ عـلـىـ حـابـ العـقـلـ وـالـاسـتـقـاصـ،ـ وـقـدـ تـهـمـلـ نـصـوصـ وـتـرـكـ عـلـىـ أـخـرـىـ،ـ فـيـنـيـ الفـرـاغـ قـائـماـ،ـ وـتـظـلـ الـحـلـقـاتـ مـفـرـودـةـ،ـ وـلـاـ يـكـنـ أـنـ تـلـجـأـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـنهـجـ فـيـ الـدـرـاسـةـ إـلـاـ بـعـدـ الفـرـاغـ مـنـ الـتـعـرـيفـ بـالـنـصـوصـ وـإـبـراـزـهـ وـدـرـاسـتـهـ دـرـاسـةـ تـحـلـيلـيـةـ وـافـيـةـ بـطـرـيـقـةـ مـبـاشـرـةـ،ـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ الـمـنهـجـ الـشـارـيـهـ إـلـيـهـ آـنـاـ،ـ وـبـعـدـ تـحـقـيقـ الـتـرـاكـيمـ الـمـطـلـوبـ.

وهـكـنـاـ فـيـ الـمـنهـجـ الـذـيـ اـتـيـعـ فـيـ هـذـاـ الـأـطـرـوـحةـ هـوـ الـمـنهـجـ الـأـصـفـيـ بـالـدـرـجـةـ الـأـولـىـ،ـ باـعـتـبـارـ أـنـهـ هـوـ الـمـنـطـقـ فـيـ تـأـسـيـسـ أـيـ عـلـمـ،ـ وـالـرـحـلـةـ الـلـازـمـةـ الـتـيـ لـاـ تـلـفـيـهـاـ الـرـاحـلـ الـلـاحـقـةـ أـوـ تـجـاـزـهـاـ،ـ

بل تحافظ عليها وتستثمرها، مادام هنا المنهج يسعى إلى تأسيس المرحلة الوصفية تأسياً سليماً، ويعي الخطوات الإجرائية، ويدرك الحدود التي يتحرك فيها، والأهداف التي يتوجهها، وفي مقدمتها تحقيق التراكم الكمي والمعرفي، تمهدًا لمراحل أخرى لاحقة.

غير أن الوصف هنا ليس محايداً دائماً، أو عرضاً مجرداً، بل هو يقوم على التحليل والفهم والاستنباط والتصنيف بما يرتبط بهذه العمليات من جهود، ولكنه لا يقف عند هذه الحدود، بل يضفي إلية شيء من المناقشة والتعليق والنقد والتقويم، لأن الدارس لا يمكنه أن يقبل كل الآراء والأحكام، ويعتبرها مسلمات غير قابلة للأخذ والرد، ولم يقف الباحث عند تقويم بعض الآراء، ومناقشتها فحسب، بل سعى أحياناً إلى تقويم روايات بعض الشواهد وتراثتها دون أن يتجاوز حدود الدراسة إلى مجال التحقيق، فأشار إلى اختلاف الرواية أحياناً، وضبط بالشكل ما بدا مشكلاً، وشرح الأنماط الفاسدة، وعرف بالأعلام المفترضين بإنجاز.

وبالإضافة إلى ذلك فقد استعمل بالموازنة باعتبارها منهجاً عملياً، يحول دون حصر الدراسة في إطارها المحلي الضيق، بل يربط مباحثها وقضاياها بما يحيط بها أو يخالفها في المشرق.

وقد أتاح هذا المنهج بمختلف رواده، أن تتجذب الدراسة الخروج في المسائل التاريخية التي يمكن أن تنقل بعض مباحثها إلا فيما ندر، ولضرورة ملحة.

الأهداف والتتابع :

لقد قصد الأستاذ لغزيري بإنجاز هذه الدراسة أن يسهم بجهد متواضع في بلورة صورة النقد الأدبي في الأندلس، خلال هذه المرحلة الزمنية الخامسة (أعني القرنين السابع والثامن للهجرة) بعد أن ظلت تلك الصورة باهتة في الأذهان.

فإذا كان عدد من المحدثين، من المشارقة خاصة، قد اعتبروا أدب الأندلس ونقدها تابعين لمثلهما في المشرق، فإن باحثين آخرين من المشرق أيضاً قد ترهوا بأهمية الدور الذي اضطاعت به الأندلس في النقد خاصة، وفي مستهلهم الدكتور إحسان عباس الذي أرّخ لبروز هذا الدور بالقرن السادس الهجري وما يليه، حين انحر دور النقد في المشرق، وغلب عليه الإغراء في الاهتمام بالسائل البلاغية والشكليّة . إحساناً وتفريراً، فأخاله إلى تصرص جافة تفتقر إلى الذوق والخيالية. غير أن هذا الدور لم يكشف بعد بما فيه الكفاية، بل إن القرن 14/8، لم ينزل شيئاً من الاهتمام.

وبالإضافة إلى محاولة إبراز هذا الدور فقد سعت هذه الدراسة إلى بعث بعض الحلقات المفقودة في نقدنا العربي، سوا، أتعلّق الأمر بدراسة نصوص مخطوطه لم تسبق دراستها، ولا سيما في القسم الثاني. أم بقراءة جديدة لنصوص متداولة، ولكنها لم تُوفّ حقها بعد.

ومن المعلوم أننا لا نستطيع كتابة تاريخ صحيح لنقدنا العربي، ولا البحث في نظرتنا النقدية ومناهجها إلا بتدارك الفراغ الكبير في الممارسة النقدية عبر العصور، في مختلف البيئات

العربية، لتشكل من الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي لا تزال في حاجة إلى بحث وتحقيق، من أجل وصل الماضي بالحاضر، لأن دراسة التراث ليست مقصودة لذاتها، منها كانت القراءة ملخصة في التراثية، وإنما لا يقطع المحبل بين الماضي والحاضر، وإنعدمت الصلة بين الأصالة والمعاصرة.

ولعل أخطر ما شكله اليوم هو القطيعة بين الحاضر والماضي في مجال النقد ولربما في غيره أيضاً، علماً بأنه ليس من الضروري أن تتولى كل دراسة عملية الربط مباشرة، وإنما يكتفي بها أن تحسن تهيئها، المادة تهيئها مناسباً، ليتولى آخرون عملية الربط، ولكل جبل واجبه في هذا المجال وفي غيره.



الأندلس في شهادة الكفاءة للبحث العلمي بكلية الأداب - تونس
(القسم السابع)

بكلم ذ: جمعة شيبة

البحث عدد 41

الباحث : محمد الهادي بن سعيد

الموضوع : تحقيق ودراسة لمشكلة المياه في المغرب والأندلس في العهد الوسيط من خلال النوازل المتعلقة بسائل المياه والمرافق الواردة في كتاب المعبار للونشريسي.

الأستاذ المشرف : محمد الطالبي

التاريخ : 1977

رتبه : 2413

محتوى البحث

بدأ الباحث عمله بالترجمة لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي التلمساني الونشريسي المولود بتلمسان 834/1430 المتوفى 914/1508 .
نُمْ عَرَفَ بِكِتَابِ «الْمَعْبَارُ الْمَغْرِبُ وَالْجَامِعُ الْمَعْرِبُ عَنْ فَتاوِيِّ عَلِمَاءِ إفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ» الَّذِي رَضَعَهُ مِنْ لَفْهَةِ سَنَةِ 901/1495 .

ثُمَّ قَدَّمَ الْبَحْرَ، الْمَحْقَنَ : الْمَعْلَقَ بِسائلِ المَيَاهِ وَالْمَرَاقِفِ . وَقَدْ اعْتَدَ فِي تَحْقِيقِهِ عَلَى نَسْخَةٍ مَحْفَوظَةٍ بِالْمَكْتَبَةِ الْوَطَنِيَّةِ بِتَرْنَسِ تَحْتَ الْأَرْقَامِ الْكَالِيَّةِ 18351 : وَهِيَ أَقْدَمُ نَسْخَةٍ لِلْمَعْبَارِ كَتَبَتْ سَنَةَ 1107/1695 . 18164، 12222، 12216، 6850 . كَمَا اعْتَدَ عَلَى الطَّبِيعَةِ

الحجرية (ط فاس)٪

مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كَامِپُوْرِ عِلُومِ إِسْلَامِيِّ

البحث عدد 42

الباحث : الخبيب عباد

الموضوع : مذاهب الشريعة في كتاب "المرافقات" للشاطبي (ت 790)

الأستاذ المشرف : عبد المجيد الشرفي

التاريخ : 1987

رتبه : 3750

محتوى البحث

إن اختبار الباحث للشاطبي هو اختبار للعظة حاسمة في تاريخ هذا العلم تجلّت خطة الإبداع والطراوة في التفكير الأصولي الذي انطلق مع الشافعى ت 204/819 . واختباره لكتاب المرافقات هو اختبار لأشهر أثر اترن اسم الشاطبي به .

وعلى هنا الأساس حرص الباحث على الكشف عن البعد الإبداعي واستجلاء ملامع التجديد والابتكار في تفكير الشاطبي، وسعى إلى المقارنة بين التفكير الأصولي الكلاسيكي الذي يمثل الشافعي منطلقه وأسسه النظري والتفكير المقاصدي الذي يصدر عنه الشاطبي.

وتقسم بحثه إلى ثلاث مراحل :

- 1) المرحلة الأولى : مرحلة تحليلية : حاول فيها استكشاف الأساس النظري الذي يصدر عنه الشاطبي في بحثه في مقاصد الشريعة.
- 2) المرحلة الثانية : بسط فيها منهجة الشاطبي في الكشف عن مقاصد الشريعة وعرف بالمقاصد حسب أنواعها الكبرى وأقسامها الفرعية.
- 3) المرحلة الثالثة : أجرى فيها ثلاثة مقارنات تنبنيمة : المقارنة الأولى أسلوبية والثانية فلسفية والثالثة تاريخية /

البحث عدد 43

الباحث : عبد المنعم إدرس

الموضوع : فكر المقاصد عند الشاطبي من خلال كتاب الموانقات

الأستاذ المشرف : الحبيب النقلي

التاريخ : 1988

رقمه : 4010

مركز توثيق ودراسة كتب متحورة بالبحث

بدأ الباحث دراسته بالحديث عن إشكالية التطهير والثبات، وكيف عبر عنها الشاطبي نفسه، ثم خصص عنصرًا لتوسيع ظروف نشأة فكر مقاصد الشريعة. وبعد ذلك تعرّض لمنهجية الشاطبي في معرفة مقاصد الشريعة. ثم ذكر بالتفصيل أنواع المقاصد التي ذكرها الشاطبي، وختم بعنه باستخلاصات عامة.

ومن خلال هذا البحث نلاحظ أنَّ نكر مقاصد الشريعة عند الشاطبي هو رعي بالنظر والثبات، رعي بخطورة الورق عند ظاهر النصوص، وعي بفساد تعامل معاصريه مع الشريعة وخطورة هذا التعامل على تقدم المجتمع وتطوره.

وهذا الوعي المتبلور لدى الشاطبي صادر أساساً عن ظروف عصيه. وفك المقاصد ما هو إلا حوار أو تفاعل مزدوج مع الواقع من جهة ومع نصوص الشريعة من جهة أخرى /

البحث عدد 44

الباحث : فاضل الجمالي

الموضوع : رحلة ابن جبیر بين الوصف والتعليق

الأستاذ المشرف : حسن الصادق الأسود

التاريخ : 1988

رقم : 3957

محتوى البحث

موضوع هذه الدراسة ذو طبيعة حضارية يتناول الحياة بمختلف مظاهرها وملابساتها سوا، أكان ذلك على المستوى الروحي أو على المستوى المادي. وهو ما جعل الباحث يتبع منهجا معينا يرمي إلى جمع ما جاء به ابن جبير في رحلته من معلومات وتبينها وإخراجها في عناصر متباينة بعضها عن بعض.

لهذا السبب جعل الناشر بحثه في ستة عناصر: أولها عنصر الطريق وملابساتها وناتجها عنصر المدن والعمارة وثالثها عنصر الساسة والسياسة، ورابعها عنصر الصور الاجتماعية للجماعات الموصوفة في الرحلة وخامسها عنصر المطبات الاقتصادية ثم آخرها عنصر الفئات القارة وغير القارة للوصف.

البحث عدد 45

الباحث : الأزهري برعنوني

الموضوع : تحقيق ودراسة باب البيوع من كتاب "منتخب الأحكام" لابن أبي زمین.

الأستاذ المشرف : محمد حسن.

التاريخ : 1990

رقم : 4321



محتوى البحث

بدأ الباحث بالترجمة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم المري المعروف بابن أبي زمین (ولد بآلبيرة سنة 314/936 وتوفي بها 399/1009). كما عرف بكتابه "منتخب الأحكام" وهو كتاب في الفتاوى على المذهب المالكي.

وقد اعتمد الباحث في تحقيقه لقسم البيوع من كتاب "منتخب الأحكام" على أربع نسخ ترجم بالكتبة الوطنية بتونس، وتحمل الأرقام التالية : 132, 5952, 4863, 5919. وجعل هذه النسخة الأخيرة أصلًا. ويتقدّم النص المحقق فيها من 97 إلى 115 ظ.

2) Du niveau des ressources consacrées à la promotion du progrès technique.

Les données disponibles * nous révèlent des différences troublantes entre les pays de la rive Nord et les pays de la rive Sud de la "Mare Nostrum". A cet égard, les données sur l'Enseignement Supérieur dans les différents pays méditerranéens sont bien révélatrices.

L'enseignement supérieur est à l'évidence une des grandes matrices du progrès technique dans tout pays - quelque soit son niveau de développement -. Là aussi, ce n'est pas le "quantum" qui importe mais la qualité. En consacrant en moyenne 24,32 % de leurs dépenses publiques à l'Enseignement Supérieur, les pays du Sud méditerranéen n'ont réussi à scolariser que 15 % de leurs jeunes en âge de fréquenter les institutions de l'Enseignement Supérieur. Alors qu'avec 12,5 % seulement de leurs dépenses publiques affectées à l'Enseignement Supérieur, les pays développés de la Méditerranée ont réussi à scolariser près du tiers de leurs jeunes en âge de fréquenter les institutions de l'Enseignement Supérieur. D'autres chiffres sont intéressants à citer ici. Par exemple, pour illustrer l'efficacité de l'Enseignement Supérieur, examinons les données relatives aux Diplômés de l'enseignement supérieur. En pourcentage des classes d'âge correspondantes, les Diplômés du Supérieur représentent en moyenne 7,13 % en France, en Italie et en Espagne contre 2,69 % en Méditerranée orientale.

En pourcentage de Diplômés du Supérieur, les Diplômés en Sciences dans les 3 pays développés de la "Mare Nostrum" représentent 38,33 % contre 35 % en Méditerranée arabe et 34 % en Turquie. L'équivalence de ces derniers chiffres ne doit pas masquer les différences de qualité et de rendement.

C.2. L'aptitude à assimiler les techniques utilisées

L'aptitude à assimiler les techniques utilisées dépend dans une large mesure de la densité et de la qualité de la population des scientifiques et de techniciens qui opèrent dans un pays donné. A ce propos, il est important de noter que sur 1000 personnes la France, l'Italie et l'Espagne comptent en moyenne 67 scientifiques et techniciens comparés à 17 en Méditerranée orientale et seulement 5,5 en Méditerranée arabe.

Un scientifique ou un technicien est une personne physique plus une logistique, c'est-à-dire des moyens publics et privés : des instituts, des laboratoires, des équipements de recherche, d'analyse et d'application. A cet égard, l'inventaire des moyens disponibles aujourd'hui dans les pays arabo-méditerranéens * illustre bien la misère de la recherche fondamentale et appliquée en Méditerranée arabe. Que donc les technologies utilisées dans cette partie-là de la "Mare Nostrum" soient restées exclusivement ou presque de type importé, donc au mieux superficiellement assimilées ; que la créativité technologique interne y soit très limitée, voilà une conséquence logique du retard scientifique pris par l'ensemble des pays du Sud méditerranéen en comparaison de leurs homologues du Nord.

(à suivre)

* Voir Rapport sur le développement Humain. O.N.U. 1992

* Voir dans notre ouvrage précité le chapitre consacré aux enjeux technologiques.

que les épargnes nationales ont baissé, les apports nets de capitaux étrangers diminué et les systèmes bancaires et financiers insuffisamment évolué.

Les gains de productivité - quand ils existent - ont été modestes parce que les équipements productifs étaient restés vétustes, les processus productifs avaient peu évolué, les rendements des travailleurs n'avaient pas marqué de progrès notable, le "management" n'avait pas su suffisamment se moderniser, les dépenses en formation professionnelle et en recherche n'avaient pas répondu aux besoins de création et d'innovation.

L'arbitrage entre l'économie publique (intervention de l'Etat) et l'économie privée (secteur privé) n'a pas toujours été heureux non plus. Un interventionnisme étatique, lourd et diffus a continué de coexister avec une économie privée, souvent mal dérégulée. Comme si l'abolition confuse des lois, des règlements et des contrôles suffisait à elle seule à instaurer une vraie économie libérale, c'est-à-dire une économie où les libertés servent à renforcer l'efficience économique nationale (c'est-à-dire à l'échelle de toute la nation et non pas à l'échelle du seul secteur privé), la compétitivité interne et internationale et aussi la capacité des pays concernés à créer davantage d'emplois et de sources de revenus.

Dans le monde arabo-méditerranéen en particulier, la libération économique s'est le plus souvent limitée à une dérégulation précipitée et incohérente et n'a pas réussi jusqu'à présent à restructurer l'économie dans les sens indiqués plus haut.

C) Au niveau de la dimension technologique enfin, l'éclatement méditerranéen est plus profond encore

L'état de la technologie dans un pays donné et à un moment donné recèle 2 choses essentielles :

- le degré d'ouverture sur le progrès technique;
- l'aptitude à assimiler les techniques utilisées.

C.1. Le degré d'ouverture sur le progrès technique

Le degré d'ouverture sur le progrès technique dépend :

1) des choix de développement. Un développement moderne qui parie sur l'utilisation efficiente des ressources, sur la compétitivité et sur l'ouverture sur l'étranger, est nécessairement orienté vers le progrès technique permanent. Un développement dit "auto-centré" qui rejette les risques de l'ouverture sur le monde extérieur et les contraintes de la compétitivité à l'échelle nationale et à l'échelle internationale ne peut pas être tourné vers le progrès technique. A cet égard, on peut dire qu'à la différence de leurs homologues du Nord, les économies du Sud méditerranéen - et singulièrement celles de l'Arabie méditerranéenne - sont encore en mal de modernisation, en mal d'efficience, en mal de compétitivité et en mal d'ouverture sur l'étranger. Nous disons bien "en mal" parce que ce qui est en cause, c'est moins la masse (importante) que la qualité des réformes appliquées dans le sens d'économies plus modernes, plus efficientes, plus compétitives et plus ouvertes sur l'Extérieur.

permanents, soit un facteur extraordinaire et unique d'enrichissement du génie humain méditerranéen.

Un peu à l'image de ce qu'a été notre "Mare Nostrum" tout au long de son Histoire plurimillénaire.

A.3. Choc des niveaux de vie enfin

L'éclatement méditerranéen est encore plus évident quand on examine les niveaux de vie au Nord et au Sud de notre Bassin. Les indicateurs sont trop nombreux pour être tous cités ici. Mais il nous suffira de dire que l'Indice du Développement Humain, calculé par les Nations-Unies est de l'ordre de 0,55 à 0,61 en Méditerranée arabe et musulmane, comparé à 0,94 en France, en Italie et en Espagne ; c'est-à-dire que le Développement Humain est 1,5 à 1,7 fois supérieur chez les riches occidentaux que chez les arabo-Musulmans de la "Mare Norstum". En dépit de nos ressources énergétiques, minières et agricoles. Parce que cet indice est trop synthétique pour rendre compte de toutes les disparités qui caractérisent les niveaux de vie des méditerranéens arabes.

Si nous examinons sur une base comparative les revenus par tête, les niveaux d'emploi, de chômage et d'immigration, les niveaux de consommation et les équilibres nutritionnels, la structure des systèmes éducatifs, les niveaux et la qualité de la couverture sanitaire, les niveaux et la qualité de l'urbanisation **, etc., nous connaîtrons mieux ce qui sépare la bonne qualité de vie chez les Occidentaux des conditions d'existence difficiles chez les Orientaux arabes et musulmans de la "Mare Nostrum", malgré des immenses progrès réalisés en l'espace de 20 ans.

B) Au niveau de la dimension économique

L'éclatement de la Méditerranée est encore plus évident.

Avec une Production qui atteint à peine 16 % celle de leurs homologues occidentaux, l'économie des pays du Sud méditerranéen reste largement en retard. Un retard encore plus accusé au Maghreb (4 %) et au Machrek (2 %).

Il n'y a pas de miracle. Sans investissements soutenus, sans gains de productivité continus, sans "management" adéquat, sans logistique financière appropriée, sans diversification poussée, sans arbitrage intelligent entre l'économie publique et l'économie privée, sans restructuration des relations de travail au sein de l'entreprise dans le sens d'une meilleure efficience productive et d'une meilleure participation des travailleurs, la Production ne peut que régresser. Sur tous ces vecteurs du progrès économique, le Sud méditerranéen -et plus particulièrement sa composante arabe- sont restés largement en retard par rapport à la Méditerranée développée celle de la France, de l'Italie et de l'Espagne.

Dans le Tiers Monde méditerranéen, les Investissements ont regressé parce

* L'Indice du Développement Humain comprend les données suivantes : l'espérance de vie à la naissance ; le niveau d'éducation et le PIB réel par tête.

** Voir notre ouvrage : "les Enjeux Méditerranéens. Pour une Coopération euro-arabe". Edition Alif et Presses du CNRS. Tunis et Paris 1992 - 261 pages.

Il y a choc de cultures parce qu'il y a choc des masses démographiques. La culture majoritaire est celle qui est véhiculée par les populations les plus nombreuses. Dans une vision non solidaire des rapports entre voisins ce qui est aujourd'hui le cas de la Méditerranée- plus les populations nombreuses sont pauvres, plus la majorité culturelle est perçue par les populations riches comme une menace actuelle ou potentielle pour leur prospérité, pour leur mode de vie, pour leurs valeurs, pour leurs civilisations. A cet égard, le monde méditerranéen illustre un cas extrême de chocs entre des cultures dont le contenu ancestralement conflictuel reste jusqu'à nos jours dominant.

La composante arabe de la démographie méditerranéenne représente aujourd'hui 135 millions de personnes (63 millions d'Algériens, de Marocains, de Tunisiens et de Libyens ; et 72 millions d'Egyptiens, de Syriens, de Jordaniens et de libanais), c'est-à-dire 35 % de la population totale méditerranéenne.

La composante arabo-musulmane de cette même démographie méditerranéenne (c'est-à-dire le Maghreb et le Machrek plus la Turquie) compte 191 millions de personnes ou 50 % de la population totale de la "Mare Nostrum". Aujourd'hui, donc 1 méditerranéen sur 2 est arabe ou musulman.

En l'an 2000, les Arabes méditerranéens compteront 175 millions de personnes (83 millions de Maghrébins et 92 millions de Machrékins) ou 40 % de la population méditerranéenne totale. Les Arabes et les Musulmans ensemble compteront 243 millions de personnes soit 55 % du total des méditerranéens. Ceci signifie qu'à la fin de ce siècle, 1 méditerranéen sur 2 sera encore arabe ou musulman.

En 2015, l'Arabie méditerranéenne sera nombreuse de 238 millions de personnes ou 46 % de la population méditerranéenne totale.

Les musulmans méditerranéens seront 319 millions soit 61 % de l'ensemble des habitants du Bassin.

Enfin, en population stationnaire hypothétique, c'est-à-dire en moins de 50 ans, les Arabes méditerranéens seront 419 millions de personnes ou 57 % de l'ensemble des habitants de la "Mare Nostrum". Les Musulmans, eux, compteront 540 millions de personnes ou 73 % de l'ensemble des riverains du Bassin.

Ceci signifie que 3 méditerranéens sur 4 seront arabes ou musulmans.

Comment faudrait-il alors appeler la Méditerranée? l'Arabic-Islamie méditerranéenne?

Dire qu'aujourd'hui 1 méditerranéen sur 2 est arabe ou musulman et que dans moins d'une génération 3 méditerranéens sur 4 seront arabes ou musulmans n'est pas un discours neutre ; ni pour les Maghrébins, les Machrékins et les Turcs ; ni pour les Français, les Italiens et les Espagnols ; ni pour les Européens, ou le monde plus globalement.

Un discours qui n'est pas neutre dans le sens où pareilles réalités démo-culturelles dominées par les nations les moins prospères de la Région peuvent être soit une matrice de conflits, d'intolérances, d'exclusions mutuels

choc des masses démographiques, le choc des cultures, le choc des niveaux de vie.

Trois chocs, trois réalités qui sont à la base des réflexes de peur, d'exclusion, d'intolérance et de xénophobie dont la scène méditerranéenne est coutumière; qui assombrissent aussi les horizons

d'un espace méditerranéen solidaire entre son Nord riche et prospère et son Sud encore sous - développé.

A.1. Choc des masses démographiques d'abord

Sur les 383 millions de Méditerranéens que nous sommes aujourd'hui, 230 millions vivent au sud du Bassin ou 60 % et 153 millions ou 40 % au Nord du Bassin et plus précisément en France, en Italie et en Espagne.

Mais aujourd'hui, c'est déjà hier. Qu'en sera-t-il demain ? En l'an 2000, les Méditerranéens compteront 439 millions de personnes dont 284 millions au Sud ou 65 % et 155 millions au Nord du Bassin ou 35 %.

En l'an 2015, c'est-à-dire en l'espace de la moitié d'une génération, les Méditerranéens seront 520 millions de personnes dont 364 millions vivront au Sud ou 70 % et 156 millions vivront au Nord du Bassin ou 30 %.

Enfin, en population stationnaire hypothétique*, c'est-à-dire en l'an 2025 - 2030, c'est-à-dire en l'espace d'une génération à peine, il y aura 739 millions de Méditerranéens : 589 millions au Sud ou 80 % et... à peine 150 millions au Nord ou 20 %.

Observez l'évolution sur les 50 ans à venir. Plus d'1 méditerranéen sur 2 est oriental aujourd'hui.

Deux méditerranéens sur 3 seront orientaux en 2000. Près de 3 méditerranéens sur 4 seront orientaux en 2015. Et enfin, 4 méditerranéens sur 5 seront orientaux en 2025-2030. Comment faudrait-il appeler la Méditerranée future ? L'Orient Méditerranéen ?

Des évolutions aussi disparates au niveau des masses démographiques ne peuvent pas ne pas comprendre d'autres mutations non moins disparates. Une population qui croît vite est une population qui reste jeune. Une population qui stagne ou qui régresse est une population vieillissante. On n'a guère besoin de chiffres pour illustrer pareil contraste dans les pyramides des âges des populations du sud et des populations du Nord. Mais on saisit encore mieux le sens de l'éclatement de notre Méditerranée, quand on sait qu'au choc des masses démographiques, s'ajoute le choc des âges. Les connotations économiques, sociales, culturelles et même politiques à court et long terme de ce choc des âges sont plus qu'évidentes.

A.2. Choc des cultures ensuite

* Une population atteint un état stationnaire hypothétique quand son taux de natalité est constant et égal à son taux de mortalité ; la structure par âge devient, elle aussi, constante et le taux d'accroissement démographique nul.

A l'échelle de l'Europe, la Méditerranée a été récupérée dans sa partie la plus "noble". Celle que forment ses nations industrielles ou semi-industrielles, judéo-chrétiennes : la France, l'Italie, l'Espagne, la Grèce et le Portugal. Ce qui reste de la "Mare Nostrum", c'est-à-dire tout son Orient arabe et non arabe, l'Europe - la CEE pour être plus précis - le tient pour "associé" quoiqu'un associé "privilégié".

"Associé" ni à la croissance, ni au développement, ni aux stratégies, ni au progrès européen. Tout juste des co-échangistes auxquels sont consentis quelques traitements commerciaux de faveur - bien minimes -, quelques subsides sous la forme de prêts bancaires, de dons et d'assistances techniques et de quelques partenariats industriels bâties plus sur les "rentes" de proximité géographique et sur les "rentes" des bas salaires, de la disponibilité gratuite des infrastructures, des avantages fiscaux et financiers dans les pays du sud méditerranéen que sur une véritable synergie des apports de part et d'autre - en termes de main-d'œuvre, de ressources naturelles, de marchés, mais aussi en termes de technologies, de savoir-faire, de formation des cadres et d'association aux recherches scientifiques et techniques*. En se privant de sa base Sud, l'Europe se défait, en réalité, d'une de ses dimensions de puissance planétaire, d'une des composantes principales de sa force et de son pouvoir de négociation à l'échelle mondiale.

A l'échelle de la Méditerranée enfin, l'asymétrie entre les pays des deux rives développée et en développement est la même, pour ne pas dire qu'elle est encore plus accusée.

En fait, ces 3 réalités méditerranéennes sont liées - en partie tout au moins -.

La marginalisation du microcosme méditerranéen à l'échelle de la planète est la conséquence de sa désintégration interne et de la profonde asymétrie qui caractérise les rapports entre ses 2 rives Nord et Sud.

I.2. Un microcosme éclaté

Au niveau de sa triple dimension :

- humaine et sociale
- économique
- technologique

la Méditerranée contemporaine est un microcosme éclaté qui présente des disparités profondes entre sa rive Nord et sa rive Sud - et notamment sa rive arabe -.

A) Au niveau de la dimension humaine et sociale

L'éclatement de la Méditerranée peut être illustré par 3 types de chocs : le

* A l'image du modèle du partenariat liant le Japon à ses voisins de l'Asie du Sud-Est. Voir à cet égard notre article "le Cycle asiatique" paru dans "l'Economiste Maghrébin" n° 49 du 11 mars 1992.

enfin l'Etat et le Marché, le Pouvoir et l'Entreprise, l'Homme et le Progrès.

Dans sa "Fin de l'Histoire et le dernier homme"*, le philosophe américain Francis Fukuyama avait cru voir dans le triomphe du libéralisme démocratique dans le monde la mort de ce qui fait l'Histoire, à savoir le débat des idées et des idéologies.

La grande controverse soulevée par cette réincarnation de la version moderne du Hégelianisme n'est pas l'objet de nos préoccupations dans ce papier. Mais si tant est que l'Histoire soit finie quelque part dans le monde, elle ne l'est certainement pas là où les projets restent à inventer, les structures à transformer, les Systèmes de développement à rebâtir, les libertés à conquérir et la solidarité à établir.

L'espace méditerranéen est un espace d'Histoire par excellence. Mais une Histoire qui n'est jamais finie. Parce que le débat sur la Cité, les libertés, les droits de l'homme, la prospérité, les valeurs, la coopération, la croissance, la justice sociale s'y renouvelle sans cesse au rythme des pulsations démographiques, au rythme des besoins de bien-être et de développement, au rythme de "la révolution des ambitions"*, au rythme enfin des recompositions géostratégiques de par le monde au lendemain de la chute du mur de Berlin.

Si Méditerranéité il y a, ou si Méditerranéité il doit y avoir, comment impulsera-t-elle le dialogue et l'action entre l'Occident et le Levant de la "Mare Nostrum", en ces temps où les énergies, les stratégies et les ressources sont absorbées par les projets de l'Union Economique et Monétaire (Europe de Maastricht), du Marché Unique Européen, de l'Espace Economique Européen; mobilisées par les querelles franco-euro-américaines sur l'avenir du GATT et l'instabilité du Système Monétaire Européen ?

Mais pour mieux comprendre le "comment" du dialogue et de l'action dont nous parlions plus haut, il faudrait en saisir le "pourquoi" ?

C'est autour de ces interrogations que nous développerons les réflexions qui vont suivre

I. LA MEDITERRANEE, UN MICROCOOSME MARGINALISE ET ECLATÉ

I.1. Un microcosme marginalisé

La Méditerranée d'aujourd'hui n'est ni un espace, ni une entité, ni un ensemble, ni une vision de l'avenir. A l'échelle de la planète, elle est un microcosme tout juste bon pour rappeler avec nostalgie ce que furent les grandes civilisations passées ou pour dénoncer les méfaits de la pollution moderne ou pour évoquer - pour mémoire - les dangers des conflits régionaux qu'il abrite encore. Mais un microcosme jugé indigne de s'élever au rang de partenaire ou de partie prenante dans les grandes manœuvres de recomposition du monde contemporain.

* Notre version française de la fameuse "révolution of the rising expectations"

l'Humanité - celle du Nord comme celle du Sud - s'étaient vite substituées la guerre froide et sa récupération du monde sous forme de "monde libre" et de "monde du rideau de fer", de pays "alignés" et de pays "non alignés", d'économies "de marché" et d'économies "planifiées". Une guerre froide qui n'a cessé d'être sous des habillages divers, la matrice des conflits de ce siècle. De la Guerre de Corée aux tout récents soubresauts de l'agonie yougoslave en passant par le Vietnam, le Cambodge, le Laos, la Palestine, l'Algérie, l'Afghanistan et le Golfe, jamais les conflits entre les Systèmes de pouvoir n'ont gaspillé autant de ressources productives, aggravé autant les inégalités entre les peuples, détruit autant de valeurs non judéo-chrétiennes, confisqué autant de libertés aux nations.

Que l'Arabie ou l'Arabie-Islamité s'érigent en une nouvelle conscience des libertés spoliées, de la personnalité confisquée, des valeurs détruites dans ce vaste espace qui va du Maghreb le plus occidental au Machrek le plus oriental, l'Histoire des 50 dernières années en est la génèse et l'explication.

Mais lorsque cette conscience se résoud en une lutte meurtrière pour le pouvoir, en une anti-croisade contre toutes les valeurs de la judéochrétienté -qu'elles s'appellent modernité, progrès, démocratie ou laïcité; lorsqu'il manque à cette conscience le sens de la construction, le sens de la solidarité et de la coopération, le sens de l'organisation et de la discipline dans la conduite du développement, le sens du pluralisme et un débat libre, le sens de la nécessaire tolérance et de la nécessaire convivialité vis à vis des Autres, elle est alors une conscience sans praxis. Et elle l'a été au Maghreb, comme au Machrek, comme dans l'espace

plus grand encore du "pays musulman" de l'Afrique et de l'Asie.

Pour un arabe ou un arabe musulman, il est toujours difficile - impossible en fait - de lui demander de transcender son arabisé ou son islamité et de se trouver une âme autre que la sienne.

Ni l'attractif de la modernité, ni celui du progrès ou de la démocratie dans leur conception occidentale contemporaine ne réussiront à convaincre l'arabe du Maghreb ou du Machrek de changer d'âme.

Où trouver alors l'ancrage de nos propres valeurs à une dynamique de progrès plurielle et naturellement solidaire sinon en interpelant notre Méditerranéité ?

Et quoi mieux que la Méditerranéité pourrait concilier nos différences, nos ambitions, nos rythmes vers le développement - celui de nos richesses humaines et de nos richesses économiques tout à la fois - ?

Et quoi mieux que la Méditerranéité pourrait nous préparer à affronter les défis du Temps - ceux que nous réserve le IIIe millénaire naissant ?

Des défis plus terribles encore parce qu'inconnus. Ceux que posent la Science, la Technique et la Pensée de demain. Les défis de l'ouverture de nos propres Systèmes sur un espace-monde où "l'Economique" ne connaît plus de frontières, où "l'Idéologique" disparaîtra dans cette nouvelle culture de liberté qui conciliera

* Francis Fukuyama "La fin de l'Histoire et le dernier homme" Flammarion - 1992 - 452 pages.

POUR UN NOUVEAU PROJET NORD-SUD MEDITERRANEEN

(Ière partie)*

par Monsieur Chedly AYARI

Professeur à l'Université de Tunis

Contre l'indifférence; contre la méconnaissance, terreau de la haine, il faut tisser; tisser entre les rives, tisser sans relâche. La mer n'est rien sans les marins. J'ai eu toujours l'impression que sans eux; sans leurs voyages incessants, le tissu des vagues s'effilocherait..."

Eric ORSENNA

INTRODUCTION

Le génie de la culture et de la langue chez J. Berque nous a appris à parler d'Arabité ce terme dont la prégnance historique et émotionnelle n'a pas cessé de nous saisir, nous les Arabes de l'Occident et du Levant, chaque fois que le discours de nos orateurs officiels ou forains évoquant le passé, le présent ou l'avenir de la "Umma" vient à résonner à nos oreilles de peuple en quête de valeurs et d'avenir. Mais une prégnance devenue sans "praxis", c'est-à-dire sans volonté ni programme d'action commun. A la différence de l'Européanité, qui bâtit pierre par pierre voilà près de 30 ans, de Rome à Maastricht, le premier Espace de convivialité, de coopération de solidarité entre des peuples et des nations, des cultures et des valeurs, des nationalités et des ethnies dont les conflits ont peuplé les manuels d'Histoire des siècles durant.

Ayant perdu la praxis-celle qui a donné tout son lustre à l'Arabie d'antan, celle de la Culture, de la Science, du Savoir, de la technologie, de la Pensée et du Commerce - notre Arabité, d'historique et d'émotionnelle, est devenue mystique quand elle s'est vu imprégnée (pour ne pas dire confisquée par) d'une certaine lecture du Coran et des valeurs islamiques. Au point de vouloir faire de l'Arabo-Islamité un nouvel outil de guerre contre toutes les formes de l'Ordre présent : contre la laïcité comme contre le pluralisme démocratique (dans sa signification occidentale); contre le capitalisme judéo-chrétien comme contre le socialisme marxiste ou non marxiste; contre les lois temporales comme contre les choix du développement moderne.

Il est vrai que l'Ordre des Temps présents a engrangé au fil des décennies passées toutes les formes modernes de la domination. A l'espoir que le Progrès associé à une nouvelle conscience de l'Universel allait enfin donner, après les meurtrissures de la II e Guerre Mondiale, prospérité, bien-être et justice à

* Conférence de Mr. Chadli Ayari au colloque de Tunis-Carthage (7-10 Janvier 1993) sur le thème "Du Royaume de Grenade à l'Avenir du Monde Méditerranéen".

de relations nous empêcherions que l'esprit d'Al-Andalus que nous voulons reinventer, reste morte et sans volonté de futur.

Je suis certain que nous serons capables d'instaurer un nouvel Al-Andalus créatif qui soit un creuset de cultures et de solidarités, où les contacts et échanges scientifiques et humains pourrons bâtir une université Euro-Arabe où les dialogues, la tolérance et le développement mutuelle trouveraient leur cadre d'action.

Ce nouvel Al-Andalus nous permettra d'évoquer esthétiquement avec nostalgie ce poème de Nizar Qabani sur Grenade :

"Dejo atrás a Granada. Atrás todas sus casas
Atrás todo su campo y todas sus mujeres
Atrás toda mi infancia. Con mi historia asediadas
Por las llamas."

Mais surtout ce nouvel Al-Andalus devrait nous permettre de défendre avec acharnement la création d'un nouvel espace politique, économique et culturel. Un espace euromaghrébin, un espace méditerranéen.



et stagner.

Il faudrait surtout que l'occident et l'Europe ne marginalisent pas le Maghreb et le Monde Arabe. Il ne faudrait pas, par la peur de s'immiscer dans les affaires intérieures, rester indifférents et passifs.

L'Europe devrait établir une politique plus intégrée avec cette région du monde.

Les efforts de l'Espagne dans ce sens ont été remarquables comme ceux d'autres pays européens du sud. Depuis notre adhésion à la Communauté nous avons œuvré avec l'aide d'autres partenaires, surtout la France, l'Italie et le Portugal à attirer l'attention de nos partenaires du Nord de l'Europe vers cette région de la Méditerranée.

Plusieurs étapes, plusieurs jalons ont été accomplis : 1989. Sous la Présidence espagnole de la CEE : conclusion du Conseil Européen sur un renforcement des relations entre la CEE et l'UMA.

1990. Etablissement à Rome sous la Présidence italienne de la CEE de la politique méditerranéenne rénovée.

1991. Première réunion ministérielle CEE-UMA.

1992. Sous la Présidence portugaise. Déclaration de Lisbonne sur la création d'un nouveau type de relation entre la CEE et les pays du Maghreb, basée sur une approche de coresponsabilité et de partenariat. Les futurs accords "Euro-maghrebins" seront la preuve de cette volonté politique de l'Europe des douze.

Mais ces avances de la Communauté européenne ont été seulement possibles grâce à une préparation et aux efforts des pays des deux rives de la Méditerranée occidentale.

Les initiatives menées par les quatre pays maghrebins et surtout par la tenacité tunisienne, et les quatre pays de l'Europe du sud (Portugal, Italie, France et Espagne) auxquels s'est associé Malte ont été le moteur du changement d'attitude de l'Europe vis à vis du Maghreb.

L'année 92 a été pour ces initiatives une mauvaise année. La crise Libyenne, les événements en Algérie et les sursauts de l'UMA, ont empêché de maintenir le rythme que nous tous nous aurions voulu. L'assumption par la Tunisie de la Présidence de l'UMA à partir de ce mois de janvier pour toute l'année 92, nous offre à nouveau un rayon d'optimisme et d'espoir. L'année 93 commence avec des nouvelles perspectives. Mon gouvernement, comme celui de la Tunisie, et j'en suis sûr les autres gouvernements des dix pays de la Méditerranée occidentale sont décidés à relancer la coopération dans cette région.

Très prochainement il y aura des nouvelles propositions et des nouvelles démarches. Démarches qui auront comme protagonistes aussi bien le bassin occidental que la globalité du pourtour méditerranéen. Toutes ces actions pourraient avoir comme inspiration les principes et l'esprit de celle Al-Andalus que nous évoquons aujourd'hui ici. Je suis sûr que nous tous partageons cette volonté de créer un espace de solidarité et de prospérité. Ce n'est pas seulement une volonté c'est surtout une nécessité. Si on réussissait à mettre en marche ce nouveau cadre

Recently I attended, during the commemorations of November 7, to the recovery of Tunisian history. I believe that the message was clear.

In this sense I estimate that each country must recover and assimilate its own history to defend its identity.

In the same sense of self-criticism, Spain and European countries should recover and assume firmly their Arabo-Muslim legacy.

In both cases it is not about neglecting or questioning the value and importance of dominant cultures, but rather to highlight the character "syncretic" of our common cultural space.

A Tunisian citizen must feel at ease when he listens to the "noubas" Andalusi, or when he listens to the silences of Grenade, Seville or Cordoba. A Spaniard can benefit, and he has done so, in the Pavilion Tunisian, nights and evenings embalmed by the air of Sidi Bou Said.

Briefly, these are elements that reflect this Andalusian mentality, this Mediterranean mentality that exists already and is full of potentiality of solidarity and conviviality.

Spain and Tunisia are the two countries that share the most this Andalusian spirit. We have this common past, this new look, without complexes, but above all the same will for the future.

Between our two countries there has been installed a certain complicity Mediterranean. There are no controversies, there is only a common future.

The two countries could be catalysts of a new dynamism. A dynamic of co-responsibility. Each country, each geo-political ensemble, Europe, West, on the one hand, the Maghreb, the Arabic World, on the other hand, would have to face its own responsibilities.

On the Arabic side it seems that we must end with this plaintive and vindictive discourse that wants to make Europe responsible for all these evils and errors.

It would be good if the Arabs left their "victimist" shelter. It would be good if, like Al-Andalus, the Arabic society opens up to the world, integrates without false complexes and without maximalist demands.

Everything seems to indicate that the last movements in the Arabic world are moving towards this path. In any case the proposed change must respond to their own value and conception of the world. The programs and reforms must be conceived, presented and defended by themselves. Modernity must be an "Arabic modernity", never a "imposed modernity" or transferred from another culture or another conceptual universe.

On the European and Occidental side, it is necessary to end with this triumphant arrogance, this self-complacency and assurance in the progress of the Occidental civilization. This would be a bad and perverse ally. It would be good to respect the error committed by the Arabic world who has蔑视ed at the end of the Al-Andalus period the other cultures and influences. To believe superior and above all to draw on the intellectual and scientific advances of the "other" is to confine oneself to one's own self.

de ce qui constitue notre mémoire collective. Il y a un projet de modernisation de la Bibliothèque de Tunis, comme un autre de la Bibliothèque de Rabat.

f) Finalement un programme de divulgation a été conçu pour essayer de créer une nouvelle image du monde arabe (programme de télévision, semaines culturelles, etc). Tout cela a été couronné par la Réunion Institutionnelle d'Al Andalus 92 à Medina Azahara, avec la présence des Leurs Majestes le Roi et la Reine d'Espagne.

Avec cet événement, l'Etat espagnol a voulu envoyer un message politique de son identification avec son passé arabe, son présent et surtout son futur. Le discours de Sa Majesté le Roi D. Juan Carlos a été dans ce sens très significatif. Je profite de cette occasion pour qu'il soit distribué aux participants de ce colloque.

V - AL ANDALUS DANS LE FUTUR : UN NOUVEL HORIZON DANS LES RELATIONS HISPANO ARABES.

Ce dernier point est pour moi le plus important de tous. Cet "Al-Andalus" réinventé qui pourra faire face aux multiples défis qui se présentent devant nous.

Pendant ces siècles de tolérance et de dialogue dans l'Andalousie d'il y a 500 ans, nos peuples et sociétés ont été témoins d'une coexistence fructueuse entre cultures et civilisations différentes. Des échanges d'hommes, d'idées, de savoir, se sont déroulés ayant permis de bâtir une aire de solidarité et d'enrichissement mutuel qui a servi au développement général du patrimoine culturel humain.

La Méditerranée Occidentale a été le sujet géographique de cette expérience. C'est autour de cet environnement spécifique qui a eu lieu ce brassage humain et culturel de notre histoire. Une mentalité de métissage, de respect mutuel s'est installé. Une identité culturelle propre s'est créée. Une culture qui s'est propagée ultérieurement vers le nord (l'Europe), l'est (le Moyen Orient) et l'Occident (l'Amérique).

Si cela a eu lieu il y a cinq siècles, pourquoi ne peut-on pas l'imaginer et le réaliser aujourd'hui? Une nouvelle "méditerranéité" s'avère nécessaire. La "méditerranéité" de l'imagination, de la création, de la tolérance, du respect, du mythe et de l'utopie, mais aussi du réalisme et du concrét.

Dans un monde unidimensionnel nous devons chercher à revendiquer et à défendre nos propres cultures et conceptions du monde. Face à la culture, comme disait Bruno Etienne, des trois Mac : Mc Donald, Mc Intosh, et Mc Luhan, nous devons reclamer la culture Braudelienne des trois symboles méditerranéens : le blé, l'olivier et la vigne. Chacun représente un atout pour notre futur. Le blé ou la levure du pain, c'est la germination de nos idées. L'olivier ou la force et l'enracinement de nos vieilles traditions. La vigne ou le vin où l'imagination peut trouver son berceau.

Pour répondre à cet enjeu il faudrait faire une profonde révision autocritique de nos attitudes respectives.

A mon avis, et avec tout le profond respect que j'ai pour l'arabité et le monde arabe, il faudrait commencer par admettre les contributions et les influences d'autres cultures sur les différents pays maghrébins et arabes.

- VII Colloque hispano-tunisien sur le patrimoine andalusi dans la culture arabe et européenne, réalisé en collaboration avec le Centre d'Etudes et de Recherche économique et sociale de l'Université de Tunis.

- L'horizon des relations culturelles araboeuropéennes.
- Le savoir politique et le savoir religieux dans l'Islam.

Toutes ces rencontres étaient sur des sujets et matières du passé Andalous. Comme complément à ces réunions il y a eu une série de rencontres qui ont portées sur les défis actuels des relations euro-arabes.

- Ière rencontre sur le Moyen-Orient : les obstacles pour le développement.
- IVème rencontre de Gredos sur la Méditerranée Occidentale.
- L'explosion démographique. L'emploi. L'émigration.
- Le Maghreb après la crise du Golfe.
- Le Colloque Maghreb-Europe, sur la littérature actuelle de l'Afrique du Nord.

Toutes ses réunions ont laissé une banque de documents, et de contributions, etc. D'une grande valeur. La plupart de ces apports ont été publiés et ont servi pour former un "fond d'analyse" extraordinaire sur le passé et l'avenir de nos relations.

c) Projets de recherche. Deux projets à retenir. Le premier, c'est celui que je me suis permis d'intituler le "who is who" d'Al-Andalus c'est un magnifique recueil de l'histoire des auteurs et transmetteurs "andalousiens". C'est un vaste inventaire de toute la production intellectuelle de l'Espagne arabe.

Le deuxième, c'est le projet TAO (traduction assistée par ordinateur). C'est un projet entrepris par l'Université de Barcelone et l'Université de Tunis pour établir un système de traduction arabo-espagnol par ordinateur. La deuxième phase du projet est prévue pour cette année 93.

d) Les publications quarante et deux ouvrages ont été publiés. Il faut mentionner en exergue "Las fuentes arabico-hispanas". C'est la première fois qu'on met à disposition de la communauté scientifique internationale les sources primaires (manuscrits, etc), sur Al-Andalus. C'est la continuité d'une entreprise commencée au XIXème siècle par l'éminent arabiste Francisco Codera.

e) Les programmes d'infrastructure. On voulait aussi profiter de cette occasion pour initier un programme plus vaste et ambitieux de conservation et restauration du patrimoine historique et culturel commun.

Nous avons souscrit plusieurs protocoles d'accord avec quelques pays maghrébins. Surtout avec le Maroc, la Mauritanie et la Tunisie. Dans le cas de la Tunisie, le projet étoile est celui de la restauration de la forteresse de Chikly et des projets prévus pour d'autres villes de tradition andalouse comme Testour.

Mais apart la restauration et la mise en valeur des monuments, on a décidé la création de plusieurs programmes de conservation et traitement de manuscrits,

Primo, approfondir le savoir et la connaissance scientifique d'Al-Andalus. Seconde faire connaître à l'opinion publique la contribution arabo-musulmane à notre culture et cela par le biais des expositions et des publications. Tertio, créer des espaces de rencontre pour les intellectuels arabes et européens afin de discuter et débattre notre passé commun mais surtout les problèmes et les défis de notre avenir que nous devons construire ensemble. Ces actions sont encadrées par :

- Des expositions
- Des rencontres scientifiques
- Des projets de recherche
- Des publications
- D'un programme d'infrastructure
- Et finalement d'un programme de divulgation

a) En ce qui concerne les expositions, des quatre programmées, trois ont eu lieu.

La première, en Octobre 1990, sur l'origine arabe de Madrid. Cette exposition intitulée "Madrid du siècle IXème au XIème" a semblé prémonitoire pour accueillir une année plus tard la Conférence de Paix sur le Moyen Orient dans la capitale espagnole.

Les deux autres ont eu des échos et une valeur très remarquable. Celle qui a eu le plus de succès auprès du public et des médias a été "Al-Andalus. Las artes islamicas en Espana" inaugurée à Grenade, sous le patronage de la Junta de Andalucia, la Mairie de Grenade, et a été gérée par le Metropolitan Museum de New-York. Cette exposition montrait la valeur artistique et architecturale léguée par les arabes en Espagne.

Mais nous avons voulu aussi montrer un aspect moins connu de l'apport arabe à la civilisation européenne : la contribution au développement de la Science. L'exposition "El legado científico andalusi" a rempli cet objectif. Celle-ci s'est inaugurée au Musée Archéologique National et elle a eu un grand éclat de la part des critiques d'art et des experts arabistes. Finalement la quatrième exposition, elle sera itinérante "Al-Andalus, et Islam en España", et elle sera inaugurée cette année 93.

b) Par rapport aux 40 rencontres scientifiques réalisées il faudrait retenir quelques remarques. Nous avons voulu qu'elles se déroulent sur les deux aspects que nous croyons essentiels de cette nouvelle approche d'Al-Andalus. Une série des réunions seraient chargées d'approfondir la connaissance du patrimoine d'Al andalus strictu sensu et une autre plutôt sur les problèmes qui se posent aujourd'hui aux relations hispano-euro-arabes.

De toutes les réunions et séminaires, j'aimerais souligner les suivants :

- Les relations de la péninsule Iberique avec le Maghreb (1988).

La nostalgie est compréhensible mais ne doit pas se convertir en obsession. Le Monde Arabe, à mon avis, devrait aussi s'enlever ce lourd fardeau du passé, ces pesanteurs de l'histoire et lancer un regard nouveau à "Al-Andalus". Analyser les raisons du "rayonnement" de la civilisation arabe, qui a atteint son zenith dans l'Al-Andalus du IXème au XIème siècle. Examiner les causes de déclin, des déchirures inter-arabes qui ont provoqué la défaillance de l'influence de la culture Andalouse, arabo-musulmane dans le monde. Etudier les éléments extrêmement positifs de cette culture, son sens de la tolérance, du partage, de la synthèse sa capacité d'asimiler cultures et savoirs différents et surtout sa générosité et habileté à transmettre sa culture aux autres.

Je suis certain qu'on pourrait tirer d'importantes conclusions. Quand la civilisation arabe a été ouverte au reste du monde, quand elle s'est inserée dans les rouages internationaux : scientifiques, culturels, politiques, l'élosion a été insurmontable. Quand toute culture se renferme dans son passé, alimente sa nostalgie et ne sait pas s'adapter aux temps nouveaux, quand elle se replie sur elle-même, quand elle a peur du métissage, elle s'isole, et reste sans défense devant l'agressivité d'autres cultures.

Une nouvelle interprétation d'Al-Andalus devait servir de révulsif au monde arabe. Dans une période de changements, les pays arabes pourraient s'inspirer des règles, des principes et des actions qui ont présidé à cette page inoubliable de leur histoire pour revivre cette période sans nostalgie, avec des paramètres différents et en les adaptant aux nécessités d'aujourd'hui.

IV - LA CELEBRATION D'AL ANADALUS 92

Dans l'année 1987 a été formé le groupe de travail "Al-Andalus 92" comme une branche de la Commission Nationale du Vème Centenaire, avec pour objectif principal celui de commémorer les aspects plus remarquables de l'histoire arabe en Espagne et surtout de redécouvrir les apports et les contributions de la civilisation arabo-musulmane au patrimoine culturel espagnole et à l'humanité.

La pertinence de ce programme semblait claire pour profiter de cette occasion à fin de développer toute une série d'activités culturelles et scientifiques avec les différents pays, les différentes institutions et les divers organismes arabes qui auraient comme finalité approfondir la connaissance de l'Al-Andalus - paradis perdu - et d'essayer de construire un nouveau type de relations de coopération avec les partenaires arabes et méditerranéens. Il y avait aussi une raison politique majeure, la volonté de rappeler au même titre que "Sefarad" et la découverte de l'Amérique, l'importance de la présence arabe dans l'histoire de l'Espagne.

La coordination du programme fut confiée à l'ancien IHAC, aujourd'hui ICMA, qui a mené avec ses moyens personnels et financiers la quasi-totalité des actions pendant ces cinq dernières années. Il faut surtout ici souligner l'appui et la collaboration active qu'ont déployés plusieurs institutions, organismes publics et académiques et surtout la très remarquable contribution du département d'Etudes arabes du CSIC et de l'université espagnole ainsi que des universités arabes. Sans leur coopération le programme n'aurait pas pu aboutir avec succès.

Pour atteindre les objectifs mentionnés ci-dessus, nous avons voulu établir une série d'actions pour accomplir ces trois tâches :

III.- AL- ANDALUS. NOSTALGIE FACILE

L'arabiste espagnol, Pedro Martinez Montàvez, signalait récemment dans un article à l'occasion de la célébration "d'Al-Andalus 92", que "le phénomène Andalusi se conçoit et se ressent comme quelque chose appartenant au passé mais qui n'est pas clôturé ni conclu définitivement".

C'est cette approche que nous devons défendre et appuyer. "Al-Andalus" peut se convertir en une nostalgie du passé. Cela est une tentation facile. Mais en même temps elle serait stérilisante.

Il y a quelques semaines, j'ai discuté avec le Ministre de la Culture marocain, Mr. Sinaceur, sur la valeur et le message du nouvel "Al-Andalus". Nous étions d'accord tous les deux pour appuyer à fond les études andalouses, mais à une condition: que ces études ne tombent pas dans la routine. La recherche scientifique est valable quand elle est créatrice, quand elle devient monotone et répétitive, elle stagne.

Cela a été un de mes premiers et principaux soucis, quand je suis arrivé à la Direction de l'Institut de Coopération avec le Monde Arabe. Comme vous le savez, l'actuel Institut est l'héritier del Instituto Hispano-Arabe de Cultura. Celui-ci fut créé en 1954 et avait surtout une vocation "culturaliste". Il servait de refuge et plateforme aux arabistes espagnols et aux hispanistes arabes. Cette tradition a été maintenue et encore nous essayons de promouvoir ce réseau académique hispano-arabe. Mais nous essayons notamment d'encourager seulement les chercheurs qui ont choisi des sujets d'intérêts nouveaux. Après les découvertes d'Asin Palacios, de Ribera, mais surtout de Garcia Gómez, il est difficile d'innover. Mais l'école catalane du Professeur Vernet et Samso a réussi à ouvrir un champ d'étude qui était presque inconnu;

L'arabisme espagnol a une vocation naturelle et nécessaire: Al-Andalus, mais il ne doit pas rester prisonnier de son propre destin. Il doit se débarrasser des carcans traditionnels et avoir la fraîcheur intellectuelle suffisante pour pouvoir innover à chaque instant. "Al-Andalus" doit rester pourtant un point de référence obligatoire, d'où dégager des principes, des connaissances qui pourront aider à une meilleure compréhension des autres champs de l'arabisme.

Si cette nostalgie doit être combattue en Espagne, le même combat doit être mené dans le monde arabe. Les arabes sentent et reflètent "Al-Andalus" d'une manière différente de nous, les espagnols. C'est tout à fait normal. Pedro Martínez Montàvez, dans l'article mentionné ci-dessus, signalait qu'"Al-Andalus" constitue pour les arabes une aporie irreductible, une contradiction étourdissante qui se situe dans une place esthétiquement irremplacable dans leur imaginaire collectif. Le poète Syrien Nizar Kabani l'exprima d'une manière redoutable: "l'Espagne pour les arabes est une émotion historique impossible".

cette nostalgie continue à être présente dans le quotidien arabe. Dans la littérature, la musique, dans l'architecture, mais aussi dans les noms de sites, rues, musées, centres culturels etc. l'évocation et cet Al Andalus perdu, de ces siècles de lumière pour le monde arabe. Ressort dans le subconscient de tous les citoyens arabes.

qui se limitent à reprendre l'influence judeo-chrétienne mais qui oublient complètement les contributions arabo-islamiques. C'est un phénomène que nous retrouvons malheureusement tous les jours quand on nous présente une nouvelle dialectique de tension: l'Occident versus l'Islam. Le tout puissant et arrogant édifice Occidental est un bâtiment qui se soutient surtout par ses fondations de culture juive et chrétienne mais qui a démolî son contrefort arabo-musulam. Contrefort qui a été précisément à l'origine de l'élosion de la culture européenne et occidentale.

Mais avant de passer à ma deuxième réflexion, j'aimerais clarifier un débat qui était de toute évidence nécessaire et compréhensible dans l'esprit et imaginaire mais qui, à mon avis, a été quelques fois mal présenté : la fin de la période de l'Espagne musulmane, la fin de cet Al-Andalus rayonnant et prospère qui a été commémoré cette année 1992 en Espagne.

L'évocation revendicative de reconstruire notre histoire commune me paraît inappropriée. Nous devons assumer notre passé commun sans réticences et surtout sans réminiscences "ahistoriques". "Le passé" est quelque chose de conclu, de défini, et sans possibilité de retour. Nous ne sommes pas responsables du passé, de notre histoire. Nous devons l'interpréter, la connaître, pour y voir plus clair et surtout pour ne pas commettre les mêmes erreurs. Mais dans aucun cas nous ne devons re-ouvrir notre passé comme si on se retrouvait dans un tunnel du temps où on pourrait refaire les événements à notre goût. De la Science Fiction: oui pour le futur mais non pour le passé. Cela n'apporterait que recriminations, haines oubliées et sentiments conflictuels, sur une coexistence commune que a eu par contre toute une série d'évènements positifs.

Sa Majesté le Roi d'Espagne vient de le dire solennellement à Medina Azahara:

"Au delà des gloires, toujours éphémères, je voudrais souligner ce qui est resté spirituellement, ce qui après trois siècles d'une compréhension moindre et d'une plus grande intolérance, continue à être notre plus positif legs commun: l'esprit de parenté et d'expériences partagées vécues ensemble.

Les espagnols ont vécu, sans le savoir, en contact permanent avec la civilisation arabe (la langue, les coutumes, les arts traditionnels, etc.). C'est le même cas pour les communautés arabes, descendants de ces "moriscos" laborieux qui résident dans les villes de tradition andalouse comme Fez et Testur et qui ont gardé avec une fidélité digne d'éloge les clefs de leurs maisons qu'ils ont du abandonner quand la raison d'Etat s'imposa tout simplement à la raison."

Ces paroles resument parfaitement l'esprit que nous avons voulu donner à ce V Centenaire. Nous, le Gouvernement espagnol, ses institutions, la société espagnole a voulu redécouvrir son passé arabe, assumer les erreurs de notre histoire, mais dans aucun cas en demander pardon ou s'excuser pour les événements qui se sont produits il y a cinq siècles et qui font parti, qu'on le veuille ou non de notre histoire commune. L'arrivée des "Moriscos" en Tunisie a permis aussi à cette région de reconstruire un espace culturel nouveau, d'apporter à la vie et aux coutumes tunisiennes des enrichissements intellectuels, musicaux, architecturaux, scientifiques. L'histoire, on l'assume, on l'étudie avec un sens critique mais on ne la réécrit pas.

- La première réflexion sur le véritable sens d'Al Andalus.
- La seconde sur le danger de faire d'Al-Andalus un mythe du passé, en restant sur une nostalgie plaintive.
- La troisième sur ce qui a été le programme "Al-Andalus 92" organisé par le gouvernement espagnol à l'occasion du Vème Centinaire.
- Et finalement une dernière réflexion sur le nouvel horizon des relations hispano-arabes à la lumière d'un "Al-Andalus reinventé".

II. - LE SENS D'AL ANDALUS

Je n'oserais pas, surtout ici entouré des grands experts, d'homme de lettres, d'arabistes, "d'Andaloulogues", etc, me prononcer sur le véritable sens historique d'Al-Andalus. J'imagine, bref, je suis sûr, que grâce aux deux rencontres précédentes, celle de Grenade et celle de Montpellier, vous aurez, sans doute, enrichi la connaissance de l'apport d'Al-Andalus à la civilisation humaine.

Depuis les grandes contributions de l'éminent arabiste et académicien espagnol, García Gómez, les études Andalouses ont connu un saut qualitatif incontestable.

D'autres éminents chercheurs, comme le professeur Vernet nous ont démontré l'importance de l'influence arabe sur l'évolution de la Science.

Ma réflexion sera plutôt du point de vue diplomatique, celle d'un haut fonctionnaire chargé de la Cooperation avec le Monde Arabe. C'est dans cet esprit que je considère qu'Al Andalus a été une période historique particulièrement remarquable pour les relations hispano-arabes et euro-arabes. Al-Andalus a été une étape de convivialité entre nos cultures et civilisations. Al Andalus a servi de symbiose des sciences et du savoir. Peu de moments de notre histoire ont été tellement positifs pour l'enrichissement intellectuel et humain de nos peuples.

Nous savons, au moins nous qui nous trouvons ici, le rôle essentiel déployé par l'Ecole des Traducteurs de Tolède, l'apport de la science arabe au développement philosophique, astronomique, mathématique, médicale, cartographique et architectural de l'Europe. L'importance de la langue arabe, comme langue indispensable pour le transfert des dernières recherches technologiques et scientifiques. Combien de "barbarismes" arabes se sont greffés sur nos langues par le biais des savants du XII, XIII et XIVèmes siècles. Si aujourd'hui comme le signale le professeur Vernet, nous luttons contre les barbarismes de la langue de Shakespeare, au XIVème siècle les hommes de lettres de la Renaissance Européenne devaient combattre les "barbarismes" arabes. La modernité de l'époque était Andalouse et "Al-Andalus" était hispano-arabe.

Mais si toutes ces contributions sont connues et surtout reconnues par nos élites intellectuelles, ce n'est pas le cas quand on s'adresse à nos sociétés respectives. La société européenne ignore pratiquement cette page de notre histoire commune. Encore dans l'imaginaire occidental nous retrouvons des références

AL-ANDALUS DANS LE FUTUR : UN NOUVEL HORIZON DES RELATIONS HISPANO- ARABES*

Par Mr. Miguel Angel Moratinos Cuyaubé
Directeur Général de l'Institut
de Coopération avec le Monde Arabe (ICMA)

I.- INTRODUCTION

Permettez moi tout d'abord de remercier l'Association Tunisienne des Etudes Andalouses, organisateurs du Colloque International de Carthage, dans le cadre du programme "Grenade 1492-1992", et tout particulièrement le Ministre de la Culture, Mr. Mongi Bousnina, de m'avoir invité à participer à cette rencontre.

J'aimerais aussi exprimer toute ma satisfaction de me retrouver à Carthage, en Tunisie, et de pouvoir saisir cette occasion pour développer quelques réflexions sur le sens "l'Al-Andalus", sur son apport historique, sur la commémoration que nous venons juste de réaliser, dans cette année 92, année mythique pour l'Espagne, mais surtout j'aimerais profiter de cette conférence pour dégager quelques idées sur le nouvel esprit, le contenu et l'action de l'Al Andalus du futur.

Je crois que ce colloque se tient à un moment particulièrement opportun et nécessaire; Opportun, parce qu'il se déroule juste après les grands fastes de "92" et comme preuve que les évènements de 92 n'étaient pas une fin en soi, mais surtout le commencement d'une nouvelle étape. Pour mon pays, pour l'Espagne, l'année 1992 a été un moment historique crucial. Nous avons été témoins d'une symbiose symbolique entre notre histoire, notre passé, et notre modernité, notre avenir. Il y a plusieurs redécouvertes (celle de notre présence en Amérique Latine, nous préférions parler les espagnols de "Hispanoamérica", notre conciliation avec "Sefarad", mais aussi nous avons assisté à la redécouverte de l'Espagne arabo-musulmane.

C'est pour cela que j'estime que ce colloque était nécessaire, nécessaire pour réfléchir en commun, espagnols, tunisiens, arabes et européens sur l'avenir de notre espace commun culturel: La Méditerranée et, surtout, pour pouvoir tirer de notre legs commun, des leçons, une philosophie, en définitive, un esprit différent de celui qui a présidé à nos relations récentes, en récupérant le sens réel de cet "Al-Andalus" des siècles IXème et XIème de notre ère, ce sens du dialogue, de tolérance et d'enrichissement conjoint entre cultures et peuples appartenant au même espace géopolitique qui ont coexisté et vécu ensemble pendant des siècles.

Mes réflexions essaieront de se centrer sur quatre grands points:

* Conférence de Mr. Moratinos au colloque de Tunis-Carthage (7-10 Janvier 1993) sur le thème "Du Royaume de Grenade à l'Avenir du Monde méditerranéen".

de Madrid ha significado un cambio cualitativo en la historia diplomática de Oriente Medio. Hoy, la Conferencia continúa en forma de reuniones bilaterales y multilaterales, y mi país prosigue sus esfuerzos con la finalidad de apoyar una aproximación entre las Partes que haga posible una paz justa y global en esta turbulenta región.

Al-Andalus son hoy, también, nuestros compatriotas musulmanes, que forman parte de un proyecto de vida en libertad y respeto a sus creencias, como el resto de los ciudadanos de un país democrático, a los que su Rey admira por su entrega al esfuerzo común y solidario.

Nos preocupa el drama humano de los que emigran, empujados por la necesidad, aún a riesgo de la propia vida que, a menudo conduce a una vida marginal, a personas que sólo aspiran a una vida mejor para ellos y para sus hijos.

Por ello, agradecemos los esfuerzos que se hacen para controlar el problema, al tiempo que continuamos con los nuestros en favor de una mayor atención europea hacia nuestros vecinos del sur, a los que deseo reiterar hoy nuestra voluntad de compromiso al servicio de un mundo mejor para todos.

Al-Andalus es hoy paradigma en lo que, permitanme usar un anacronismo, tuvo de respeto a los derechos humanos, a las más íntimas creencias, en la ausencia de discriminación por motivos religiosos o por diferencias étnicas.

Es un espíritu que deseariamos ver fructificiar hoy frente a las intolerancias excluyentes de ciertas ideologías producto de un malestar socio-económico y político que aflora ultimamente con especial virulencia.

Por eso, Al-Andalus, debería ser también un proyecto para el porvenir, basado en el reconocimiento de los lazos que nos han unido en el pasado y, sobre todo, en los que queremos tender en pos de realizaciones comunes euro-árabes, como pueblos que miran hacia adelante con espíritu positivo; con confianza en la capacidad de sus gentes para afrontar las múltiples dificultades de nuestra época.

Al-Andalus queremos que quede representado en nuestros días con proyectos como el de la Universidad Euro-Arabe, en cuya puesta en marcha estamos comprometidos. Una Universidad en la que jóvenes del mundo árabe hallen respuesta a sus ansias de conocimiento y desarrollo intelectual, en estrecha convivencia con compañeros de diversos países europeos.

Al-Andalus debería ser el modelo para construir un nuevo marco de relación en el área mediterránea. Seguridad, cooperación y dimensión humana son elementos esenciales de esta nueva convivencia entre todos los países de la zona.

Sólo erradicando los males de la inseguridad, fortaleciendo la cooperación económica y financiera y promoviendo el diálogo cultural y la tolerancia de creencias y comportamientos, podremos construir un nuevo espacio de paz y estabilidad.

Esta es la nueva meta del nuevo Al-Andalus que nos hemos planteado hacer juntos, y a ella les invito a sumarse.

Salam Alaikum.

confrontación ideológica, sin que, salvo contadas excepciones, la convivencia se perturbara en el vivir cotidiano.

Este fructífero encuentro de culturas y civilizaciones distintas dio lugar a un período histórico de enorme riqueza, que llevó a la cumbre de su época el progreso científico y el desarrollo del pensamiento racional y libre que hicieron posible las grandes gestas del Descubrimiento, deudoras de los conocimientos astronómicos y de las técnicas de navegación andalusíes. Y que - no olvidemos - hicieron también posible el Renacimiento europeo, salvando del olvido los textos de los grandes pensadores y científicos de la antigüedad greco-latina.

Al-Andalus, en fin, tiene para todos los que hoy nos reunimos en este glorioso recinto de Medina Azahara, unas connotaciones casi legendarias en el pasado, ligadas a una época de esplendor de una civilización, en ningún sitio mejor plasmada que en estas piedras milenarias que ahora nos acogen. Ligadas también a nombres excelsos como Averroes, Abulcasis, Abulhazam o Abenzaídún, de quienes nos sentimos igualmente orgullosos árabes y españoles.

Pero, por encima de glorias, siempre efímeras, yo quiero destacar lo que ha permanecido espiritualmente, lo que tras siglos de menor entendimiento y mayor intolerancia, continúa siendo nuestro más positivo bagaje común : el espíritu de parentescos y de vivencias compartidas durante largos períodos de fructíferos intercambios y mutuas influencias.

Es cierto que los españoles de nuestra época han vivido, sin saberlo, en contacto permanente con lo árabe, a través del uso continuado de una lengua moldeada con vocablos andalusíes, o de costumbres populares y artes tradicionales, excepcionalmente bien conservadas.

Como lo es, igualmente, que comunidades árabes, descendientes de aquellos laboriosos moriscos que hoy habitan en ciudades de tradición andalusí, como Fez o Testur, han mantenido, con fidelidad digna de encomio, las llaves de sus casas toledanas o cordobesas, que hubieron de abandonar cuando la razón de Estado se impuso a la razón a secas.

Pero estos sentimientos de fidelidad a su pasado andalusí, que nos hacen percibirlos más próximos, no pueden hacernos olvidar que, en ocasiones, la nostalgia de la historia pueda ocultar la realidad.

Porque la historia, como puso de manifiesto hace seis siglos Ibn Jaldún, nos debe situar en la realidad mediante la verificación de los hechos y la investigación de las causas que los han producido. Y esta realidad es la que queremos abordar con el espíritu más positivo que nos sea posible. Una realidad de esperanzadores proyectos en común, que deseamos impulsar en el presente y que confiamos en que se multipliquen en el futuro.

Al-Andalus es hoy, por ejemplo, el espacio común mediterráneo, en el que es posible nuevos encuentros por la vía de la cooperación en el ámbito cultural, técnico y científico, que abra nuevas sendas para el trabajo y la ilusión entre los pueblos que comparten sus riberas Norte y Sur.

Con esta vocación, España acogió hace ahora justamente un año en Madrid la Conferencia de Paz sobre Oriente Medio, que sentó a la misma mesa a las Partes enfrentadas desde hace cuarenta años. En ese sentido, la Conferencia

DISCURSO DE S. M. EL REY EN EL ACTO INSTITUCIONAL AL-ANDALUS Medina Azahara, 4 de Noviembre de 1992

La Reina y yo compartimos emocionadamente con ustedes; estos momentos de celebración de Al-Andalus 92, en un entorno tan significativo como este recinto de Medina-Azahara.

Nuestra satisfacción es tanto mayor por poder contar, en esta ocasión, con la presencia entre nosotros del Secretario General de la Liga de los Estados Arabes, Sr. Esmat Abdel Meguid, así como con la de los ilustres representantes diplomáticos del Mundo Árabe acreditados en España y de importantes personalidades del mundo académico y cultural hispano-árabe. También deseo agradecer la presencia entre nosotros del Alcalde de Damasco, ciudad que vio el esplendor del Califato Omeya, uno de cuyos miembros viajó hasta este Finisterre occidental para fundar en esta hermosa ciudad de Córdoba lo que fué seguramente el más importante foco político y cultural de la Alta Edad Media europea.

Hablar de Al-Andalus desde el lugar en el que me encuentro ahora, resulta sencillo porque todo lo que nos rodea parece impregnado del esplendor de la civilización hispano-árabe, que se da cita en esta ladera en la que se asienta Medina Azahara y que encierra, como quizá ningún otro lugar, el espíritu andalusí que fué, esencialmente, una disposición vital para el encuentro, para la convivencia.

La España árabe y sus aportaciones al patrimonio cultural y científico de la humanidad, a cuyo redescubrimiento ha dedicado su esfuerzo, durante cinco años, el Grupo de Trabajo Al-Andalus 92 de la Comisión Nacional Quinto Centenario, son ahora mejor conocidas y eso nos llena de honda satisfacción.

Durante este periodo, las reuniones científicas, las exposiciones que han mostrado al mundo las excelencias del arte o las aportaciones a la ciencia y la tecnología de los sabios andalusíes ; las publicaciones que, sobre el significado de este período histórico, se han ido editando, han resaltado los aspectos más relevantes de la época de convivencia de nuestras dos culturas, que han dejado su impronta en España de forma imperecedera.

Al-Andalus fue, como se ha puesto de manifiesto por voces autorizadas de la historiografía árabe y española, el encuentro de pueblos que habitaban el mismo espacio vital, que durante siglos se acostumbraron a compartir y disentir, sin que se perdiese el respeto a la diversidad. Diversidad de formas de vida, de creencias, de proyectos políticos, pero síntesis de culturas, de costumbres y de lenguas.

Fue, también, como no podía ser históricamente de otra manera, lugar de

toda la humanidad seguía gozando, era tolerante, fructífera e innovadora. Todos compartían la opinión de que el Mar Mediterráneo había de ser un aliciente para la cooperación y la confraternidad y nunca un abismo que engendrare rupturas y antagonismos entre los distintos pueblos.

Era cierto que la historia de Al-Andalús era una historia jalonada de hostilidades, de fanatismo y de egoísmo extremados y abominables. Sin embargo, a fin de salvaguardar las relaciones actuales entre los hombres de ambas orillas, todos los investigadores especialistas en la civilización y la literatura andalusíes se afanaron por afianzar unos nobles valores tales como la amistad, el bien y la belleza resaltando los elementos positivos que también caracterizaron aquella época.

Era cierto que España consiguió a su poderío gracias militar, apoderarse del último baluarte árabe en la Península Ibérica, a saber, Granada. Pero luego, al haber desecharo a las minorías étnicas, se privó desgraciadamente de un valioso caudal cultural y civilizacional susceptible de asignarle un alto rango en el escenario mundial. Ello constituyó una mancilla histórica que los propios españoles no cesan de condenar. Y ahora, a finales del siglo veinte, es decir, cinco siglos después de esa calamidad, algunos países están llevando a cabo ostensiblemente esa misma práctica.

Es cierto que los intereses han sido y siguen siendo el único pivote de las relaciones entre los diferentes países. Es cierto asimismo que resulta ilusorio pretender cambiar este estado de cosas. Sin embargo, con eso, todos hemos de afanarnos, bebiendo de las enseñanzas que nos brinda la historia, por que dichos intereses no se obtengan en detrimento de la legalidad y de la justicia, por que dichos intereses no estriben en la codicia, la subyugación y la explotación de los demás.

Es cierto que en las instituciones internacionales sólo tiene eco la voz del más fuerte mientras que los débiles no tienen ni voz ni voto. Es cierto que también resulta utópico pretender cambiar esta situación. Sin embargo, ese poderoso que pretende ser el responsable de la salvaguarda de la legalidad internacional aplicando descaradamente "la ley del embudo", ha de procurar ser menos injusto y arbitrario para con los demás pueblos. Esta injusticia despertará sin duda alguna la furia de los débiles. El mayor peligro que amenaza la humanidad entera hoy ya no es ni la bomba atómica ni las armas químicas sino, más bien, la ira de los pueblos débiles, desesperados y sometidos, la ira de los pueblos que padecen la terquedad y la impertinencia de las naciones predilectas y privilegiadas.

JEMAA CHEIKHA
Director de la Revista

PRESENTACION

Entre los últimos días de 1992 y los primeros de 1993, se celebraron, en Granada, Tolosa, Montpellier y la ciudad de Túnez, cuatro coloquios bajo el lema : "Del Reino de Granada al futuro de la cuenca mediterránea".

Ni la fecha de celebración de dichos coloquios fue fijada arbitrariamente ; ni el lema fue escogido por presunción, ni el lugar, designado por cumplido. Todos ellos son, más bien, símbolos de la continuidad de un determinismo histórico :

Con la celebración de estos coloquios en esta fecha precisa, es decir, a finales de un año y a comienzos de otro, aludimos alegóricamente a la necesidad de pasar ya la página de nuestra historia común con todo lo que abarca para empezar otra nueva que esperamos sea más reluciente y esplendorosa.

La celebración del primer coloquio precisamente en la Península Ibérica, del segundo y tercero en plena Europa y del último en África del Norte constituye asimismo una elección deliberada : Al-Andalús, en general, y Granada, en particular, fueron la lumbre que despidió, durante siglos, una valiosa luz civilizacional hacia el Viejo Continente iluminándolo y permitiéndole, por lo tanto, forjar una prosperidad de cuyos frutos gozan todos los pueblos de nuestro planeta. *

En África del Norte, la luz de la civilización andalusí sigue radiante todavía. Más aún : esta civilización encontró en estos países un buen regazo y se fundió íntimamente en la sangre, el alma y los sentimientos de los magrebíes.

En cuanto al Mar Mediterráneo, su color es el símbolo de la paz (1). Su situación es el símbolo de la tolerancia y la cordialidad y su agua, el de la proximidad y la intercomunicación incesante y secular entre todos los pueblos que lo rodean : tanto los del norte como los del sur, tanto los del este como los del oeste.

Gracias sobre todo a su patrimonio histórico y civilizacional, Granada constituía, entre todos ellos, el símbolo por excelencia. Era lógico que lo fuese ya que, ante todo, los cuatro coloquios se celebraron en el marco de la conmemoración del quinto centenario de su caída.

Más de uno habrá pensado que eran coloquios de añoranza y de lamentos : añoranza de los cristianos de un pasado glorioso y lamentos de los musulmanes por una derrota dolorosa. Pero no era ésta en absoluto la intención de los organizadores de dichos coloquios. El objeto de éstos no consistía de ninguna manera ni en glorificar victorias ni en llorar pérdidas. Todos los discursos oficiales y las ponencias pronunciados en los cuatro coloquios estaban unánimes en que la civilización andalusí, de cuyos frutos

| | |
|---|----|
| * Jomaâ Cheikha : Préface (en arabe à droite et en espagnole à gauche)..... | 3 |
| * S.M. Le Roi d'Espagne : Discours de sa Majesté le Roi d'Espagne prononcé à Madinet Azahara le 4/11/1992 (en arabe à droite et en espagnole à gauche)..... | 5 |
| * Mr. Miguel Angel Moratinos Cuyaubé : Directeur Général de l'Institut de Coopération avec le Monde Arabe (I.C.M.A.): Al-Andalus dans le future : un nouvel Horizon des relations Hispano-Arabs (en Français) | 8 |
| * Mr. Chedly Ayari : Pour un nouveau projet nord-sud Méditerranéen (1ere partie - en français)..... | 19 |
| * Ibrahim Kadri Boutchich : Le phénomène du mariage en Andalousie à l'époque des Almoravides d'après de nouveaux documents (en arabe) | 9. |
| * Med. Lahbib al-Hila : Méthodes des ouvrages de "Nawazil" andalous et maghrébins du milieu du 5è siècle à la fin du 9è siècle (en arabe) | 23 |
| * Mustapha al-Ghdiri : Ibn Marg al-Kuhl : sa vie et son oeuvre poétique (1ere partie en arabe) | 32 |
| * Moncef el-Oyhaybi : Approche de "l'agréable- utile" dans la théorie poétique de Hazim al-Qartaganni (2ème partie en arabe) | 40 |
| * Najat al-Marini : Présentation des "Abrégés" des "Annalectes" (Nafhi at-Tib) de Makkari (en arabe) | 52 |
| * Abdelali al-wadghiri : L'ouvrage : "La lexicographie en Andalousie" est il une oeuvre authentique ou un simple plagiât ? (en arabe) | 70 |
| * Imhammad Ben Abboud : Présentation dell'ouvrage : "La vie sociale au Maroc et en Andalousie sous les Almoravides" (en arabe) | 82 |
| * Comité de rédaction : Présentation du livre sur "les Méthodes du critique littéraire en Andalousie : théorie et application, durant 7/13-8/14" (en arabe) | 87 |
| Jomaâ Cheikha : L'Andalus dans le "Mémoire de Maîtrise" (Université de Tunis : 7ème partie - en arabe) | 95 |

Revue d'Etudes Andalouses



Tunis